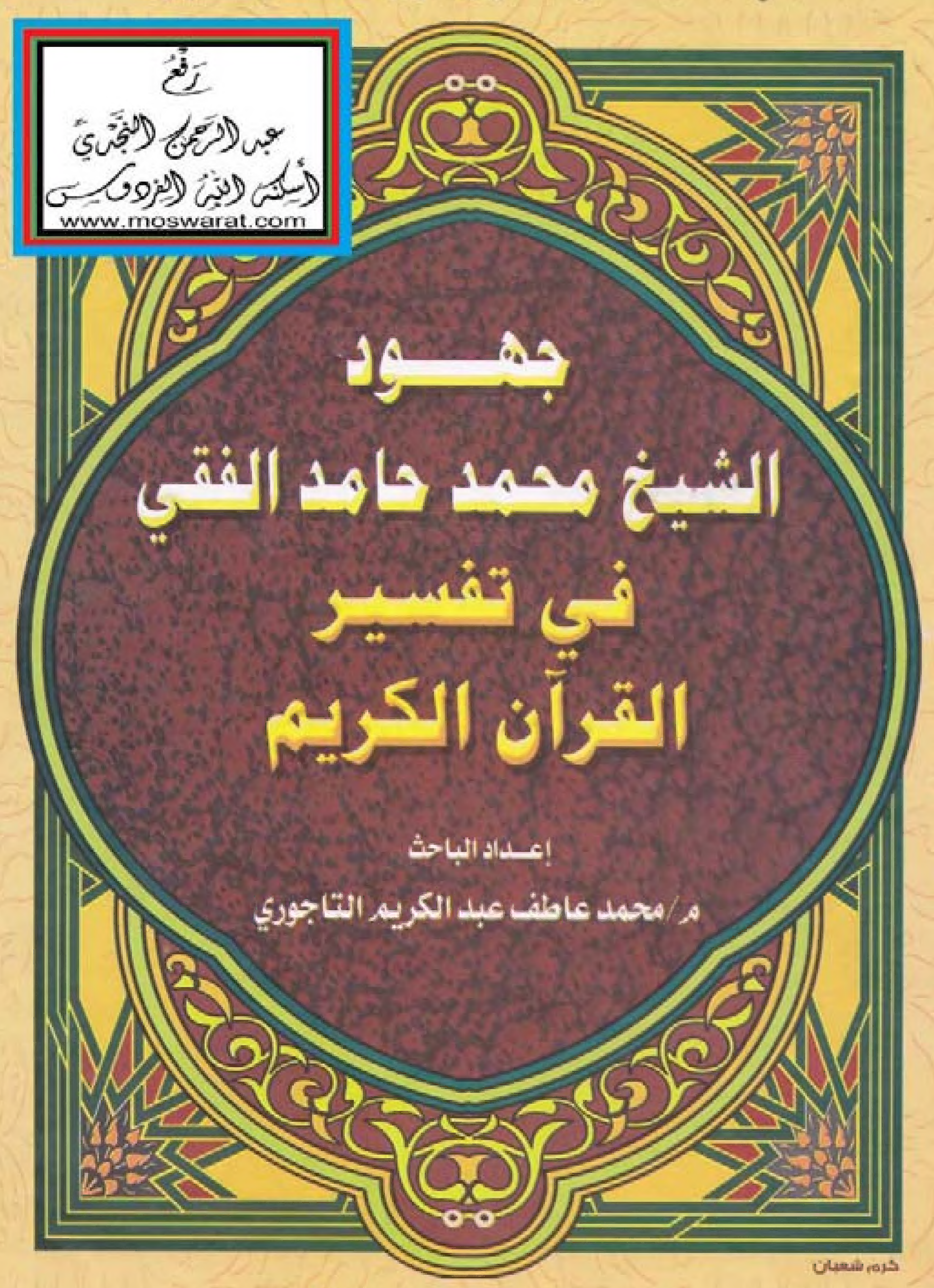
" رسالة علمية لنيل درجة الماجستير "



جهود الشيخ محمد حامد الفقي في تفسير القرآن الكريم

إعداد الباحث

م/ محمد عاطف عبد الكريم التاجوري

كرم شعبان

مكتبة السنة



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

جهود الشيخ محمد حامد الفقي
في تفسير القرآن الكريم

دراسة وتحليل

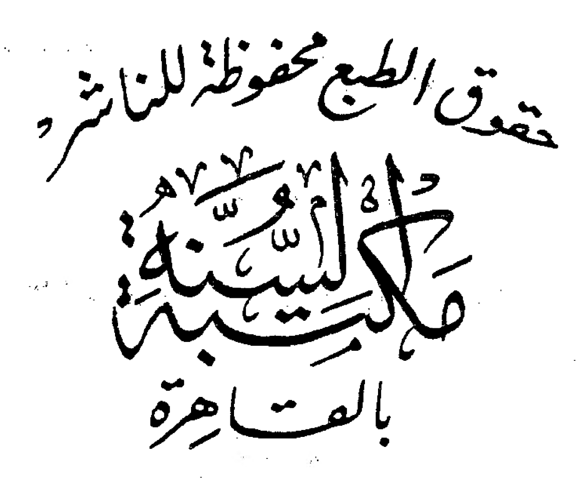
(١٣١٠ - ١٣٧٨ هـ = ١٨٩٢ - ١٩٥٩ م)

تأليف
م/ محمد عاطف عبد الكريم التاجوري

تقديم
د / عبد الله شاكر الجنيدي
الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

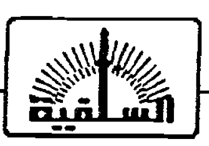
مكتبة السنة

الطبعة الأولى لمكتبة السنة بالقاهرة
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



رقم الإيداع: ٢٠١١/٥٣٩١

ALSUNNA LIBRARY
Publishers
81 Al-Bostan St., Abdeen Square - Cairo - EGYPT
Tel.: 23900318 Fax : 23913532 Tlex : 21719 TLTHRB
E-mail:sounna_bookshop@hotmail.com



مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم
٨١ش البستان - ناصية ش الجمهورية - ميدان عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٠٠٣١٨ فاكس: ٢٣٩١٣٥٣٢ تلكس: ٢١٧١٩ TLTHRB

تقديم

أ . د . عبد الله شاكر الجنيدي

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ – وبعدُ:

فإن من فضل الله تعالى على أمة محمد ﷺ أن يبعث فيها من يجدد لها دينها ويحيي سنة نبيها، ويعيد الناس إلى الحق والصواب بدلًا من الانحراف عن السنة والكتاب، وهذا مصداق قول النبي ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها». [رواه أبو داود: (٤٢٩١)].

ولقد قيض الله لهذه الأمة كثيرًا من المصلحين والمجددين الذين كان لهم أثر قوي – بعد توفيق الله تعالى – في إحياء السنة وقمع البدع، ومحاربة الباطل وأهله، وإن من أولئك المصلحين المجددين، والذي أخذ على عاتقه نشر العقيدة السلفية الصحيحة والتوحيد الخالص، ومحاربة البدعة والشرك والضلال، ورد الناس إلى الجادة في وقت قل المعين، وفقد الناصر، واضمحل الحق، وصار المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والتوحيد ضلالًا، والشرك طاعة لله، خرج في ذلك الوقت الشيخ محمد حامد الفقي، فحمل لواء التوحيد والدعوة السلفية، وزاد عنه، وتحمل من أجله الكثير والكثير من العداء والإيذاء النفسي والجسدي، فصبر وجالد، وتحمل وكابد، وأسس جماعة يجمعها توحيد السلف، وتستظل بظلال القرآن والسنة، وخرج بدعوته إلى آفاق بعيدة ومتزامية، ولم يقصرها على بلده أو منطقته، وهكذا هم المصلحون دائمًا وأبدًا، استطاع الشيخ من خلالها أن يجمع حوله كوكبة من العلماء والدعاة الذين ألف بينهم هم واحد ومنهم واحد فكانت الثمرة عظيمة

القدر والفائدة في كثير من البلاد الإسلامية، ثم إنه عكف على كتب السلف ينفض عنها الغبار والنسيان، ويخرجها للواقع والعيان، يحققها ويطبعها وينشرها، فكان بحق رجالًا في ثوب رجل، وجهودًا يقوم بها فرد، ودعوة لا يحدها قدر.

عاش رحمه الله لدعوة وحدها قبل أن يعيش لشيء آخر، عاش للجماعة قبل أن يعيش لبيته، كان في دعوته يمثل التطابق التام بين الداعي ودعوته، كان صبورًا جلدًا على الأحداث.

ولقد نشأ الشيخ – رحمه الله – بين عائلة قرآنية فوالده الشيخ أحمد عبده الفقي تلقى تعليمه بالأزهر ولكنه لم يكمله لظروف اضطرته لذلك، أما والدته فقد كانت تحفظ القرآن وتجيد القراءة والكتابة، وبين هذين الوالدين نما وترعرع وحفظ القرآن وسنه وقتئذ اثنى عشر عامًا، ولقد كان والده أثناء تحفيظه القرآن يوضح له معاني الكلمات الغريبة ويعلمه مبادئ الفقه حتى إذا أتم حفظ القرآن كان ملمًا إلمامًا خفيفًا بعلومه ومهيأ في الوقت ذاته لتلقي العلوم بالأزهر على الطريقة التي كانت متبعة وقتئذ.

حقيقة إن تفسير الشيخ يُعد ثورة علمية لم ينتبه إليه، حيث يظهر هذا في مقالاته وتفسيره الذي كان ينشر على صفحات «الهدي النبوي»، فقد كان للشيخ – رحمه الله – قلم سيال عال، وبيان قوي راق، ومع ذلك لم يكثر الشيخ من التأليف المنفرد لشغفه بالتحقيق والنشر لكتب السلف، حيث كان وقته مقسمًا ما بين الدعوة والجماعة وما بين التحقيق والنشر.

ويقول الشيخ أبو الوفاء درويش: كان يفسر آيات الكتاب العزيز فيتغلغل في أعماقها ويستخرج منها درر المعاني، ويشبعها بحثًا وفهمًا واستنباطًا، ويوضح ما فيها من الأسرار العميقة والإشارات الدقيقة والحكمة البالغة والموعظة الحسنة،

ولا يترك كلمة لقائل بعده، بعد أن يحيط القارئ أو السامع علمًا بالفقه اللغوي للكلمات وأصولها وتاريخ استعمالها فيكون الفهم أتم والعلم أكمل وأشمل.

ولقد كانت آخر آية فسرها قوله تبارك وتعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]، وقد فسرها رحمه الله في عدد ٦ و٧ لسنة ١٣٧٨هـ في حوالي ٢٢ صفحة.

وقد قام أخونا المهندس/ محمد عاطف، بجهد مشكور في بيان جهود الشيخ محمد حامد الفقي في تفسير القرآن الكريم في كتابه «**جهود الشيخ محمد حامد الفقي في تفسير القرآن الكريم**»، وقد نال به درجة التخصص «الماجستير» من كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، ولقد أحسن في عرضه لهذا الموضوع، وبيَّن مكانة الشيخ وتفسيره.

فجزاه الله خيرًا، والحمد لله رب العالمين.

أ. د/ عبد الله شاكر الجنيدي

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية



المقدمة

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وعلى من اتبع سنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعدُ..

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يقول الله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

ويقول عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

ويقول الرسول ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»(١).

ويقول ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون»(٢).

وفي رواية في صحيح مسلم: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»(٣).

وقال النووي رحمه الله تعالى في الشرح: قال علي بن المديني: المراد بـ(أهل الغرب) العرب، والمراد بالغرب الدلو الكبير لاختصاصهم بها غالبًا، وقال آخرون: المراد به الغرب من الأرض، وقال معاذ: هم بالشام، وجاء في حديث آخر: هم ببيت المقدس، وقيل: هم أهل الشام وما وراء ذلك. قال القاضي: وقيل المراد بأهل الغرب أهل الشدة والجلد و(غرب كل شيء) حده(٤).

وقال ابن حجر في الفتح عن هذه الرواية:

فالظاهر أن المراد بالغرب البلد لأن الشام غرب الحجاز، ووقع في بعض طرق

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٧٠) في كتاب الملاحم وسكت عنه، وقال الشارح في عون المعبود: سنده صحيح - ط. المكتبة السلفية - المدينة المنورة - ج١١ - ص٣٩٦، والحاكم في كتاب الفتن وسكت عنه، وكذلك سكت عنه الذهبي - ط. دار المعرفة - بيروت (٤ / ٥٢٢)، والألباني في صحيح الجامع (١٨٧٠)، والسلسلة الصحيحة (٥٩٩).

(٢) متفق عليه - رواه البخاري في كتاب الاعتصام - فتح الباري - ط. دار الريان للتراث ج١٣ ص٣٠٦ برقم ٧٣١١ - ورواه مسلم في كتاب الإمارة - صحيح مسلم بشرح النووي - ط المكتب الثقافي - الأزهر - ج١٣ - ص٧١ برقم ١٩٢٠ .

(٣) صحيح مسلم - كتاب الإمارة - الموضع السابق ص٧٣ برقم ١٩٢٥ .

(٤) المرجع السابق ص٧٤ .

الحديث (المغرب) بفتح الميم وسكون المعجمة، وهذا يرد تأويل الغرب بالعرب، ولكن يحتمل أن يكون بعض رواته نقله بالمعنى الذي فهمه، أن المراد الإقليم لا صفة بعض أهله[1].

وهذه بشرى لأهل الغرب، أهل الشام ومصر وغيرهما، تبشرهم بالظهور والثبات على الحق إلى يوم القيامة.

وتأكيدًا لهذه المعاني كان ظهور العلماء العاملين الذين يبعثهم الله عز وجل لتجديد الدين في نفوس الناس في كل قرن من القرون.

وأحد هؤلاء العلماء الذين كان لهم نصيب كبير في ذلك، الشيخ محمد حامد الفقي مؤسس جماعة أنصار السنة بمصر أولًا، والتي انتشرت في كثير من البلاد الإسلامية بعد ذلك لدعوة الناس إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ورد الناس ردًّا جميلًا إلى دينهم وإلى عبادة ربهم، وكان ذلك ابتداء من عام ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م.

وقد قضى الشيخ حياته كلها في تصحيح عقيدة المسلمين، وتصحيح المفاهيم التي انحرفت عن الإسلام الصحيح، وسلك في سبيل ذلك كل الطرق الممكنة له، فأسس أولًا هذه الجماعة - جماعة أنصار السنة - بمصر، ثم أسس مجلة الإصلاح في المملكة العربية السعودية والتي استمرت عامين تقريبًا، وكانت أول مجلة على الإطلاق أنشئت في هذه البلاد، ثم عاد إلى مصر فأسس مجلة الهدي النبوي ابتداء من عام ١٣٥٦هـ بعد وفاة الشيخ السيد رشيد رضا (عام ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م) وانتهاء مجلته - مجلة المنار - عن الصدور - ليستمر العطاء - عطاء الأجيال - لدعوة الناس إلى دين الله عز وجل - فكانت مجلة الهدي النبوي التي أصدرها الشيخ محمد حامد الفقي في مصر - خلفًا لمجلة المنار التي أنشأها

---

(١) فتح الباري لابن حجر - كتاب الاعتصام ج١٣ ص٣٠٨ - ط. دار الريان للتراث.

الشيخ السيد رشيد رضا بداية من عام ١٣١٥هـ وليكون تفسير القرآن الذي تابعه الشيخ محمد حامد الفقي في أعداد مجلة الهدي النبوي استمرارًا لتفسير القرآن الكريم والمسمى بتفسير المنار الذي بدأه الشيخ محمد عبده والشيخ السيد رشيد رضا حيث قد بدأ الشيخ محمد حامد الفقي تفسيره للقرآن بتفسير سورة الفاتحة وبدأ في تفسير سورة البقرة حتى وصل إلى الآية رقم ١٠٠ ثم في عدد رمضان سنة ١٣٦٠هـ العددين رقم ١٦، ١٧ في السنة الخامسة من بدء صدور مجلة الهدي النبوي قال ما نصه:

هذا وقد جاءنا من كثير من إخواننا الموحدين من مختلف الأقطار الإسلامية اقتراح علينا بأن نكتفي بتفسير أستاذنا السيد رشيد رضا رحمة الله عليه ورضوانه ففيه الخير كل الخير وفيه من الفقه في القرآن واستخراج كنوزه مما لعله لا يدركه أحد، وأن أبدأ في تفسير القرآن من حيث وقف به الأجل المحتوم، فلعل الله أن يفتح علينا بما نرجو أن ينفعنا الله به وينفع إخواننا، فاستشرت إخواني في إجابة هذا الاقتراح، فكل قد صوَّبه وأمر بإجابته، وها أنا ذا أعزم إن شاء الله تعالى من أول العدد الآتي أن يكون التفسير من أول سورة الرعد بمعونة الله وحسن توفيقه، ومن الله نستمد الهداية ونسأله السداد وحسن التوفيق للإخلاص والسداد وهو حسبنا ونعم الوكيل[١].

وفى هذا دليل على ان الاتجاه السلفى فى تفسير الشيخ محمد حامد الفقى انما كان متابعا فيه ومستكملا لجهود من سبقوه وهم الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ محمد عبده والشيخ جمال الدين الأفغانى[٢] ، وهؤلاء أيضا كانوا تبعًا لمن سلف

---

(١) مجلة الهدي النبوي - العددان ١٦، ١٧ - رمضان ١٣٦٠ - السنة الخامسة.

(٢) انظر ص ٦١ الى ص ٨٣ من هذا البحث.

من قبلهم من العلماء الصالحين الذين كان اولهم محمد رسول الله ﷺ واصحابه رضوان الله عنهم جميعا واتباعهم باحسان الى يوم الدين .

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

* * *



أسباب اختيار الموضوع

الشيخ محمد حامد الفقي مؤسس جماعة أنصار السنة رحمه الله صاحب نصيب كبير من تزكيات العلماء وثنائهم.

قال عنه الشيخ/ حماد الأنصاري - رحمه الله -:

(عندما رأيته يدرس في مكة عند باب علي، قلت: هذه ضالتي، وكانت حلقته أول حلقة أجلس فيها في الحرم، وكان ذلك عام ١٣٦٧هـ) [١]، وقال عنه الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - (ت١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) في تعليقاته على كتاب فتح المجيد (فقد أطلعت على الحواشي التي وضعها الأستاذ العلامة الشيخ محمد حامد الفقي.. فألفيتها كثيرة الفائدة، قد أجاد فيها وأفاد)[٢].

ويصفه الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين - رحمه الله - (ت١٤١١ هـ - ٢٠٠١م) بقوله (أستاذنا)[٣] وكثير من العلماء في مصر وفي العالم الإسلامي ممن تتلمذوا عليه، وكثير من الكتب التي تتلمذنا عليها صغارًا، قد قام هو بإخراجها إلى الناس وبتحقيقها، خاصة كتب الشيخين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

فلما جاءتني الفرصة لدراسة فكر هذا الرجل وعِلمه لم أجد أفضل من تفسيره للقرآن على صفحات مجلة الهدي النبوي القديمة التي استمر في كتابة التفسير فيها حتى موته رحمه الله تعالى.

وقد ذكرنا سابقًا أنه تابع تفسير الشيخ السيد رشيد رضا، وكان الشيخ رشيد رضا قد تابع ما بدأه الشيخ محمد عبده حيث كان يسمع دروس الشيخ محمد عبده

---

(١) مجلة التوحيد، عدد رجب وشعبان ص٢٤، ١٤١٦هـ.

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص١١، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ - دار الفكر.

(٣) الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية ص١٣٨ (نقلًا عن رسالة ماجستير عن جهود الشيخ في نشر العقيدة السلفية).

في التفسير في الجامع الأزهر ثم يكتبها ويعرضها عليه وينشرها في مجلة المنار، وهكذا بدأ الشيخ محمد عبده التفسير من بداية المصحف حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦](١).

واستمر الشيخ رشيد رضا بعد موت الشيخ محمد عبده عام (١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م) في التفسير من بعد الآية ١٢٦ من سورة النساء حتى وصل إلى الآية ١٠١ من سورة يوسف وهي قوله تعالى:

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقد أكمل الأستاذ بهجت البيطار تفسير سورة يوسف وطبع تفسير هذه السورة بتمامها في كتاب مستقل يحمل اسم الشيخ رشيد رحمه الله(٢).

ثم بدأ الشيخ محمد حامد الفقي التفسير من أول سورة الرعد كما ذكرنا سابقًا حتى وصل إلى الآية رقم ١٢ من سورة الإسراء ويقع هذا التفسير في قرابة ألف وسبعمائة صفحة من مجلة الهدي النبوي القديمة(٣)، ويعد ثروة علمية جيدة لكونه يجمع بين دعوة التوحيد وواقع الناس ويربطهم بعد ذلك بكتاب الله فيشعر القارئ بأنه المعني بهذا التفسير حيث يخاطب شخصه وواقعه ومعتقده وسلوكه(٤).

---

(١) مقدمة تفسير المنار - للشيخ رشيد رضا - جـ١ ص١٩ .

(٢) تفسير سورة يوسف (عليه السلام)- السيد محمد رشيد رضا - ط. مطبعة المنار بمصر - ن. دار المنار بأمريكا، ودار النشر للجامعات بمصر.

(٣) جهود الشيخ محمد حامد الفقي في نشر العقيدة السلفية - رسالة ماجستير لموفق عبد الله كدسة، ص٧١ .

(٤) المصدر السابق.

وبعد موت الشيخ حامد تابع التفسير تلميذه ورئيس جماعة أنصار السنة بعده الشيخ عبد الرحمن الوكيل – يرحمه الله – حتى وصل إلى الآية ٥٥ من سورة مريم وكان هذا التفسير أيضًا على صفحات مجلة الهدي النبوي القديمة.

ثم تابع بعده الدكتور السيد رزق الطويل[١] – وهو من تلاميذ الشيخ محمد حامد الفقي ورئيس جماعة دعوة الحق الإسلامية المنبثقة عن جماعة أنصار السنة المحمدية التفسير حتى وصل إلى سورة الصافات، ونشر هذا التفسير على صفحات مجلة الهدي النبوي الجديدة.

ثم يتابع الآن التفسير أخوه الدكتور عبد القادر رزق الطويل[٢] رئيس جماعة دعوة الحق الإسلامية ومن تلاميذ الشيخ محمد حامد الفقي أيضًا، فوصل حتى الآن إلى سورة الحجرات.

وهكذا نكون قد اقتربنا من الحصول على تفسير سلفي عصري كامل تقريبًا للقرآن الكريم بدأه الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا وأكمله الشيخ محمد حامد الفقي وتلاميذه، ولا شك أننا نحتاج إلى هذا التفسير السلفي العصري. فأردت بهذه الدراسة إخراج هذا التفسير إلى الوجود، فتفسير الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا معروف ومتداول ويسمى بتفسير المنار، أما تفسير الشيخ محمد حامد الفقي وتلاميذه فلم يتداول بعد ولم يعرف إلا على صفحات مجلة الهدي النبوي فقط، وهو إكمال تفسير المنار منذ توقف حتى آخر المصحف، إن شاء الله.

---

(١) الدكتور السيد رزق الطويل – رحمه الله – عميد كلية الدراسات العربية والإسلامية بالأزهر سابقًا، ورئيس جماعة دعوة الحق الإسلامية المنبثقة عن أنصار السنة.

(٢) الدكتور عبد القادر رزق الطويل أستاذ بكلية اللغة العربية – جامعة الأزهر – فرع سوهاج.



الدراسات السابقة

لم تتم دراسات سابقة تتعلق بالشيخ محمد حامد الفقي إلا دراستين فقط في مجال العقيدة:

الأولى: رسالة ماجستير بعنوان جهود الشيخ محمد حامد الفقي في نشر العقيدة السلفية - إعداد موفق بن عبد الله علي كدسة - كلية الدعوة وأصول الدين - قسم العقيدة - جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية.

الثانية: رسالة دكتوراه بعنوان جماعة أنصار السنة المحمدية وجهودها في نشر عقيدة السلف، عرض ونقد - مقدمة من الدكتور أحمد محمد طاهر عمر لنفس الكلية السابقة(١).

هذا بالإضافة إلى بعض الرسائل الصغيرة عن جماعة أنصار السنة مثل:

- جماعة أنصار السنة نشأتها - أهدافها - رجالها - من إصدارات مجلة التوحيد.

- دعوة أنصار السنة وسنوات من العطاء - جمع وترتيب محمود السيد - طبعة مكتبة الحرية - القاهرة.

- جماعة أنصار السنة بمصر - من مطبوعات الجماعة (مطوية).

- البيان الجلي فيما دار بين شاكر والفقي - فتحي أمين عثمان - من مطبوعات جماعة أنصار السنة - دار الصحيفة - القاهرة.

أما عن علاقة الشيخ حامد وتلاميذه بالتفسير فلا يوجد لها أي دراسة سابقة بالرغم من أن كل علم الشيخ وفكره ومنهجه قد احتواه تفسيره للقرآن فكانت كل

---

(١) جهود الشيخ محمد حامد الفقي في نشر العقيدة السلفية - موفق بن عبد الله علي كدسة - ص٤ .

مقالاته في مجلة الهدي النبوي تقريبًا في تفسير القرآن بل كانت جل دروسه أيضًا في التفسير، وفيها يتجلى منهجه في الرجوع إلى كتاب الله تعالى لالتماس الهداية منه في كل شيء كما كان يفعل السلف الصالح كلهم.

* * *



الاتجاه السلفي للتفسير

إن الله سبحانه وتعالى أنزل هذا القرآن لهداية الناس إلى الصراط المستقيم فقال عز وجل في سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وفي أول سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وفي مواضع كثيرة من القرآن توضيح لهذا الغرض من إنزال القرآن، وسلفنا الصالح ابتداء من رسول الله ﷺ، ثم الصحابة ثم التابعين ثم أتباع التابعين ثم تبع الأتباع ثم علماء الأمة الصالحين حتى وقتنا هذا قد اتبعوا هذا المنهج في علاقتهم بكتاب الله تعالى، وهو الاهتداء به والرجوع إليه في كل شيء ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩].

ولكن تفسير القرآن - في بعض الأحيان - حاد عن هذا الغرض إلى أغراض أخرى أدبية وعلمية واجتماعية وغيرها، فعاد به علماء أهل السنة في كل عصر إلى الغرض الأصلي وهو الهداية.

وهذا ما فعله الشيخ محمد عبده، والشيخ رشيد رضا، والشيخ محمد حامد الفقي وتلاميذه، فعادوا بتفسير القرآن في هذا العصر إلى ما كان عليه السلف الصالح في كل العصور السابقة وهو تفسير القرآن بالقرآن والسنة الصحيحة[1].

هذا بالإضافة إلى اهتمامه بعلوم القرآن بكل موضوعاتها من أسباب النزول

---

(١) ينبغي العلم بأن الاتجاه السلفي للتفسير بدأ بتفسير رسول الله ﷺ للقرآن، فكان يفسر القرآن بالقرآن، أو بأحاديثه ﷺ، وظل الصحابة رضوان الله عليهم كذلك، ثم جاء التابعون فكانوا يفسرون القرآن كما سبق، وأضافوا إلى ذلك أقوال الصحابة ولغة العرب، واستمر هذا المنهج ينقله الخلف عن السلف. (انظر: «مقدمة في أصول التفسير» لشيخ الإسلام ابن تيمية).

وفي العصر الحديث في مصر بدأ الشيخ جمال الدين الأفغاني في العودة إلى هذا الاتجاه، ثم تبعه الشيخ محمد عبده، ثم الشيخ رشيد رضا، ثم الشيخ محمد حامد الفقي وتلاميذه.

والمكي والمدني والناسخ والمنسوخ وتسميات السور والقراءات وإعجاز القرآن، فكان يذكر من ذلك الكثير محققًا في تفسيره.

وكان صاحب حصيلة لغوية كبيرة يذكر منها الكثير في تفسيره لمعاني الألفاظ ويستدل لذلك بمعاجم اللغة والأدب شعرًا ونثرًا، كل ذلك يربطه برباط وثيق بالعصر الذي يعيش فيه والواقع الذي يحيط به.

وأما عن الاتجاه السلفي لهذا التفسير فيقول الشيخ رشيد رضا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] بعد ذكر كلام شيخه الشيخ محمد عبده في تفسير المتشابهات من الآيات ونقل طريقة السلف والخلف فيها:

قال الأستاذ: وأنا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته ومعالم الغيب، وإننا نسير في فهم الآيات على كلا الطريقتين لأنه لا بد للكلام من فائدة يُحمل عليها، لأن الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى.

وأقول أنا مؤلف هذا التفسير: إنني والحمد لله على طريقة السلف وهديهم، عليها أحيا وعليها أموت إن شاء الله تعالى، وإنما أذكر من كلام شيخنا ومن كلام غيره ومن تلقاء نفسي بعض التأويلات لما ثبت عندي باختباري الناس أن ما انتشر في الأمة من نظريات الفلاسفة، ومذاهب المبتدعة المتقدمين والمتأخرين، جعل قبول مذهب السلف واعتقاده يتوقف في الغالب على تلقيه من الصغر بالبيان الصحيح، وتخطئة ما يخالفه أو طول ممارسة الرد عليهم، ولا نعرف في كتب علماء السنة أنفع في الجمع بين النقل والعقل من كتب شيخي الإسلام «ابن تيمية وابن القيم» رحمهما الله تعالى، وإنني أقول عن نفسي: إنني لم يطمئن قلبي

بمذهب السلف تفصيلاً إلا بممارسة هذه الكتب[1].

ويقول الشيخ محمد حامد الفقي في تفسيره الآية التي قبل هذه وهي الآية ٢٩ من سورة البقرة[2]: ونسأله سبحانه أن يحشرنا مع أولئك الأئمة المهتدين من الصحابة والتابعين وتابعيهم على هذه العقيدة القرآنية المحمدية السلفية التي أوغرت صدر الشيطان وحزبه، وتأبى عليهم عداوتهم لله ورسوله ، إلا أن يكذبوا الله ورسوله ثم يرموا من آمن بالله على ما قال الله وقال رسوله يرمونه بقالة السوء ويتهمونه بالتجسيم والتشبيه والله يعلم أننا من ذلك بريئون[3].

* * *

---

(١) تفسير المنار جـ١ ص٢١٠ .

(٢) حيث ذكرنا في المقدمة ص٤ أن الشيخ حامد الفقي بدأ في تفسير القرآن من أول الفاتحة حتى وصل إلى الآية ١٠٠ من سورة البقرة ، ثم بدأ بعد ذلك من حيث توقف الشيخ رشيد رضا، أي من أول سورة الرعد، وكان ذلك على صفحات مجلة الهدي النبوي .

(٣) مجلة الهدي النبوي - العدد ٢٨ - رجب سنة ١٣٥٨ - الجزء الرابع من السنة الثالثة - ص١٨ .

خطة البحث

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة :

المقدمة :

- أسباب اختيار الموضوع .
- الدراسات السابقة .
- الاتجاه السلفي للتفسير .
- خطة البحث .

تمهيد :

حياة الشيخ ومكانته العلمية وجهوده الدعوية .

المبحث الأول : عصره .

المبحث الثاني : نشأته وحياته – شيوخه وتلاميذه .

المبحث الثالث : مكانته العلمية ومؤلفاته .

المبحث الرابع : جهوده الدعوية .

* الباب الأول : الاتجاه السلفي في تفسير القرآن في العصر الحديث في مصر قبل الشيخ حامد.

الفصل الأول : تفسير الشيخ محمد عبده .

المبحث الأول : حياته .

المبحث الثاني : مؤلفاته .

المبحث الثالث : منهجه في التفسير – ونماذج من التفسير .

الفصل الثاني : تفسير الشيخ محمد رشيد رضا .

المبحث الأول : حياته .

المبحث الثاني: مؤلفاته .

المبحث الثالث: منهجه – في التفسير – ونماذج من التفسير .

* **الباب الثاني : تفسير الشيخ محمد حامد الفقي .**

الفصل الأول : الاختلافات بين تفسير الفقي وتفسير المنار.

المبحث الأول : إكمال تفسير المنار.

المبحث الثاني: عقيدة التوحيد.

المبحث الثالث: التأويل .

المبحث الرابع : رد الأحاديث الصحيحة.

المبحث الخامس: معجزات النبي ﷺ.

الفصل الثاني: منهجه في التفسير .

المبحث الأول : تفسير القرآن بالقرآن .

المبحث الثاني : تفسير القرآن بالسنة الصحيحة .

المبحث الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضي الله عنهم.

المبحث الرابع: تفسير القرآن بلغة العرب.

المبحث الخامس: توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات والقضاء والقدر.

المبحث السادس: علوم القرآن.

المبحث السابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثامن: التحذير من الإسرائيليات.

المبحث التاسع: الوحدة الموضوعية والتفسير الموضوعي.

المبحث العاشر: الاجتهاد وعدم التقليد.

المبحث الثالث: منهجه في التفسير – ونماذج من التفسير .

الفصل الثاني : تفسير الأستاذ الدكتور السيد رزق الطويل.

المبحث الأول : حياته.

المبحث الثاني : مؤلفاته.

المبحث الثالث: منهجه في التفسير – ونماذج من التفسير .

الفصل الثالث: تفسير الأستاذ الدكتور عبد القادر رزق الطويل.

المبحث الأول : حياته.

المبحث الثاني: مؤلفاته.

المبحث الثالث: منهجه في التفسير – ونماذج من التفسير .

* **الخاتمة .**

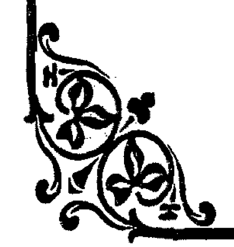
- أهم النتائج .
- التوصيات .

* * *




التمهيد

حياة الشيخ ومكانته العلمية
وجهوده الدعوية




المبحث الأول

عصره

- الحالة السياسية:

في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل عمرو بن العاص، والزبير بن العوام رضي الله عنهما لفتح مصر، ففتحت ودخلها الإسلام(١)، ومنذ ذلك الوقت تتابعت الدول الإسلامية على مصر، فبعد الخلافة الراشدة جاءت الدولة الأموية ثم الدولة العباسية ثم الدولة الفاطمية ثم الأيوبية ثم المماليك البحرية ثم البرجية ثم الدولة العثمانية ١٥١٧هـ، واستمرت الدولة العثمانية منذ السلطان سليم العثماني تحكم مصر عن طريق والٍ من تركيا يلقب بالباشا ومعه قوة عسكرية تحميه وتكون تحت تصرفه ثم يستعينون على حكم البلاد بالمماليك الذين كانوا يلقبون (بالبكوات)، وكانت مدة الوالي التركي لا تزيد عن سنة قابلة للتجديد حسب رغبة السلطان العثماني (ذلك لأن السلطان سليم - خشي لبعد مصر عن مركز السلطنة - أن يطمح ولاتُها إلى الاستقلال بها والخروج على حكومة الآستانة، فجعل مدة الوالي سنة تنتهي ولايته بنهايتها ما لم يصدر فرمان بتجديدها لسنة أخرى)(٢).

(وولاية مصر من أهم ولايات السلطنة العثمانية، ولذلك لا يحصل عليها الباشوات إلا في مقابل إتاوة من المال، والباشا يدفع على الأقل من أربعمائة إلى

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير- ط. دار الكتب العلمية- بيروت- جـ٧- ص ١٠٠، وتاريخ ابن الوردي، ط. دار المعرفة- بيروت -جـ١، ص ٢٢٥.

(٢) تاريخ الحركة القومية - عبد الرحمن الرافعي- دار المعارف- جـ١، ص ٣٠.

خمسمائة ألف ريال قبل أن يصل إلى القاهرة، ولا يوافق للباشا على تجديد ولايته سنة أخرى دون أن يرسل للآستانة هدايا تربو على مائة ألف ريال، وعلى الباشا أن يرسل الخراج السنوي إلى الآستانة وقدره «ستمائة ألف ريال»، وعليه أن يرسل هدايا من السكر والبن والأرز والشراب والحلوى والغلال لا تقل قيمتها عن ستمائة ألف ريال عدا نفقات الحج ونفقات الجنود بمصر).

وفي مقابل هذه النفقات يتصرف الباشا في الإيرادات التي تخص السلطان في مصر ويحصل منها كل سنة بعد سد نفقات الجند على أكثر من اثني عشر مليون فرنك، وإلى الباشا تئول تركات المتوفين بلا عقب، ويكثر دخله من هذه الناحية إذا وقع وباء في البلاد[1].

* * *

(١) تاريخ الحركة القومية، عبد الرحمن الرافعي، ط. دار المعارف، جـ١، ص ٣٩.



سؤال يظل ماثلًا في الأذهان: ما الذي جعل نابليون يأتي معه - وهو قد أتى لاحتلال مصر - بهؤلاء العلماء الفرنسيين وهذه المطبعة الفرنسية والعربية، وهذه المقدمات للنهضة الأوربية الحديثة وهذه الإفرازات للثورة الصناعية الأوربية؟ هل ليقول للناس إن الله بعثنا لكم لتنهضوا صناعيًّا مثل نهضتنا؟ أو ليقول لهم هذه هي حضارتنا الحديثة التي تحتاج لاستمرارها ودوامها : الوقود والمواد الخام والثروات الموجودة في بلادكم فعليكم أن تعطوها لنا؟

إن الحملة الفرنسية ذاتها على مصر هي من إفرازات الثورة الفرنسية المتمردة على الدين.

لقد جاء نابليون لاستعمار مصر وهو يقول للمصريين: إنه جاء ليخلصهم من ظلم المماليك[(١)]، [(٢)].

إن حديثنا عن عصر الشيخ يجعلنا نتساءل : متى بدأ هذا العصر؟

هل بدايته تحسب منذ انقضاء الدولة العثمانية وسقوط الخلافة؟

وقد كان لذلك مقدمات فى أوروبا تبدأ بظهور الثورة الفرنسية وظهور الفكرة القومية فى فرنسا ثم تطورت خلال ما يزيد عن قرن من الزمان حتى استطاعت إسقاط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤م، وكان للثورة الفرنسية أيضًا تأثير آخر فى مصر يتمثل فى الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م وأثرت الحملة الفرنسية فى ظهور المقاومة الأهلية التى كانت هى السبب فى النهاية فى بداية عصر محمد على كما

---

(١) تاريخ الحركة القومية، عبد الرحمن الرافعي، ط. دار المعارف، جـ١، ص ٨٨.

(٢) بل هي إنجاز ماسوني، وانظر بروتوكولات حكماء صهيون، البروتوكول الثالث، ترجمة محمد خليفة التونسي ص ١٢٩.

يؤرخ عبد الرحمن الرافعى عن تاريخ الحركة القومية فى مصر فيقول: (وأول دور من أدوارها هو عصر المقاومة الأهلية التى اعترضت الحملة الفرنسية فى مصر، فإن هذه المقاومة كانت أول شرارة أشعلت جذوة الروح القومية فى نفوس المصريين... وكان من نتائجه بعد انتهاء الحملة الفرنسية ثورة الشعب على حكم المماليك ثم على الوالي التركي ثم المناداة بمحمد علي واليًا مختارًا على مصر)(١).

إذن نستطيع القول بأن المقاومة الأهلية للحملة الفرنسية على مصر أدت إلى بداية عصر جديد وهو عصر أسرة محمد علي وهذا الذي نستطيع أن نجعله بداية العصر الذي نشأ فيه الشيخ، وهو بدأ في مصر منذ عام ١٨٠٥م، واستمر محمد علي في الحكم حتى مات عام ١٨٤٩م، وتولى الحكم في حياته ابنه إبراهيم باشا حتى مات في حياة أبيه محمد علي ثم أعقبه عباس حلمي الأول ابن أحمد طوسون باشا حفيد محمد علي وأكبر ذكور الأسرة في ذلك الوقت ١٨٤٨- ١٨٥٤م ثم محمد سعيد باشا ابن محمد علي ١٨٥٤- ١٨٦٣م ثم الخديوي إسماعيل بن إبراهيم باشا منذ ١٨٦٣م حتى تم عزله عام ١٨٧٩م نتيجة لسياسته المالية السيئة عزله السلطان عبد الحميد الثاني بضغط من إنجلترا وفرنسا في ١٨٧٩م وتوفي بالآستانة ١٨٩٥م ودفن بالقاهرة.

وقام بالحكم في مصر بعده ابنه الخديوي محمد توفيق بن إسماعيل باشا بن إبراهيم باشا عام ١٨٧٩م وقامت ضده الثورة العرابية في قصر عابدين ١٨٨١م واحتلت بريطانيا مصر ١٨٨٢م واستمر توفيق في الحكم حتى وفاته عام ١٨٩٢م.

ثم تولى الحكم بعده الخديوي عباس حلمي الثاني ابن الخديوي محمد

---

(١) عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية في مصر، دار المعارف، جـ ١، ص ٢٤، ٢٥ بتصرف.

توفيق بن إسماعيل منذ عام ١٨٩٢م وعزل في ١٩ سبتمبر ١٩١٤م حيث نشبت الحرب العالمية الأولى، ثم تولى السلطان حسين كامل بن إسماعيل باشا ابن إبراهيم باشا سنة ١٩١٤، وتوفي سنة ١٩١٧م، وأصبحت مصر سلطنة بإعلان بريطانيا الحماية عليها، فخرجت من سلطات تركيا، ثم الملك فؤاد الأول بن إسماعيل باشا بن إبراهيم باشا من سنة ١٩١٧ حتى توفي سنة ١٩٣٦، ثم الملك فاروق الأول من عام ١٩٣٦م حتى قيام الثورة عام ١٩٥٢م[١].

وقد ولد الشيخ عام ١٨٩٢م أي في بداية حكم الخديوي عباس حلمي الثاني.

***

(١) المصدر السابق جـ١، جـ٢ بتصرف.



المبحث الثاني

نشأته وحياته

مولده :

وُلد – رحمه الله – بقرية جزيرة نكلا العنب في سنة ١٣١٠هـ، وكان وهو صغير قد نقش هذا التاريخ على ذراعه الأيسر بالوشم، وتوافق هذه السنة سنة ١٨٩٢ ميلادية، وقرية جزيرة نكلا العنب من قرى مركز شبراخيت، مديرية البحيرة، تقع على الشاطئ الأيسر لفرع رشيد على مسافة ١٢٨[١] كيلو مترًا تقريبًا من القناطر الخيرية، وسميت جزيرة لأن مياه النيل كانت تحيط بها أيام الفيضان من جهاتها الأربع قبل إنشاء جسر النيل الحالي الذي أنشئ منذ ١٢٠ سنة تقريبًا.

ونسبت هذه الجزيرة لنكلا العنب، وهي بلدة كبيرة تجاور هذه القرية، ونسبت الجزيرة إليها لأنها هي الأصل، وكلمة نكلا قد رأيتها في الخرائط القديمة مكتوبة نخلة، ويغلب على الظن أن تكون نكلا محرفة عن نخلة.

أما العنب: فلأن هذه المنطقة كانت في الأصل تزرع بأشجار فاكهة العنب وإن كانت زراعته فيها الآن قليلة جدًّا.

وساوت جزيرة نكلا بلدة القصابة، مديرية الغربية على الضفة اليمنى للنيل، وليس بين القريتين إلا عرض فرع النيل[٢].

أبواه:

ولد الفقيد رَحِمَهُ اللهُ من أبوين كريمين، فوالده الشيخ سيد أحمد عبده الفقي،

(١) ونكلا العنب هذه تختلف عن نكلا مركز إمبابة مديرية الجيزة (محافظة الجيزة حاليًا).

(٢) مجلة الهدي النبوي– مجلد ٢٣، عدد ٧، ٨ ص ٢٩٨.

كان زميلًا في الدراسة بالأزهر الشريف للأستاذ الإمام محمد عبده رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١).

فقد حدثني والدي رحمه الله عن ذلك، وقال: إنه كان يساكنه في بيت واحد بشارع الباطنية، ولم يتم الوالد الدراسة بالأزهر لظروف اضطرته إلى تركها بعد أن قطع فيها شوطًا بعيدًا، وهو إن كان قد انقطع من الأزهر الشريف إلا أنه لم ينقطع عن الدراسة بالقرية، فدرس فيها تفسير القرآن وأحاديث البخاري.

أما والدته: فقد كانت السيدة الوحيدة في القرية التي تحفظ القرآن الكريم وتجيد القراءة والكتابة.

وبين هذين الوالدين الكريمين(٢) نما وترعرع وحفظ القرآن الكريم، وأتم حفظه في شهر رمضان سنة ١٣٢٢هـ، إذ كانت سنه وقتذاك اثني عشر عامًا.

ولقد كان والده رحمه الله أثناء تحفيظه القرآن يوضح له معاني الكلمات الغريبة، ويعلمه مبادئ الفقه مما جاء بالآيات القرآنية، كما كان يعلمه المواقف وأسبابها والغن والمد وغيرها من علم الترتيل، حتى إذا أتم حفظ القرآن كان ملمًّا إلمامًا خفيفًا بعلومه ومهيئًا في الوقت ذاته لتلقي العلوم بالأزهر الشريف على الطريقة التي كانت متبعة وقتذاك(٣).

---

(١) نقلته كما هو للدلالة على مدى حب أنصار السنة للإمام محمد عبده خلافًا لغيرهم ممن يتهمونه هو وشيخه جمال الدين الأفغاني بالمروق من الدين، مع الإقرار بأن الترضي للصحابة فقط والرحمة لمن بعدهم؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

(٢) يشير إلى حديث كعب بن مالك عن رسول الله ﷺ «أفضل الناس مؤمن بين كريمين» رواه الطبراني وأحمد، وقال الألباني في صحيح الجامع (صحيح).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مجلد ٢٣، عدد ٧، ٨، ص ٢٩٨، والمقالة لمحمد شية الحمد الفقي شقيق الشيخ.

قدومه إلى الأزهر:

كان والده رحمه الله قد قسم أولاده الكبار على المذاهب الأربعة المشهورة ليدرس كل واحد منهم مذهبًا منها، وكان المسئول عن تنفيذ هذه القسمة الأخ الأكبر لهم، وهو الشيخ عبد الرزاق الفقي، وكان نصيب الشيخ محمد حامد الفقي أن يدرس المذهب الحنبلي، ولكنه عندما ذهب إلى الأزهر لينفذ ذلك وجد عقبة في الطريق، تلك العقبة هي أن رواق الحنابلة كان يدرس به ثلاثون طالبًا ومعهم شيخ من العلماء... عرض على أحدهما دخول الشيخ محمد حامد الفقي معهم في الرواق لدراسة المذهب الحنبلي، كان الشيخ حريصًا على دنياه فقال: إنكم تريدون إدخاله إلى الرواق ليأخذ جراية منه، وعند ذلك سيقل نصيب كل واحد منا من الجراية فرفض أن يدرس معهم مذهب الحنابلة، فانتسب بالأزهر وقيد في دفاتره حنفيًّا(١).

دراسته بالأزهر:

بدأ محمد حامد الفقي دراسته بالأزهر في عام ١٣٢٢هـ، ١٩٠٤م، وكان الطلبة الصغار وقتذاك يبدءون دراستهم في الأزهر بعلمين هما: علم الفقه وعلم النحو، وكانت الدراسة المقررة كتبًا لا سنوات(٢)، فيبدأ الطالب الحنفي في الفقه بدراسة مراتب الفلاح، ويبدأ في النحو بكتاب الكفراوي، وهذان الكتابان هما السنة الأولى الدراسية، ولا ينتقل منها الطالب حتى يتقن فهم الكتابين.كان آخر كتاب في النحو هو الأشموني.

أما الفقه: فحسب المذاهب، ففي الحنابلة: الدليل، وعند الشافعية التحرير،

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مجلد ٢٣، عدد ٧، ٨، ص ٢٩٩ بتصرف.

(٢) هذه الطريقة في التعليم قد غفلنا عنها الآن وتمسك بها الغرب، فانتبه.

وعند الحنفية: الهداية، وعند المالكية: الخرشي.

أما بقية العلوم الأخرى كالمنطق وعلم الكلام والبلاغة وأصول الفقه فكان الطالب لا يبدأ في شيء منها إلا بعد ثلاث سنوات.

بدأ الشيخ محمد حامد الفقي دراسته في النحو بكتاب الكفراوي، وفي الفقه بكتاب مراقي الفلاح، وفي سنته الثانية درس كتاب الشيخ خالد في النحو وكتاب في الفقه، ثم بدأ العلوم الإضافية بالسنة الثالثة، فدرس علم المنطق، وفي الرابعة درس علم التوحيد، ثم درس في الخامسة مع النحو والفقه علم الصرف، وفي السادسة درس علوم البلاغة وفي هذه السنة وهي سنة ١٩١٠م بدأ دراسة الحديث والتفسير وكان سنه وقتذاك ثمانية عشر عامًا، فأنار الله بصره وبصيرته بهدي رسول الله ﷺ وتمسك بسنته لفظًا وروحًا، مما أثر فيه بعد ذلك فانطلق يدعو ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

ولما أمعن الشيخ في دراسة الحديث على الوجه الصحيح ومطالعة كتب السلف الصحيحة والأئمة الكبار أمثال ابن تيمية وابن القيم وابن حجر والإمام أحمد بن حنبل والشاطبي وغيرهم، فدعا إلى التمسك بسنة الرسول الصحيحة والبعد عن البدع ومحدثات الأمور، وأن ما حدث لأمة الإسلام من نكبات بسبب بعدها عن السنة الصحيحة وانتشار الشرك والبدع والخرافات والمخالفات، فالتف حوله نفر من إخوانه وزملائه وأحبابه واتخذوه شيخًا لهم وكان سنه عندها ثمانية عشر عامًا سنة ١٩١٠ بعد أن أمضى ست سنوات من دراسته بالأزهر، وهذا دلالة على نبوغ الشيخ المبكر.

وظل يدعو بحماسة من عام ١٩١٠م حتى إنه قبل أن يتخرج من الأزهر عام ١٩١٧ دعا زملاءه أن يشاركوه ويساعدوه في نشر الدعوة للسنة الصحيحة

والتحذير من البدع، ولكنهم أجابوه بأن الأمر صعب، وأن الناس سوف يرفضون ذلك فأجابهم: إنها دعوة السنة والحق، والله ناصرها لا محالة، فلم يجيبوه بشيء.

فأخذ على عاتقه نشر الدعوة وحده مستعينًا بالله، فتخرج عام ١٩١٧ بعد أن نال شهادة العالمية من الأزهر وهو مستمر في الدعوة وكان عمره عندها ٢٥ سنة.

وحدثت ثورة ١٩١٩م وكان له موقف منها، بأن خروج الاحتلال لا يكون بالمظاهرات التي تخرج فيها الرجال والنساء متبرجات، ولا تحرر فيها عقيدة الولاء والبراء لله ثم لرسوله ﷺ، ولكنه بالرجوع لسنة الرسول ﷺ وترك ونبذ الشرك والبدع وإنكاره لمبادئ الثورة (الدينُ لله والوطن للجميع) (وأن حجاب المرأة من التخلف) وانتهت الثورة وظل على موقفه هذا.

وظل بعد ذلك يدعو عدة أعوام حتى أذن الله تعالى وتم إشهار ثمرة هذا المجهود وهو إنشاء جماعة أنصار السنة المحمدية التي هي ثمرة سنوات الدعوة من ١٩١٠ إلى ١٩٢٦م عام إشهارها. ثم إنشاء مجلة الهدي النبوي فصدر العدد الأول في ١٩٣٦م(١).

شيوخه:

أما عن شيوخ الشيخ محمد حامد الفقي فقد تميزت فترة طلبه للعلم بقسمين رئيسيين الأول هو دخوله الأزهر وتخرجه منه ولا شك أنه كان له شيوخه بالأزهر منهم أسماء كثيرة غير معروفة الآن ومنهم الأسماء المعروفة لنا الآن مثل الشيخ الشرشابي والشيخ الزنكلوني والشيخ محمد مصطفى المراغي والقسم الثاني هو تتلمذه على الشيخ محمد رشيد رضا حيث كانت موجودة مدرسة الدعاة الذي

---

(١) دعوة أنصار السنة المحمدية وسنوات من العطاء، جمع وترتيب محمود السيد، ط. مكتبة الحرية ص ١١ - ١٣.

أنشأها الشيخ محمد رشيد رضا وتوقفت أيام الحرب العالمية الأولى التي بدأت منذ عام ١٩١٤م وكان الشيخ حامد الفقي في هذه الفترة طالبًا للعلم حيث إنه من مواليد ١٨٩٢م وكان ذلك أيضًا قبل تخرجه من الأزهر فقد تخرج من الأزهر عام ١٩١٧م وكان الشيخ حامد دائمًا يصف الشيخ محمد رشيد رضا بقوله أستاذنا، وكان الشيخ حامد يعمل كذلك بمطبعة المنار لصاحبها الشيخ محمد رشيد رضا، ولقد كانت نخبة من أكابر الدعاة في مصر تدرس في هذه المدرسة.

وكان من شيوخه أيضًا الشيخ محب الدين الخطيب (١٣٠٣ - ١٣٨٩هـ) (١٨٨٦ - ١٩٦٩م) صاحب المطبعة والمكتبة السلفية في مصر حيث كان الشيخ محمد حامد الفقي يعمل مصححًا فيها وذلك قبل سفره إلى المملكة العربية السعودية[1].

تلاميذه:

كان للشيخ الفقي تلاميذ في مصر وفي كثير من البلاد الإسلامية التي انتشرت فيها دعوة أنصار السنة المحمدية والتي كانت تصل إليها مجلة الهدي النبوي، وكان من تلاميذه الذين استمروا بالجماعة بعده في مصر مثل الشيخ عبد الرزاق عفيفي والشيخ عبد الرحمن الوكيل والدكتور سيد رزق الطويل والدكتور محمد جميل غازي والدكتور محمد خليل الهراس والدكتور عبد الفتاح سلامة والشيخ محمد رشاد الشافعي والشيخ محمد علي عبد الرحيم رحمهم الله جميعًا.

والشيخ محمد عبد الوهاب البنا، والشيخ حسن عبد الوهاب البنا، والشيخ فتحي أمين عثمان، والدكتور عبد القادر الطويل، حفظهم الله، وغيرهم كثير في

---

(١) انظر جهود الشيخ محمد حامد الفقي في نشر العقيدة السلفية ص٨٧ .

مصر وغيرها.

يقول عنه الشيخ عبد الرحمن الوكيل - رحمه الله -: (عاش - رحمه الله - للإسلام، فأحب كل مسلم، لهذا كان له في كل بلد إسلامي تلاميذ وأصدقاء، وكان لهذه التلمذة والصداقة أثر عظيم في انتشار الدعوة وانتشار فروع لها حتى وصلت مختلف أنحاء العالم الإسلامي). وقال عنه أحد طلابه (ومات - رحمه الله - وأنصار السنة المحمدية يملأون الأرض إيمانًا في السودان وسوريا والمغرب والعراق وإندونيسيا وإريتريا وتايوان وأكثر بلاد العالم الإسلامي)[1].

إخوة الشيخ:

١- محمد شيبة الحمد المحامي.

٢- محمد شاكر المحامي.

٣- الشيخ محمد النعماني من العلماء.

٤- الحاج محمد رشيد رضا التاجر.

تاريخ الزواج:

٦ من جمادى الآخرة عام ١٣٥٨هـ الموافق ٢٣ من يوليو ١٩٣٩م بناحية جزيرة نكلا.

أبناؤه:

١- الطاهر محمد الفقي.

٢- سيد أحمد الفقي.

٣- محمد الطيب الفقي - وهو الوحيد الذي عاش بعد وفاة والده.

---

(١) المصدر السابق ص٤٩ .

وفاته:

توفي رحمه الله فجر الجمعة ٧ رجب ١٣٧٨هـ الموافق ١٦ يناير ١٩٥٩م على إثر عملية جراحية أجراها بمستشفى العجوزة، وبعد أن نجحت العملية أصيب بنزيف حاد وعندما اقترب أجله طلب ماء للوضوء ثم صلى الفجر بسورة الرعد كلها.

وبعد ذلك طلب من إخوانه أن ينقل إلى دار الجماعة حيث توفي بها وقد نعاه رؤساء وعلماء من الدول الإسلامية والعربية، وحضر جنازته واشترك في تشييعها من أصحاب الفضيلة: وزير الأوقاف والشيخ عبد الرحمن تاج، والشيخ محمد الحسن، والشيخ محمد حسنين مخلوف، والشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد، والشيخ أحمد حسين، وجميع مشايخ كليات الأزهر وأساتذتها وعلماؤها وقضاة المحاكم(١).

* * *

(١) مقدمة تفسير سورة الرعد - تفسير الشيخ حامد الفقي، ط. مركز التراث والبحث العملي بالمركز العام لجماعة أنصار السنة.



المبحث الثالث :

مكانته العلمية ومؤلفاته

الكتب التي حققها الشيخ محمد حامد الفقي حسب الترتيب الهجائي:

١- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية - لابن القيم.

٢- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام - لابن دقيق العيد.

٣- الأحكام السلطانية - لأبي يعلى محمد الفراء.

٤- الاختيارات الفقهية - لابن تيمية.

٥- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان - لابن القيم.

٦- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم - لابن تيمية.

٧- الأموال - لابن سلام الهروي.

٨- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف - للمرداوي.

٩- الإيمان - لابن تيمية.

١٠- بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام - لابن حجر العسقلاني.

١١- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار - لعبد الرحمن السعدي.

١٢- التبيان في أقسام القرآن - لابن القيم.

١٣- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة - للسخاوي.

١٤- تفسير سورة الإخلاص - لابن تيمية.

١٥- تفسير سورة (الكافرون) والمعوذتين - لابن القيم.

١٦- التفسير القيم - لابن القيم - جمع محمد أويس الندوي.

١٧- تيسير الوصول إلى جامع الأصول - لابن ديبغ الشيباني.

١٨- جامع الأصول من أحاديث الرسول - لابن الأثير.

١٩- جامع البيان في تفسير القرآن - للإيجي الصفوي.

٢٠- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - لابن تيمية.

٢١- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي - لابن القيم.

٢٢- جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود - للسيوطي.

٢٣- الداء والدواء - لابن القيم.

٢٤- الدرة المختصرة في محاسن دين الإسلام - لعبد الرحمن السعدي.

٢٥- الذيل على طبقات الحنابلة - لابن رجب.

٢٦- رأس الحسين رضي الله عنه - لابن تيمية.

٢٧- رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد علي بشر المريسي العنيد.

٢٨- رسائل في مسائل التوحيد - لمحمد بن عبد الوهاب.

٢٩- رسالة في أمراض القلوب - لابن القيم.

٣٠- رسالة في حكم الغناء - لابن القيم.

٣١- رفع الملام عن الأئمة الأعلام - لابن تيمية.

٣٢- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء - لأبي حاتم البستي.

٣٣- زاد المعاد في هدي خير العباد - لابن القيم.

٣٤- شذرات البلاتين من طيبات كلام سلفنا الصالحين - مجموع من رسائل ابن تيمية.

٣٥- شرح رياض الصالحين (دليل الفالحين) - لابن علان الشافعي.

٣٦- شرح الكوكب المنير - اختصار ابن النجار.

٣٧- الشريعة - للآجري.

٣٨- الصارم المسلول على شاتم الرسول - لابن تيمية.

٣٩- الصلاة حقيقتها ومعناها - لأحمد بن حنبل.

٤٠- طبقات الحنابلة - لأبي يعلى.

٤١- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية - لابن القيم.

٤٢- العبودية - لابن تيمية.

٤٣- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين - لتقي الدين الفاسي (أبو الطيب محمد بن أحمد).

٤٤- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - لابن قدامة.

٤٥- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

٤٦- الفتوى الحموية الكبرى - لابن تيمية.

٤٧- الفوائد - لابن القيم.

٤٨- القواعد النورانية الفقهية - لابن تيمية.

٤٩- القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها - لابن اللحام.

٥٠- مجموعة الرسائل الإرشادية إلى الدعوة النبوية والعقيدة السلفية - لعبد الله عبدالعزيز السويل.

٥١- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة - لابن الموصلي.

٥٢- مختصر الفتاوى المصرية، لابن تيمية - للشيخ محمد بن علي البعلي.

٥٣- مختصر سنن أبي داود للمنذري - التحقيق بالاشتراك مع الشيخ أحمد محمد شاكر.

٥٤- مختصر سيرة الرسول ﷺ - لمحمد بن عبد الوهاب.

٥٥- مدارج السالكين - لابن القيم.

٥٦- المسائل الماردينية - لابن تيمية.

٥٧- معارج الألباب في مناهج الحق والصواب - لحسن بن مهدي.

٥٨- مقام إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - لعبد الرحمن المعلمي.

٥٩- المنتقى من أخبار المصطفى - للمجد بن تيمية.

٦٠- منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات ابن جرجيس - لعبد اللطيف آل الشيخ.

٦١- موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول - لابن تيمية.

٦٢- نظرية العقد - لابن تيمية.

٦٣- نفائس - لابن تيمية.

٦٤- نقض المنطق - لابن تيمية.

٦٥- وسيلة الراغبين وبغية المستفيدين في علم الفرائض - لابن سلوم.

٦٦- الوصية الكبرى - لابن تيمية(١).

* * *

---

(١) مقدمة تفسير سورة الرعد - للشيخ حامد الفقي - إعداد مركز التراث والبحث العلمي بالمركز العام لجماعة أنصار السنة - القاهرة ص٧ - ٩، وجماعة أنصار السنة - نشأتها - أهدافها - منهجها - جهودها - رسالة دكتوراه، مقدمة من د. أحمد محمد طاهر - لجامعة أم القرى - مكة المكرمة - طبعتها جماعة أنصار السنة - المركز العام - القاهرة ص١٧١، ١٧٢، وجهود الشيخ محمد حامد الفقي في نشر العقيدة السلفية - رسالة ماجستير مقدمة من موفق بن عبد الله علي كدسة - لجامعة أم القرى - مكة المكرمة ص٧٨ - ٨٢.

مؤلفات الشيخ محمد حامد الفقي - رحمه الله تعالى -:

١- نور من القرآن - وهو عبارة عن محاضرات ودروس ألقاها الشيخ في دار الجماعة قام بجمعها محمد رشدي خليل.

٢- أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها - وهو عبارة عن محاضرات ألقاها في دار الجماعة جمعت بعد ذلك ثم طبعت[١].

٣- أزهار من رياض سيرة الإمام العادل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وهو مؤلف صغير يوجد بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم ١٣٠٠٥، ٥٣ / ف م، كتب فيه عن سيرة الملك عبد العزيز - رحمه الله - منذ نشأته ثم توليه الملك، وذكر مآثره ومواقفه في قضايا العالم الإسلامي، ومواقفه الحسية والمعنوية مع جماعة أنصار السنة المحمدية[٢].

٤- كشف اللثام عن الغش الذي أحدثه الدساسون في عقائد الإسلام - وهي رسالة صغيرة في الرد على الصوفية في ٣٦ صفحة من القطع الصغير.

٥- رسالة بدعة الاحتفال بذكرى مولد النبي ﷺ، وقد طبعت ضمن كتاب (رسائل في الشرك والبدع) في ٢١ صفحة[٣].

٦- هدي الرسول الأكرم في الحج والعمرة إلى بيت الله المعظم - رسالة طبع دار السنة المحمدية للطباعة.

٧- دروس رمضانية - رسالة طبع جماعة أنصار السنة المحمدية.

٨- تفسير القرآن على صفحات مجلة الهدي النبوي من أول الفاتحة حتى الآية

---

(١) جهود الشيخ محمد حامد الفقي في نشر العقيدة السلفية - رسالة ماجستير ص٧٠.

(٢) جماعة أنصار السنة المحمدية - رسالة دكتوراه ص١٧١.

(٣) جهود الشيخ محمد حامد الفقي في نشر العقيدة السلفية ص٧٠.

رقم ١٠٠ في سورة البقرة ثم سورة الرعد ثم سورة إبراهيم ثم سورة الحجر ثم سورة النحل ثم ١١ آية من سورة الإسراء وقد تم طبع سورة الرعد وسورة إبراهيم وسورة الحجر وسورة النحل كل سورة في مجلد مستقل ثم سورة الإسراء في مجلد بالاشتراك مع الشيخ عبد الرحمن الوكيل طبع مركز إحياء التراث والبحث العملي بالمركز العام لجماعة أنصار السنة.

٩- شرح أحاديث الأحكام - وهو شرح لكتاب المحرر لابن عبد الهادي - على صفحات مجلة الهدي النبوي - حيث ذكر منهجه في شرحه - فقال:

سأعتمد في عملي هذا على أمهات الكتب في فقه الحديث، كفتح الباري والنووي على مسلم، والمغني لابن قدامة، ونصب الراية - ونيل الأوطار، وشرح العمدة لابن دقيق العيد، وسبل السلام للصنعاني، وما أجده من كلام الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، في الأحكام وأمثالها على وجه التحقيق والتمحيص للأقوال المختلفة واستخلاص المذهب الحق منها، مؤيدًا بالدليل على قدر الاستطاعة وجهد المقل[١].

١٠- مجلة الإصلاح - التي أسسها الشيخ محمد حامد الفقي بمكة المكرمة وهي أول مجلة تصدر في المملكة العربية السعودية - واستمرت سنتين ثم توقفت وكانت تصدر كل نصف شهر منذ ١٣٤٧هـ حتى ١٣٤٩هـ.

١١- مجلة الهدي النبوي - وقد أسسها أيضًا الشيخ محمد حامد الفقي لتكون لسان حال جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر وبدأ إصدارها عام ١٣٥٦هـ حتى عام ١٣٨٧هـ وكانت مجلة شهرية.

---

(١) مجلة الهدي النبوي - مجلد ٣ عدد ١ ص١٣ .

المبحث الرابع

جهود الشيخ الفقي في الدعوة إلى الله

بدأ الشيخ حياته العملية في الإمامة والخطابة حيث تنقل بين مساجد كثيرة، إلا أنه لم يطل به المقام إلا في مسجدين اثنين، الأول مسجد شركس الذي بدأ منه دعوته إلى التوحيد الصحيح والسنة الصحيحة حيث استطاع أن يوجد له قاعدة جيدة من محبيه الذين تأثروا بدعوته ومنهجه السلفي، ثم بعد ذلك انتقل إلى مسجد الهدارة بحي عابدين والذي كان قريبًا من قصر الحكم.

وعمل الشيخ رحمه الله في مدرسة الدعاة التي أسسها الشيخ رشيد رضا والتي كان يدرس بها نخبة من كبار الدعاة في مصر.

وكذلك عمل في مطبعة المنار وقتًا لا بأس به وعمل في المطبعة السلفية في مصر لصاحبها محب الدين الخطيب حيث كان مصححًا ومشرفًا فيها.

وقد أكسبه هذا العمل خبرة جيدة ساهمت في إصداره لمجلة الإصلاح في مكة المكرمة بعد ذلك.

ثم تم تأسيس جماعة أنصار السنة المحمدية عام (١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م) بمدينة القاهرة كجمعية دعوية بغرض الدعوة إلى التوحيد الخالص وإنكار البدع والمحدثات وتعليم الناس الدين الصحيح ثم سافر الشيخ إلى المملكة العربية السعودية حيث مكث فيها ثلاث سنوات، كان فيها من المقربين إلى الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - فأسند إليه الكثير من الأعمال نظرًا للمكانة العالية التي حظي بها عنده، ومن هذه الأعمال:

١- تم تعيينه عضوًا في مراقبة الدروس والتدريس في المسجد الحرام تحت رئاسة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ.

٢- تم تعيينه مدرسًا بالمسجد الحرام.

وقد صدر أمر الملك عبد العزيز - رحمه الله - بهذا التعيين ونشرته جريدة أم القرى بتاريخ الجمعة ١٨ محرم سنة ١٣٤٧هـ.

٣- تم تعيينه عضوًا في مجلس إدارة المعارف. وقد صدر أمر الملك عبد العزيز - رحمه الله - بهذا ونشر في جريدة أم القرى في نفس العدد السابق.

٤- تم تعيينه رئيسًا لشعبة الطبع والنشر لمديرية المعارف وقد صدر أمر الملك عبد العزيز - رحمه الله - بهذا في ١٣ محرم ١٣٤٧هـ، ونشرته جريدة أم القرى بتاريخ ٢٥ محرم سنة ١٣٤٧هـ.

٥- تم تعيينه مدرسًا بالمعهد العلمي بمكة المكرمة، إذ كان اسمه بداية المعهد الإسلامي السعودي واستمر به حتى عاد إلى مصر.

٦- تم تعيينه مدرسًا للمطوفين بالمسجد الحرام حيث صدر الأمر بالموافقة على ذلك، ونشر في مجلة أم القرى بتاريخ الجمعة ١٢ صفر ١٣٤٧هـ ص٢ في عدد رقم ٢٣٨ .

٧- ومن الأعمال التي قام بها - رحمه الله - تأسيسه لمجلة الإصلاح والإشراف عليها وقت وجوده في المملكة حيث صدر العدد الأول في يوم الأربعاء ١٥ صفر ١٣٤٧هـ إذ كانت تصدر مرتين في الشهر.

وبعد عودة الشيخ إلى مصر استمر في رئاسة جماعة أنصار السنة المحمدية والدعوة إلى الله من خلالها.

وكذلك قام بتأسيس مجلة الهدي النبوي لتكون لسان حال جماعة أنصار السنة للدعوة إلى الله أيضًا ونشر التوحيد الصحيح حيث صدر العدد الأول منها في شهر ربيع عام ١٣٥٦هـ.

واستمر الشيخ رحمه الله في رئاسة جماعة أنصار السنة المحمدية حتى أصبح لها العديد من الفروع في جميع محافظات مصر وكذلك نشأت جماعات على نفس المنهج في الكثير من البلاد الإسلامية في غير مصر، واستمر كذلك في رئاسة تحرير مجلة الهدي النبوي حتى توفاه الله عام ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م[١].

وكتب في مجلة الهدي النبوي باب تفسير القرآن والذي تكلمنا عنه سابقًا وغير ذلك من المقالات.

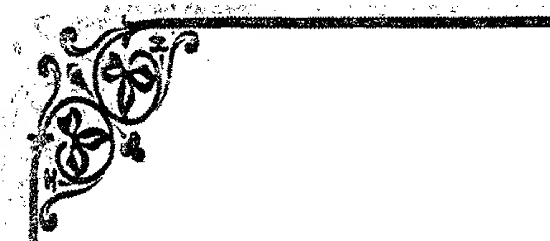
هذا عدا الكتب التي حققها والتي قاربت من سبعين كتابًا وكذلك الكتب التي ألفها بنفسه.

وهذا كما نرى جهد جماعة قام به فرد واحد وهو الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله تعالى.

* * *

---

(١) جهود الشيخ محمد حامد الفقي في نشر العقيدة السلفية - موفق بن عبد الله علي كدسة - جامعة أم القرى - ومجلة الهدي النبوي العدد ٩ - ١٣٧٨هـ.




الباب الأول

الاتجاه السلفي في تفسير القرآن

في العصر الحديث في مصر قبل الشيخ حامد الفقي

الفصل الأول: تفسير الشيخ محمد عبده

الفصل الثاني: تفسير الشيخ محمد رشيد رضا









الفصل الأول

تفسير الشيخ محمد عبده






المبحث الأول

حياته

ولد الشيخ محمد عبده عام ١٨٤٩ في قرية على ضفاف دلتا النيل من عائلة تنتمي إلى طبقة العائلات ذات المكانة العلية التي تتصف بالعلم والتقوى، في الثالثة عشرة من عمره دخل الجامع الأحمدي في طنطا، وبعد إتمامه دراسته انتقل إلى الأزهر في القاهرة حيث مكث ثماني سنوات (١٨٦٩ - ١٨٧٧)، وأثناء إقامته في الأزهر تعرف على السيد جمال الدين الأفغاني الذي كان له أكبر الأثر في حياته، فقد كان محمد عبده من أشد الطلاب الملتفين حوله حماسة، والعاملين على نشر أفكاره عبر الكتابة في صحيفة الأهرام في مختلف المواضيع الاجتماعية والسياسية، وبعد تخرجه من الأزهر عام ١٨٧٧ لنيل الشهادة العالمية عين مدرسًا بالأزهر(١).

وكانت هذه المرحلة هي الأولى في حياة محمد عبده حيث تأثر بالسيد جمال الدين الأفغاني(٢) وكان مهتمًا بالسياسة، ولذلك فقد كان للشيخ محمد عبده في هذه الأثناء دور سياسي.

في هذه الفترة ظهرت حركات سياسية كثيرة في مصر، وكان أهمها ثلاث:

---

(١) مقدمة تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت. جـ١ صـ٤.

(٢) محمد بن صفدر الحسيني، جمال الدين، أحد الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة، ولد في أسعد آباد بأفغانستان (١٢٥٤هـ - ١٨٣٨م)، ونشأ بكابل، وقصد مصر سنة ١٢٨٨هـ، فنفخ فيها روح النهضة الإصلاحية في الدين والسياسة، وتتلمذ له محمد عبده وكثيرون، ونفته الحكومة المصرية عام ١٢٩٦هـ فذهب إلى باريس وأنشأ هو والشيخ محمد عبده جريدة «العروة الوثقى»، توفي بالأستانة (١٣١٥هـ - ١٩٨٧م). «الأعلام» للزركلي بتصرف.

١- الحركة الدينية التي رأت خطر ازدياد النفوذ الأجنبي على استقلال مصر.

٢- حركة الدستوريين التي كانت تسعى لإقامة الحكم الدستوري مكان الحكم المطلق.

٣- حركة الضباط المصريين الذين أرادوا القضاء على سيطرة الضباط الأتراك الشراكسة على الجيش.

هذه الحركات الثلاث تبلورت أخيرًا في حركة واحدة هي حركة المقاومة الشعبية التي استطاعت أن تؤلف حكومة بقيادة أحمد عرابي باشا في أوائل عام ١٨٨٢، هذه

الحكومة لم تستمر طويلًا بسبب التدخل العسكري البريطاني باحتلال البلاد في أيلول (سبتمبر) عام ١٨٨٢، وكان للشيخ محمد عبده دور أساسي ومهم في هذه الأحداث وذلك من خلال مقالاته التحريضية في جريدة الأهرام، بالإضافة إلى أنه كان أحد زعماء الجناح المدني في المقاومة الشعبية؛ لذلك بعد احتلال بريطانيا مصر ألقى القبض عليه وسجن ثم حكم عليه بالنفي خارج مصر لمدة ثلاث سنوات، فتوجه إلى بيروت ثم التحق بالأفغاني في باريس حيث أصدرا مجلة «العروة الوثقى»، وبعد توقف المجلة تنقل محمد عبده في بعض البلدان الإسلامية منها تونس، وعاد إلى مصر متخفيًا، ثم توجه إلى السودان على أمل أن ينخرط في صفوف الحركة المهدية ثم إلى بيروت حيث عمل مدرسًا لمدة ثلاث سنوات[1].

ويبدو أنه خلال هذه الفترة سئم العمل بالسياسة وقرر أن يسلك طريقًا آخر

---

(١) مقدمة تفسير المنار –للسيد محمد رشيد رضا– ط دار الكتب العلمية –بيروت، جـ١، ص ٥.

حيث قال: «أعوذ بالله من السياسة ومن لفظ السياسة ومن معنى السياسة، ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة، ومن كل خيال يخطر ببالي في السياسة ومن كل أرض تذكر فيها السياسة، ومن ساس ويسوس وسائس ومسوس»(١).

وبذلك بدأت المرحلة العلمية من حياته أي اهتمامه بالعمل بالعلوم الدينية، وكذلك تعليمها.

ففي عام ١٨٨٨ عاد إلى مصر، حيث بدأت مرحلة جديدة في حياته، فعين قاضيًا في المحاكم الأهلية، ثم عضوًا في مجلس إدارة الأزهر، حيث حقق عدة إصلاحات. وفي عام ١٨٩٧ ألف رسالة التوحيد، ثم عين مفتيًا للديار المصرية ثم عضوًا في مجلس الشورى عام ١٨٩٩ فقام بعدة إصلاحات في المحاكم المدنية وإدارة الأوقاف؛ وفي هذه الفترة أيضًا أسس جمعية خيرية إسلامية هدفها إنشاء المدارس الخاصة وانتخب رئيسًا لها عام ١٩٠٠ وفي عام ١٩٠٢، وضع كتاب (الإسلام والنصرانية)(٢).

وأيد محمد عبده فكرة المستبد العادل إذ قال في إحدى مقالاته: «مستبد عادل يستطيع أن يعمل من أجلنا في مدة خمسة عشر عامًا ما لا نستطيع عمله من أجل أنفسنا في خمسة عشر قرنًا» ونجد أن الشيخ محمد عبده في المرحلة الثانية من حياته هادن الخديوي والإنجليز بل تعاون معهم أملًا منه في تسهيل إقامة

---

(١) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي. ط مكتبة الرشد – الرياض، ص ١٣٥ نقلاً عن كتاب الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية – محمد عبده، ص ١٢١ – ط مطبعة مجلة المنار – القاهرة – ١٣٢٣هـ، وكان مجموعة مقالات نشرت في مجلة المنار الإسلامي لصاحبها السيد محمد رشيد رضا.

(٢) مقدمة تفسير المنار –إبراهيم شمس الدين– ط. دار الكتب العلمية، بيروت جـ١، ص ٥.

إصلاحات، وخاصة في المجال التربوي.

وانتقد محمد عبده حركة عرابي مؤكدًا أن الشعب لم يكن مستعدًّا بعد للحكم الذاتي، وأنه حتى لو كان مستعدًّا لذلك فمن الخطأ المطالبة بالحكم الذاتي بالضغط العسكري، فإنه يؤدي إلى الاحتلال الأجنبي، فيقول: «إنني أرى الاحتلال الأجنبي قادمًا واللعنة حالة على كل من كان السبب»(١).

وقال عنه الزركلي في الأعلام:

محمد عبده بن حسن خير الله (١٢٦٦- ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩- ١٩٠٥م) من آل التركماني: مفتي الديار المصرية ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام.

تتلخص رسالة حياته في أمرين: الدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد ثم التمييز بين حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة.

ولد في شبرا (من قرى الغربية بمصر) ونشأ في محلة نصر (البحيرة) وأحب في صباه الفروسية والرماية والسباحة. وتعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم بالأزهر. وتصوف وتفلسف. وعمل في التعليم، وكتب في الصحف ولا سيما جريدة الوقائع المصرية، وقد تولى تحريرها، وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين. ولما احتل الإنكليز مصر ساهم وشارك في مناصرة الثورة العرابية فسجن ٣ أشهر للتحقيق، ونفي إلى بلاد الشام، سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨١) وسافر إلى باريس فأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة (العروة الوثقى) وعاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف. وسمح له بدخول مصر، فعاد سنة ١٣٠٦ هـ

(١) المصدر السابق – ص.٦.

(١٨٨٨) وتولى منصب القضاء، ثم جعل مستشارًا فى محكمة الاستئناف، فمفتيًا للديار المصرية (سنة ١٣١٧ هـ) واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية، ودفن فى القاهرة.

له (تفسير القرآن الكريم ط). لم يتمه، و(رسالة التوحيد- ط) و(الرد على هانوتو- ط) و(رسالة الواردات - ط) صغيرة فى الفلسفة والتصوف، و(حاشية على شرح الرواني للعقائد العضدية- ط) و(شرح نهج البلاغة- ط) و(شرح مقامات البديع الهمذاني- ط) و(الإسلام والرد على منتقديه- ط) من مقالاته، و(الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية- ط) كالسابق، و(الثورة العرابية) لم يتمه، وترجم رسالة (الرد على الدهريين- ط).

وللسيد محمد رشيد رضا كتاب جمع فيه آثاره وأخباره وما قيل في رثائه سماه (تاريخ الأستاذ الإمام- ط) في ثلاثة أجزاء كبيرة، ولعثمان أمين كتاب (محمد عبده- ط) ومثله لأحمد الشايب، وللشيخ مصطفى عبد الرازق (سيرة الإمام الشيخ محمد عبده- ط) ولعبد المنعم حمادة (الأستاذ الإمام محمد عبده- ط) (١).

* * *

(١) الأعلام- قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، - دار العلم للملايين - بيروت- لبنان - جـ ٤ ص٢٥٢، ٣٥٢.

المبحث الثاني

مؤلفات الشيخ محمد عبده

نقل خير الدين الزركلي صاحب كتاب الأعلام مؤلفات الشيخ محمد عبده - رحمه الله تعالى - فقال:

١- تفسير القرآن الكريم - مطبوع - ولم يتمه.

٢- رسالة التوحيد - مطبوع.

٣- الرد على هانوتو - مطبوع.

٤- رسالة الواردات - صغيرة - في الفلسفة والتصوف - مطبوع.

٥- حاشية على شرح الدواني للعقائد العضدية - مطبوع.

٦- شرح نهج البلاغة - مطبوع.

٧- شرح مقامات البديع الهمذاني - مطبوع.

٨- الإسلام والرد على منتقديه - مطبوع.

٩- الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية - مطبوع.

١٠- الثورة العرابية - لم يتمه.

١١- ترجمة رسالة الرد على الدهريين - لشيخه جمال الدين الأفغاني - مطبوع.

١٢- وللسيد محمد رشيد رضا تلميذه كتاب جمع فيه آثاره وأخباره وما قيل في رثائه سماه (تاريخ الأستاذ الإمام) - في ثلاثة أجزاء كبيرة - مطبوع.

١٣- ولعثمان أمين كتاب محمد عبده - مطبوع.

١٤- ومثله لأحمد الشايب.

١٥- وللشيخ مصطفى عبد الرازق (سيرة الإمام الشيخ محمد عبده) - مطبوع.

١٦- ولعبد المنعم حمادة (الأستاذ الإمام محمد عبده) - مطبوع.



المبحث الثالث

منهج الشيخ محمد عبده في تفسير القرآن

في كتاب منهج الشيخ محمد عبده في التفسير وهو رسالة الماجستير للدكتور عبد الله شحاتة - رحمه الله تعالى - وضح أن هذا المنهج يقوم على تسعة أسس:

١- اعتبار السورة وحدة متناسقة، أي ما نطلق عليه بتعبير آخر الوحدة الموضوعية للسورة.

٢- عموم القرآن وشموله: فمعاني القرآن عامة وشاملة وإرشاده مستمر إلى يوم القيامة، وأن العبرة في فهم الآيات بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٣- القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع: فلا يقدم عليه أي مذهب من المذاهب ولا أي قانون من القوانين.

٤- محاربة التقليد: فقد دعى القرآن إلى إقامة الحجة والدليل ودعى كذلك إلى البحث والاستنباط وهو في ذلك مساير أيضًا للتطور، والاجتهاد باق ومستمر ولن ينقطع إلى قيام الساعة وكان السلف الصالح كلهم يحاربون التقليد.

٥- أعمال النظر والفكر واستخدام المنهج العلمي في البحث والاستنباط: فقد سبق القرآن في الدعوة إلى النظر والتأمل كل الدعوات التي جاءت بعده وقام عليها الفكر الحديث، وعقد مقارنة بين الأديان في حرية الفكر واحترام العقل، ولذلك فإن القرآن يقوم أيضًا على الإقناع وعدم الإكراه.

٦- تحكيم العقل والاعتماد عليه في فهم آيات القرآن: حيث أنه لا تعارض بين العقل السليم ونصوص القرآن ولكن هذه النزعة أوقعت الشيخ محمد عبده في بعض المخالفات العقدية لجمهور المسلمين منها مفهوم الملائكة عند الإمام محمد عبده وكذلك رأيه في خلق عيسى ورفعه حيًا ورأيه في الجن والسحر وإنكاره

واقعة سحر الرسول ﷺ.

٧- ترك الإطناب في الكلام عما ورد في القرآن بصورة مبهمة: فالمبهم يترك بدون تبيين طالما لم يبين في القرآن فإذا كانت هناك حاجة لتبيينه لبينه الله لنا.

٨- التحفظ في الأخذ بما سمي بالتفسير المأثور والتحذير من الإسرائيليات: وذلك لوجود كثير من الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة في كثير من التفاسير المأثورة فلا بد من توضيح هذه الإسرائيليات والموضوعات وتحذير الناس منها وعدم الأخذ إلا بالصحيح فقط.

٩- اهتمامه بتنظيم الحياة الاجتماعية على أساس من هدي القرآن: فالقرآن ينظم المجتمع الإسلامي على أساس قوي متين يوضح فيه حق الفرد وحق المجتمع، والعبادات لها حكمة من تشريعها تتعدى المصلحة الشخصية، والدعوة إلى تقوية شخصية المسلم، واهتمام القرآن بالدعوة إلى التعليم ومحاربة الإسراف والترف، ويعلم المسلمين آداب السلوك الإسلامي.

هذا هو منهج الشيخ محمد عبده - رحمه الله تعالى - في تفسيره للقرآن كما عرضه الدكتور عبد الله شحاتة - رحمه الله تعالى - في رسالته للماجستير في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة(١).

---

(١) انظر كتاب الإمام محمد عبده بين المنهج الديني والمنهج الاجتماعي - للدكتور عبد الله شحاتة - طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب - سلسلة تاريخ المصريين.

* ومما يجدر الإشارة إليه أن الشيخ محمد عبده (ت١٨٤٩هـ - ١٩٠٥م)، والذي نقول: إنه هو الذي بدأ الاتجاه السلفي لتفسير القرآن في مصر في العصر الحديث لم يكن له شيوخ في هذا الأمر، بدليل أنه كان في دروسه للتفسير يتوكأ على تفسير الجلالين (جلال الدين السيوطي ت٩١١هـ وجلال الدين المحلي ت٨٦٤هـ)، فلو كان قد سبقه أحد في عصره لأشار إلى ذلك في تفسيره، أو أشار السيد رشيد رضا في تفسيره إلى ذلك، ولا نجد هذه الإشارة، بل كان من عادة الشيخ محمد عبده أنه لا يقرأ =

نماذج من تفسير الشيخ محمد عبده :

ألف الشيخ محمد عبده تفسير جزء عم يتساءلون وكان ذلك بطلب بعض أعضاء الجمعية الخيرية الإسلامية التي أسسها، ليكون مرجعًا للأساتذة لمدارس الجمعية في تفهيم التلامذة معاني ما يحفظون من هذا الجزء وكذلك من جزء تبارك الذي بيده الملك وكانت النية متجهة لتفسير جزء تبارك ولكن الموت حال دون ذلك.

فقال في مقدمة تفسير جزء عم يتساءلون:

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم، فتحت لي يا رب أبواب فضلك، وعرفتني ما شئت من أسرار قولك، فبأي لسان أحمدك، وبأية جارحة أشكرك، أسألك المعونة على بيان الحق، لإرشاد المستعدين لقبوله من الخلق، وأن تجعل الكلمة العليا لكتابك المبين، والسلطة العظمى لهدي خاتم المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى جميع النبيين، ومن تبعهم على الصراط المستقيم، واقتفى أثرهم في

= التفاسير السابقة قبل أن يفسر الآيات حتى لا يتأثر بها، وانظر تفسير المنار ج١ ص١٨، ١٩، ط. دار الكتب العلمية – بيروت، وربما كان هذا الإلهام من الله تعالى هو السبب في بداية الاتجاه السلفي للتفسير في مصر بعد انقطاعه مئات السنين.

ولكننا نقول أيضًا : إن السيد رشيد رضا قد صوب كثيرًا من الأخطاء التي وقع فيها الشيخ محمد عبده في تفسيره، وكذلك الشيخ محمد حامد الفقي وتلاميذه قد صوبوا كثيرًا من الأخطاء التي وقع فيها الشيخ السيد رشيد رضا في تفسيره.

ومن الإنصاف أيضًا أن نقول: إن الشيخ محمد عبده قد تأثر في منهج الاستهداء بآيات القرآن والذي نسميه بتسميته الحقيقة (المنهج السلفي) بشيخه جمال الدين الأفغاني، وانظر ص٦١ – ٧٣ من هذه الرسالة.

الصالحات والسير القويم، وارشد اللهم هذه الأمة العانية، إلى ما فيه لها السلامة والعافية، ولا تجعلها حربًا للهادين المهتدين، ولا فتنة للضالين المضلين[1].

وكان في بداية كل سورة يذكر بما هو معروف عنه من منهجه وهو الوحدة الموضوعية في السورة، ففي بداية سورة النبأ يقول: كان غير المؤمنين يسأل بعضهم بعضًا عن رسالة النبي ﷺ ويسألون غيرهم فيقولون هل هو رسول وما هذا الخبر الذي جاء به عن دعوى أنه مرسل من قبل الله يدعو إلى توحيده وإلى الاعتقاد باليوم الآخر وهو يوم القيامة يوم يسأل كل عامل عما عمل فبكتهم الله بقوله: عن أي شيء يتساءلون، ثم قال عن الخبر العظيم الذي هم مختلفون فيه بعضهم ينكره وبعضهم يتردد في صحته، ثم رد عليهم الأفكار والتردد بقوله: كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون أي ستنكشف لهم الحقيقة ويرون صحة الخبر وتنقطع الريبة فيه يوم تقوم الساعة ويفصل بينهم، ثم ذكرهم بدلائل قدرته وآيات رحمته فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ [النبا: ٦]... إلخ. أي أن من ينعم على الناس هذه النعم العظيمة لا يهملهم من إرسال داع إلى توحيده من بعدما ضلوا عنه وهاد إلى طريقه المستقيم، ومذكر بيوم الحساب، وليس بعظيم على صاحب هذا الإحسان أن يرسل ذلك الرسول ولا أن يحقق ما يدعو إلى الاعتقاد به من شئون اليوم الآخر وهي ما ذكر في قوله إن يوم الفصل... إلخ[2].

وهكذا نجد أن أسلوبه في التفسير أسلوب أدبي رفيع، والأمثلة كثيرة نقلها الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار حيث كان ينقل تفسير الشيخ محمد عبده من أول المصحف إلى الآية رقم ١٢٦ من سورة النساء حيث توقف الشيخ محمد

(١) تفسير جزء عم - للشيخ محمد عبده - ط. مطبعة المنار - بمصر ١٣٢٩هـ ص٢ .
(٢) المصدر السابق ص٣ .

عبده بسبب الوفاة، ولكننا آثرنا نقل نماذج من تفسير الشيخ محمد عبده في تفسير جزء عم لأنه فسره بنفسه ولأنه كان ذلك أيضًا في أواخر حياته حيث قال في نهاية تفسير جزء عم: قال مؤلفه الأستاذ الإمام رحمه الله: فرغ منه منتصف الساعة السادسة بعد الظهر من يوم الأحد ٢٣ أغسطس سنة ١٩٠٣م في مدينة جنيف من بلاد سويسرا[١].

وقد توفى الشيخ محمد عبده - رحمه الله تعالى - عام ١٩٠٥م.

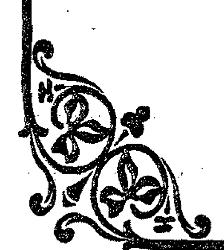
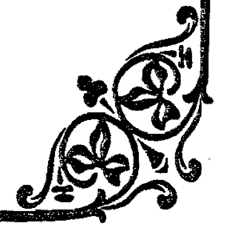
* * *

(١) المصدر السابق ص١٨٩ .




الفصل الثاني

تفسير الشيخ محمد رشيد رضا



المبحث الأول

حياتـه

ولد الشيخ رشيد رضا في قرية من قرى طرابلس الشام عام ١٨٦٥م، من عائلة قروية ذات مكانة وإرث من العلم والتقوى. بدأ دراسته على النهج التقليدي القديم في (الكتاب)، غير أنه استفاد من طرق التعليم الحديث فتعلم اللغة الفرنسية في مدرسة حكومية تركية ثم في مدرسة حسين الجسر في طرابلس، بالإضافة إلى امتلاكه ناصية الفقه واللغة العربية، وكتاباته تشهد له بالعلم الراسخ من الطراز الأول.

كتب رشيد رضا سيرة لحياته يصف فيها حياته الفكرية خلال ثلاثين سنة من عمره، ويصف إلمامه بالعلوم الحديثة، بالإضافة إلى تأثره بالقدامى من العلماء المسلمين وأولهم الإمام الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين)، ثم التحاقه بإحدى الطرق الصوفية وممارسته الحياة الروحية على يد شيخ من مشايخها، فبعد أن اختار طريقة النقشبندية وتبع تعاليمها ومارس تمارينها الزهدية الصارمة، أخذ يشعر بأخطار هذه الطرق الصوفية، حتى أنه في إحدى حلقات المولويين الملقبين (بالدراويش الراقصين) انفجر غاضبًا وغادر المكان ولم يعد إليه أبدًا.

ومن هنا بدأ الشيخ رشيد رضا يتعرف على تعاليم ابن تيمية وأخذ يتقرب من الحركة الوهابية.

ثم تعرف إلى أفكار الأفغاني ومحمد عبده كما اطلع على مجلة (العروة الوثقى)، والتقى بالشيخ محمد عبده بين عامي ١٨٨٤ و١٨٨٥ عندما زار طرابلس، وفي العام ١٨٩٤ زار الشيخ محمد عبده طرابلس للمرة الثانية، فالتقى به رشيد رضا وتحدث إليه طويلًا، وأصبح منذ هذا التاريخ حتى وفاته تلميذه وشارح

أفكاره وحامي سمعته ومؤرخ حياته.

في العام ١٨٩٧ غادر رشيد رضا إلى القاهرة وفي السنة اللاحقة أصدر العدد الأول من مجلة المنار التي أضبحت منبرًا للدعوة إلى الإصلاح وفقًا لمبادئ محمد عبده، وقد استمر في إصدارها بانتظام حتى وفاته سنة ١٩٣٥م.

ويمكن القول: إن (المنار) كانت ومنذ تأسيسها بمثابة سجل لحياة رشيد رضا، ففيها كان يفرغ تأملاته في الحياة الروحية وشروحه للعقيدة، ومحاولاته اللامتناهية والعنيفة من هجومها ودفاعها على السواء، وينشر الأخبار التي كانت تأتيه من أطراف العالم الإسلامي، وآراءه في سياسات العالم، وشروحه الكبرى للقرآن؛ وفي الشروح التي سماها تفسير المنار... التي بناها على محاضرات الشيخ محمد عبده وكتاباته، وقد واظب على كتابتها حتى وفاته، من دون أن يتمكن من إنهائها. حيث وصل في تفسيره حتى الآية (٥٢)[1] من سورة يوسف، وتوفي بعد ذلك رحمه الله.

غير أنه إلى جانب (مجلة المنار) و(تفسير المنار) كان للشيخ رشيد رضا نشاطات ومؤلفات أهمها سيرة محمد عبده، التي تعتبر من أهم المصادر لتاريخ الفكر العربي الإسلامي في أواخر القرن التاسع عشر.

وأسس رشيد رضا دارًا للمرسلين والمدربين الروحيين المسلمين سماها (دار الدعوة والإرشاد) لكن نشاط هذه الدار توقف عند وقوع الحرب العالمية الأولى

---

(١) بل وصل إلى الآية ١٠١ من سورة يوسف وهي قوله تعالى: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾، أما الآية ٥٢ فهي نهاية الجزء ١٢ من القرآن الكريم ولذلك فهي نهاية المجلد ١٢ من تفسير المنار حيث جعل تفسير كل جزء في مجلد وهذا ما قاله الذهبي في كتاب التفسير والمفسرون جـ٢ ص٦١٩ كما قلنا سابقًا.

سنة ١٩١٤م.

ولعب رشيد رضا دورًا هامًا في السياسات الإسلامية واشترك في المؤتمرين الإسلاميين المنعقدين: الأول في مكة عام ١٩٢٦م، والثاني في القدس عام ١٩٣١م، كما أنه لعب دورًا كبيرًا في كفاح سوريا السياسي منذ ثورة تركيا الفتاة حتى وفاته، وذلك في حزب اللامركزية قبل ١٩١٤، وكرئيس للمؤتمر السوري في ١٩٢٠، وكعضو للوفد السوري الفلسطيني إلى جنيف في ١٩٢١، وفي اللجنة السياسية في القاهرة عند وقوع الثورة السورية عامي ١٩٢٥ و١٩٢٦، غير أن جميع هذه النشاطات لم تكن سوى على هامش نشاطه الأساسي والرئيسي، أي كقيم وناشر لأفكار أستاذه محمد عبده.

لقد فسر رشيد رضا القرآن الكريم على المذهب السني المستمد من الحنبلية التي كانت سائدة في سوريا، خصوصًا دمشق، ومع أنه كان يخالف ابن تيمية في بعض النواحي، غير أن الجوانب التي استقاها منه في المنار أكثر مما استقاه من تعاليم الغزالي، وهذا العطف على الحنبلية هو ما حمله فيما بعد على الاندفاع في تأييد انبعاث الوهابية في أواسط الجزيرة العربية، وسياسة زعيمها عبد العزيز بن سعود، مرحبًا بفتح الوهابيين للحجاز، ومبرئًا إياهم من تهمة الخروج على الدين، معلنًا أن عقيدتهم سنية صرفة ودينهم دين المسلمين الأولين، فهم وإن قاوموا كل فكرة تضع محمدًا ﷺ في مرتبة فوق البشر، يعتبرون محمدًا ﷺ بين البشر في أعلى رتبة، وهم فيما يختص بالأولياء لا يعارضون الفكرة القائلة بأن هؤلاء اجترحوا أعمالًا خارقة، وإنما يعارضون جهل الجهلاء الذين يخصونهم بالتعبد الذي لا يجوز إلا لله وحده.

ورأى رشيد رضا أن ابن سعود يكاد يكون أفضل من حافظ على المبادرة

الجوهرية للسنة ودافع عنها بعد الخلفاء الأربعة الأولين، وهو في هذا القول لم يسلم من تلميح أعدائه أنه باع نفسه من ابن سعود، وقد رد على ذلك بأن ما حمله على التخلي عن رأيه الأول في أن الوهابية بدعة إنما هو القراءة والتفكير، وأنه لم يتصل بابن سعود إلا فيما بعد، وأن هذا الاتصال نفسه لم يكن إلا على مستوى سياسي، وكجزء من خطة ترمي إلى تحقيق اتحاد بين زعماء العرب يقف سدًا في وجه التدخل الأجنبي(١).

وفي كتاب الأعلام قال مؤلفه خير الدين الزركلي عن محمد رشيد رضا: (١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ = ١٨٦٥ - ١٩٣٥م) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس، وتنسك، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف. ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ، فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له. وكان قد اتصل به قبل ذلك في بيروت. ثم أصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي.

وأصبح مرجع الفتيا، في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة. ولما أعلن الدستور العثماني (سنة ١٣٢٦هـ) زار بلاد الشام، واعترضه في دمشق، وهو يخطب على منبر الجامع الأموي، أحد أعداء الإصلاح، فكانت فتنة، عاد على أثرها إلى مصر، وأنشأ مدرسة (الدعوة والإرشاد) ثم قصد سورية في أيام

---

(١) مقدمة تفسير المنار - للشيخ محمد رشيد رضا - كتبها إبراهيم شمس الدين - ط. دار الكتب العلمية بيروت - جـ١ ص٦ - ٨.

الملك فيصل بن الحسين، وانتخب رئيسًا للمؤتمر السوري فيها. وغادرها على أثر دخول الفرنسيين إليها (سنة ١٩٢٠م) فأقام في وطنه الثاني (مصر) مدة، ثم رحل إلى الهند والحجاز وأوربا. وعاد، فاستقر بمصر إلى أن توفي فجأة في (سيارة) كان راجعًا بها من السويس إلى القاهرة. ودفن بالقاهرة[1].

***

(١) الأعلام - خير الدين الزركلي - ط. دار العلم للملايين - بيروت جـ٦ ص١٢٦ .

المبحث الثاني

مؤلفاته

أما عن مؤلفاته فقد ذكرها خير الدين الزركلي في كتاب الأعلام فقال:

١- أشهر آثاره مجلة (المنار) أصدر منها ٣٤ مجلدًا.

٢- (تفسير القرآن الكريم - مطبوع) اثنا عشر مجلدًا منه ولم يكمله.

٣- تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده - مطبوع - ثلاثة مجلدات.

٤- نداء للجنس اللطيف - مطبوع.

٥- الوحي المحمدي - مطبوع.

٦- يسر الإسلام وأصول التشريع العام - مطبوع.

٧- الخلافة - مطبوع.

٨- الوهابيون والحجاز - مطبوع.

٩- محاورات المصلح والمقلد - مطبوع.

١٠- ذكرى المولد النبوي - مطبوع.

١١- شبهات النصارى وحجج الإسلام - مطبوع.

١٢- وللأمير شكيب أرسلان كتاب في سيرته سماه (السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة - مطبوع)[١].

* * *

(١) المصدر السابق جـ٦ ص١٢٦ .



المبحث الثالث

منهج الشيخ رشيد رضا في التفسير

حرص الشيخ رشيد رضا على إبراز جانب الهداية في تفسيره، وعدم الانشغال بأي غرض آخر، وهو في هذا ينتهج نفس النهج الذي بدأه أستاذه الشيخ محمد عبده.

فهو يقول في فاتحة تفسير القرآن بعد أن استفتح بعدد من الآيات التي تبين هذا الغرض مثل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢]... وغيرها من الآيات.

أما بعد، فيا أيها المسلمون: إن الله تعالى أنزل عليكم كتابه هدى ونورًا ليعلمكم الكتاب والحكمة ويزكيكم، ويعدكم لما يعدكم به من سعادة الدنيا والآخرة، ولم ينزله قانونًا دنيويًا جافًا كقوانين الحكام، ولا كتابًا طبيًا لمداواة الأجسام، ولا تاريخًا بشريًا لبيان الأحداث والوقائع، ولا سفرًا فنيًا لوجوه الكسب والمنافع، فإن كل ذلك مما جعله الله تعالى باستطاعتكم، لا يتوقف على وحي من ربكم[(١)].

وهو ينتقد المفسرين الآخرين الذين انشغلوا بأشياء أخرى تصد عن هذا الغرض الرئيسي أحيانًا فيقول:

كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية، والهداية السامية، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب وقواعد النحو ونكت المعاني ومصطلحات البيان، ومنها ما يصرفه عنه بجدل

---

(١) مقدمة تفسير المنار - للشيخ رشيد رضا - ط. دار الكتب العلمية - بيروت جـ١ ص١٠ .

المتكلمين وتخريجات الأصوليين، واستنباطات الفقهاء المقلدين، وتأويلات المتصوفين، وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض؛ وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات، وما مزجت به من خرافات الإسرائيليات، وقد زاد الفخر الرازي صارفًا آخر عن القرآن، هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده، كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها، وقلده بعض المعاصرين بإيراد مثل ذلك من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة، فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية فصولًا طويلة بمناسبة كلمة مفردة كالسماء والأرض من علوم الفلك والنبات والحيوان، تصد قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن(١).

وهو يصرح بأن هذا المنهج قد استقاه من شيخه الشيخ محمد عبده في دروسه للتفسير بالجامع الأزهر، وهو الذي طلب منه ذلك، فهو يقول:

ولم أزل به حتى أقنعته بقراءة التفسير في الأزهر فاقتنع وبدأ الدروس بعد ثلاثة أشهر ونصف أي في غرة المحرم سنة ١٣١٧ وانتهى منه في منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ من الآية ١٢٦ من سورة النساء، فقرأ زهاء خمسة أجزاء في ست سنين، إذ توفى لثمان خلون من جمادى الأولى رحمه الله تعالى وأثابه(٢).

ثم يبين طريقة الشيخ محمد عبده ومنهجه في التفسير فيقول:

كانت طريقته في قراءة الدروس ومنهجه على مقربة مما ارتآه في كتابة التفسير، وهو أن يتوسع فيما أغفله أو قصر فيه المفسرون، ويختصر فيما برزوا فيه من

---

(١) المصدر السابق جـ١ ص١٣ .

(٢) المصدر السابق جـ١ ص١٩ .

مباحث الألفاظ والإعراب ونكت البلاغة، وفي الروايات التي لا تدل عليها ولا تتوقف على فهمها الآيات، ويتوكأ في ذلك على عبارة تفسير الجلالين الذي هو أوجز التفاسير، فكان يقرأ عبارته فيقرها أو ينتقد منها ما يراه منتقدًا، ثم يتكلم في الآية أو الآيات المنزلة في معنى واحد بما فتح الله عليه مما فيه هداية وعبرة[١].

وكان الشيخ رشيد رضا يكتب هذه الدروس وينشرها في مجلة المنار، وكان يعرضها على الشيخ محمد عبده قبل الطبع فيقرها، وكان يكتبها في صورة تفسير من إنشائه ولكن كلمات الشيخ من دروسه تتخلل هذا التفسير وبعد وفاة الشيخ محمد عبده رأى الشيخ رشيد رضا أن يخالف شيخه في منهجه بعض الشيء عبر عنه بقوله:

هذا وإنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء كان تفسيرًا لها أو في حكمها وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر، أو يقوي حجتهم على خصومهم من الكفار والمبتدعة، أو يحل بعض المشكلات التي أعيا حلها بما يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس[٢].

وهكذا يستمر على هذا المنهج في تفسيره حتى يصل في التفسير الذي بدأه بالترتيب من أول سورة الفاتحة حتى ينتهي بنهاية الآية ١٠١ من سورة يوسف كما ذكرنا ولكن التفسير المطبوع ينتهي إلى الآية ٥٢ من سورة يوسف لأنها نهاية

---

(١) المصدر السابق جـ١ ص١٩.

(٢) المصدر السابق جـ١ ص٢٠.

الجزء ١٢ من القرآن، وباقي سورة يوسف صدر مطبوعًا باسم الشيخ رشيد رضا ولكن الذي قام به الشيخ بهجت البيطار.

ويقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله تعالى بعد تفسير الآية ٥٢ من سورة يوسف:

تم تفسير الجزء الثاني عشر في العشر الأخير من المحرم سنة ١٣٥٤ وكان البدء به في صفر سنة ١٣٥٣ والله نسأل أن يوفقنا لإتمام سائر هذا التفسير بما يرضاه وله الحمد والمنة[(١)].

وهذا في نهاية الجزء الثاني عشر من القرآن الكريم، وكانت أول مرة ذكر فيها تاريخ التفسير في نهاية الجزء الثاني حيث قال: تم الجزء الثاني وهو منقول من المجلدين السابع والثامن من مجلة المنار اللذين طبعا في سنتي ١٣٢٢، ١٣٢٣ وقد طبع أول مرة في أثناء نشره وتم طبعه سنة ١٣٢٥[(٢)].

أي أنه استغرق في تأليف تفسير المنار مدة تزيد عن ثلاثين سنة وهذا إن كان يدل على شيء فإنما يدل على مدى صبره وإصراره وقوة عزيمته رحمه الله تعالى.

ومن خلال تفسيره يتضح لنا اتجاهه السلفي في التفسير، فمثلًا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] بعد ذكر كلام شيخه الشيخ محمد عبده في تفسيرها ونقل طريقة السلف والخلف فيها، قال:

قال الأستاذ وأنا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته ومعالم الغيب. وإننا نسير في فهم الآيات على كلا الطريقتين

---

(١) المصدر السابق جـ١٢ ص٢٦٩.

(٢) المصدر السابق جـ ص٤٠٠.

لأنه لا بد للكلام من فائدة يحمل عليها، لأن الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى.

وأقول: أنا - مؤلف هذا التفسير -: إنني والحمد لله علي طريقة السلف وهديهم، عليها أحيا وعليها أموت إن شاء الله تعالى، وإنما أذكر من كلام شيخنا ومن كلام غيره ومن تلقاء نفسي بعض التأويلات لما ثبت عندي باختباري الناس أن ما انتشر في الأمة من نظريات الفلاسفة ومذاهب المبتدعة المتقدمين والمتأخرين جعل قبول مذهب السلف واعتقاده يتوقف في الغالب على تلقيه من الصغر بالبيان الصحيح وتخطئة ما يخالفه، أو طول ممارسة الرد عليهم، ولا نعرف في كتب علماء السنة أنفع في الجمع بين النقل والعقل من كتب شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى، وإنني أقول عن نفسي: إنني لم يطمئن قلبي بمذهب السلف تفصيلًا إلا بممارسة هذه الكتب(١).

نماذج من التفسير:

في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣]، تكلم عن إعجاز القرآن فيما يزيد عن ثلاثين صفحة وكان الكلام بمنتهى الاختصار في هذا الموضوع ثم اتخذ مثالًا بأقصر سورة في القرآن وهي سورة الكوثر ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ② إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ حيث نقل عن التفسير الكبير للفخر الرازي وغيره أن مسيلمة الكذاب حاول أن يعارض هذه السورة فقال: (إنا أعطيناك الجماهر، فصل لربك وهاجر، إن مبغضك رجل

---

(١) المصدر السابق جـ١ ص٢١٠.

كافر) وفي لفظ آخر: (إنا أعطيناك الجواهر، فصلِ لربك وجاهر، ولا تعتمد قول ساحر) وأيده بعض دعاة النصرانية في ذلك فقال الشيخ رشيد: وأما السورة فهي في أفق أعلى مما قاله مسيلمة الكذاب، ومما عزاه إليه المبشر الجاهل المخادع، حتى لو فرض أنه قال ما قال من تلقاء نفسه.

(الكوثر) في السورة لا يوجد في اللغة ما يحكيه أو يحل محله فيها، إذ معناه الكثير البالغ منتهى حدود الكثرة في الخير حسيًّا كان، كالمال والرجال والذرية والأتباع، أو معنويًّا، كالعلم والهدى والصلاح والإصلاح، ويشمل الكثير من خيري الدنيا والآخرة. وهو يطلق على السخي الجواد أيضًا.

أما موقعه في أول السورة وموقع كلمة (الأبتر) في آخرها اللذان اقتضهما البلاغة وتأبى أن يحل غيرهما محلهما فهو أن رؤساء المشركين المستكبرين كانوا يحقرون أمر النبي ﷺ لفقره وضعف عصبيته ويتربصون به الموت أو غيره من الدوائر زاعمين أن ما له من قوة التأثير في الأنفس بتلاوة القرآن يزول بزوال شخصه كما قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ [الطور: ٣٠، ٣١]. وكانوا يقولون عندما رأوا أبناءه يموتون: بتر محمد؛ أو صار أبتر، أي انقطع ذكره بانقطاع ولده وعصبته، وكانوا يعدون الفقر وانقطاع العقب مطعنًا في دينه ودليلًا على توديع الله له وعدم عنايته به تبعًا لاستدلالهم بالغني وكثرة الولد على رضاء الله تعالى وعنايته كما حكى عنهم سبحانه بقوله: ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ: ٣٥]. وقد أبطل الله تعالى بهذه السورة شبهتهم، ودحض حجتهم، وجعل فألهم شؤمًا عليهم، بما بين من عاقبة أمرهم وأمره، قال ما تفسيره بالإيجاز:

(إنا) بما لنا من القدرة على كل شيء (أعطيناك) أيها الرسول من خيري الدنيا

والآخرة (الكوثر) الذي لا تحد كثرته ولا تحصر، من الدين الحق، وهداية الخلق، وما لا يحصى من الأتباع، وما لا يحصر من الغنائم والنصر على الأعداء، وما لا ينقطع من الذرية التي تنسب إليك فتذكر بذكرهم، ويصلي ويسلم عليك وعليهم، ثم من الشفاعة العظمى يوم الفزع الأكبر، والحوض الذي يرده المؤمنون في المحشر، فلفظ (الكوثر) يشمل كل هذا وغيره، وإنما يكون كل نوع منه في وقته، وكان الإخبار به في أول الإسلام من البشارة ونبأ الغيب، وذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]. أو على معنى الإنشاء فأين هذا اللفظ في نفسه وفي موافقته لمقتضى الحال من كلمة (الجماهر) التي استبدلها به مسيلمة الكذاب، وهي بالضم الشيء الضخم.

أو كلمة (الجواهر) التي ذكرها المبشر المرتاب السباب، وهي كذب لا مناسبة له.

ووصل تعالى هذه البشارة العظمى بالأمر بشكرها فقال: (فصل لربك) ومتولي أمرك الذي من عليك بهذه النعم وحده مخلصًا له الدين (وانحر) ذبائح نسكك له وحده - فهو كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وهذا يدل على أنه سيكون له الغلب على المشركين الذي يتم بفتح مكة وبحجه ونسكه مع أتباعه - وقد كان - ونحر ﷺ في حجة الوداع مائة ناقة، فهذه بشارة خاصة بعد تلك البشارة العامة، وكلاهما من أنباء الغيب.

ثم قفى على ذلك ببشارة ثالثة هي تمام الرد على أولئك الطغاة المغرورين بأموالهم وأولادهم أوردها مفصولة غير موصولة بالعطف على ما قبلها لأنها جواب عن سؤال تقديره: وماذا تكون عاقبة شانئيه ومبغضيه الذين رموه بلقب

الأبتر وتربصوا الدوائر لما يرجون من انقطاع ذكره واضمحلال دعوته؟ فأجاب: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أو مبغضك وعائبك بالفقر وفقد العقب ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ من دونك - وهذا إخبار آخر بالغيب قد صح وتحقق بعد كر السنين، ولفظ (شانيء) مفرد مضاف فمعناه عام فهو يشمل العاص بن وائل، وعقبة بن أبي معيط وأمثالهم ممن نقل عنهم ذلك القول فيه ﷺ لفظًا أو موافقة لإخوانهم المجرمين فقد بتروا كلهم وهلكوا، ثم نسيوا كأنهم ما وجدوا، وزال ما كانوا يرجون من بقاء الذكر بالعظمة والرياسة وكثرة الولد والعصبية، فلم يعد أحد منهم يذكر بخير، ولا ينسب له عقب.

فأنت ترى أن هذه السورة على إيجازها في منتهى الفصاحة والبلاغة، قد جمعت من المعاني الكثيرة الصحيحة ومن أنباء الغيب التي فسرها الزمان، ما تعد به معجزة بينة الإعجاز، وفيها من المعاني واللطائف غير ما ذكرنا، فيراجع تفسيرها في مفاتح الغيب وغيره من المطولات(١).

رأي د. عبد الله شحاتة في رسالته للماجستير عن منهج الإمام محمد عبده في اتجاه تفسير المنار:

فهو يرى ان هذا الاتجاه هو الاتجاه السلفى حيث يقول :

وأرى أن صاحب المنار كان يجامل ملك الحجاز حين يقول:

وذكر بعض الفقهاء أنه يجب هدم ما بني من المساجد والقباب على قبور كثير من الأئمة وآل البيت وأئمة الفقه وغيرهم من الصالحين وارتكبوا فيها المحظورات الكثيرة التي يعد بعضها من الشرك الصحيح وبعضها من البدع

---

(١) تفسير القرآن الحكيم - المشهور بتفسير المنار - تأليف السيد الإمام محمد رشيد رضا - ط. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - جـ١ ص١٨٧ - ١٩٠ بتصرف.

والمعاصي ولا سيما المعاصي التي تفعل تدينًا وتقربًا وتوصلًا إلى الله تعالى كما ترى في كتاب الزواجر للفقيه ابن حجر من فقهاء الشافعية وغيره من كتبهم، وكثير من كتب الحنابلة ويحتجون بهدم النبي ﷺ لمسجد الضرار[1].

ثم يقول معلقًا: إن ما علم من السيد رشيد من سعة الأفق ومراعاة المصالح العامة للمسلمين كان يجب أن يبعد به عن مثل هذا القول.

ثم يقول: وقد كان السيد رشيد يطبع كتب ابن تيمية وابن القيم لحساب الملك سعود يقصد الملك عبد العزيز آل سعود لأنه توفي عام ١٩٥٣م بعد وفاة الشيخ رشيد رضا بما يزيد عن ثمانية عشر عامًا - وفي خطاب أرسله إلى شكيب أرسلان ذكر فيه المصروفات المطلوبة منه. وضحه بقوله: (وجملة القول أنه كدين الواجب على أداؤه هذا العام لبنك مصر والبنك المرهونة له الدار تسعمائة جنيه مصري والإيراد الرسمي الثابت المعد لذلك هو مطبوعات جلال الملك وفي الحقيقة يجب علينا السعي لغيرها)[2].

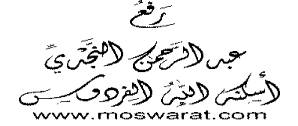
والخلاصة أن صاحب المنار كان متأثرًا بابن كثير في تفسيره للقرآن من حيث الاهتمام بالرواية والتوفيق بين النصوص المتخالفة في الظاهر، والعناية بأحداث التاريخ المتعلقة بالقرآن، والاهتمام بالتفريعات الفقهية والأبحاث الأصولية، وتأثر الاثنين بابن تيمية، فنزعا منزع المدرسة السلفية، وطبع السيد رشيد لملك الحجاز - عبد العزيز آل سعود - مؤلفات المدرسة السلفية لتأثير مذهب الوهابيين في الحجاز، وتأثر به في هذا جماعة أنصار السنة بمصر[3].

---

(١) تفسير المنار ج١ ص٣٥١ تفسير الآية ١٤ من سورة البقرة .

(٢) رشيد رضا - إخاء أربعين سنة لشكيب أرسلان - ط ابن زيدون - دمشق ١٩٣٧ ص٥١٩ .

(٣) الإمام محمد عبده - بين المنهج الديني والمنهج الاجتماعي - د. عبد الله محمود شحاتة



رأي الشيخ محمد أحمد السنباطي في (منهج ابن القيم في التفسير):

قال تحت عنوان ابن القيم رائد مدرسة تفسيرية:

من العرض المستفيض الذي قدمناه آنفًا، يتضح لكل ذي فكر سليم، أن الشخصية التي ندرس منهجها قد زادت حركة الفكر التفسيري، وكان لها منهج يطبع أسلوبها في التفسير بطابع تلك الشخصية العملاقة وقد نسج على منوالها فيما بعد، أئمة بارزون في التفسير، وتتلمذ على منهجها قادة الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ذلك الأمر الذي يحملنا على أن نشير بأصابعنا إلى إمامنا (ابن القيم) كصاحب مدرسة تفسيرية حديثة، تعرفنا على مناهج رجالها بمنهجه المبتدع الرائد.

وقد انتشر اتباع هذه المدرسة في معظم أرجاء العالم الإسلامي، فكان منهم أعلام مصريون وآخرون اقتدوا بمنهجه فيما وراء البحار، ومن التلامذة الأعلام في مصر، من اتباع هذه المدرسة الفاضلة: إمامنا وزعيم نهضتنا الفكرية المعاصرة الأستاذ الإمام (محمد عبده) وتلميذه العبقري الشيخ السيد رشيد رضا ثم الأستاذ الإمام الشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد محمد المدني، والأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز[1].

ثم يقارن بين تفسير الفاتحة لابن القيم وتفسير الفاتحة للشيخ محمد عبده كما جاءت في تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ويصل إلى أن الوحدة الموضوعية

(١٩٦٠م)، وهي رسالته للماجستير – ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب- ضمن سلسلة تاريخ المصريين – ص٢٨٨– ٢٨٩ .

(١) منهج الإمام ابن القيم في التفسير – محمد أحمد السنباطي – ط مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٣م ص٩٢ .

التي اشتملت عليها السورة قال بها أولًا ابن القيم ثم سار الإمام محمد عبده والشيخ رشيد رضا على نفس المنهج.

فيقول: والملاحظ أن الفكرة الأساسية في كل من مقدمة الإمام ابن القيم للفاتحة ومقدمة الأستاذ الإمام محمد عبده متشابهة إلى حد كبير أولًا: تعرض كل منهما لمبدأ التوحيد حيث عبر عنه الإمام (ابن القيم) بقوله: فاشتملت - أي الفاتحة - على التعريف بالمعبود بثلاثة أسماء... إلخ.

ويقول: وبنيت السورة على الإلهية والربوبية والرحمة... إلخ.

وعبر عنه الإمام محمد عبده بقوله: فأما التوحيد ففي قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لأنه ناطق بأن كل حمد وثناء يصدر عن نعمة ما فهو لله تعالى...

والمعاني التي أوردها الإمام محمد عبده في مقدمته قد سبقه بها الإمام (ابن القيم) عند تعرضه لشرح معنى (الحمد لله) في غضون تفسيره[1].

ويؤيد الدكتور محمد نبيل غنايم تأثر الشيخ محمد عبده ورشيد رضا بمدرسة ابن القيم كما قال السنباطي فيقول:

وقد رأى السنباطي، ونحن نوافقه في ذلك أن حركة التفسير في العصر الحديث قد تأثرت بمدرسة ابن القيم، ويتضح ذلك في كل من الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا والشيخ محمود شلتوت والشيخ محمد المدني والدكتور محمد دراز والشيخ أبي الأعلى المودودي وغيرهم[2].

---

(١) منهج ابن القيم في التفسير - محمد أحمد السنباطي - ط مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٣م ص٩٦ .

(٢) بحوث ونماذج من التفسير الموضوعي - د. محمد نبيل غنايم - ط دار القلم - ص١٦، ١٧ .

والدكتور محمد إبراهيم شريف في كتابه (اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر) - وهي رسالته للدكتوراه - يشير أيضًا في مواضع عديدة من كتابه إلى الاتجاه السلفي للمنار ولكنه يسميه الاتجاه الهدائي، بمعنى أن القرآن كتاب هداية الغرض الأول والأسمى منه الهداية إلى صراط الله المستقيم وهذا هو الذي نقصده تمامًا بالاتجاه السلفي[1].

فإذا لم يكن الاتجاه السلفي اتجاهًا هدائيًّا فماذا يكون؟

يقول د. محمد إبراهيم شريف تحت عنوان: بذور التجديد الفكري والمنهجي في مدرسة المنار:

ولهذا كله لم يكن غريبًا أن ينهض محمد عبده - رائد التفسير الحديث - بتفسير للقرآن لا ليضم نسخة جديدة تتشابه مع سابقات، بل ليجعله صيحة البعث ونور الشروق، ويظهر الذكر كما أنزله الله ناصع الصفحة واضح الغرض، وأن يعالج في ضوئه آراء من غفلوا عن هديه إلى مسلكه، ولم يخل بنفسه ليسطر ما يريد، بل جعل تفسيره دروسًا تقال لتجد طريقها المفتوح إلى العقل والقلب في وقت واحد[2]. وكان يقرأ الآية فإذا اتصلت بالعقيدة شرحها شرحًا وافيًا وعرض ما ورد في القرآن في موضوعها مبينًا ما دخل على المسلمين فيها من فساد دخيل، وإذا اتصلت الآية بالأخلاق أبان أثر هذا الخلق في صلاح الأمم وضياعه في فسادها وإذا اتصلت بحالة اجتماعية أوضح أثر هذه الحالة الاجتماعية في حياة الأمم

---

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن في مصر - د. محمد إبراهيم شريف - ط دار التراث .

(٢) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر - د. محمد إبراهيم شريف - ط. دار التراث - ص٢٤٧، ٢٤٨ نقلًا عن خطوات التفسير البياني - محمد رجب البيومي، ص٢٨٦، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - ديسمبر سنة ١٩٧١ .

مسترشدًا بالواقع؛ ومستشهدًا بما يجري في العالم... فهو تفسير عملي يشرح الواقع ويبين سببه، وهو أخلاقي يدعو للعمل على مبادئ الإسلام، ويبين أنها منبع السعادة في كل العصور، وهو روحاني يدعو إلى السمو بالنفس إلى العالم العلوي... فأكثر قيمة في تفسيره أنه كان يحيي العواطف ويحرك المشاعر ويتجه إلى القلب أكثر مما يتجه إلى العقل واستقصاء المسائل العلمية، ويبث كل ما يرى من إصلاح حول تفسير آيات القرآن الكريم متأثرًا في ذلك بطبيعة الدين نفسه(١).

ويقول د. محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون تحت عنوان الخاتمة - كلمة عامة عن التفسير وألوانه في العصر الحديث:

وعلى ضوء ما تقدم، نستطيع أن نجمل ألوان التفسير في العصر الحديث في الألوان الأربعة الآتية وهي أهمها:

أولًا: اللون العلمي.

ثانيًا: اللون المذهبي.

ثالثًا: اللون الإلحادي.

رابعًا: اللون الأدبي الاجتماعي(٢).

وفي كلامه عن اللون المذهبي للتفسير في عصرنا الحاضر يقول: لم يبق من الفرق المنسوبة إلى الإسلام في هذا العصر من له كيان، أو شيء من كيان - حسبما نعلم - إلا أهل السنة، والإمامية الاثنا عشرية، والإمامية الإسماعيلية، والزيدية، والإباضية من الخوارج، والبهائية من الباطنية.. هذه هي الفرق التي لا تزال في اعتبارنا قائمة إلى يومنا هذا، محتفظة بتعاليمها وعقائدها التي تسير عليها من أول

---

(١) المصدر السابق - نقلًا عن زعماء الإصلاح في العصر الحديث - أحمد أمين - ص٣٢٩، ٣٣٠ .

(٢) التفسير والمفسرون - د. محمد حسين الذهبي - ط. مكتبة وهبة - ج٢ - ص٥٣٣ .

عهدها ومبدأ ظهورها...

نعم.. بقي اللون المذهبي لتفسير القرآن الكريم قائمًا في هذا العصر الحديث، بمقدار ما بقي قائمًا من المذاهب الإسلامية.

فأهل السنة فسروا القرآن، وألفوا الكتب فيه بما يتفق وعقيدتهم، كما نرى ذلك واضحًا فيما خلفته لنا مدرسة الأستاذ الإمام محمد عبده من كتب في التفسير(١).

فانظر كيف اتخذ كتب الإمام محمد عبده ومدرسته في التفسير نموذجًا لتفسير أهل السنة.

ولكنه قسم ألوان التفسير في العصر الحديث كما يقول لأربعة أقسام فقط هي اللون العلمي واللون المذهبي واللون الإلحادي واللون الأدبي الاجتماعي، ومع اعتباره أن تفسير المنار من تفاسير أهل السنة إلا أننا نجد أنه يتكلم عنه بعد ذلك في اللون الأدبي الاجتماعي للتفسير في عصرنا الحاضر، أي أن هذا اللون الأدبي الاجتماعي هو اتجاه أهل السنة في عصرنا الحاضر ولذلك فهو يقول تحت عنوان اللون الأدبي الاجتماعي للتفسير في عصرنا الحاضر: يمتاز التفسير في هذا العصر بأنه يتلون باللون الأدبي الاجتماعي، ونعني بذلك: أن التفسير لم يعد يظهر عليه في هذا العصر ذلك الطابع الجاف الذي يصرف الناس عن هداية القرآن الكريم، وإنما ظهر عليه طابع آخر، وتلون بلون آخر يكاد يكون جديدًا وطارئًا على التفسير، ذلك هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولًا وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم بعد ذلك تصاغ المعاني التي يهدف

---

(١) المصدر السابق – ج٢ – ص٥٥٩ .

القرآن إليها في أسلوب شيق أخاذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع، ونظم العمران[1].

ويقول تحت عنوان مدرسة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وأثرها في التفسير: وإذا كان هذا اللون الأدبي الاجتماعي يعتبر في نظرنا عملًا جديدًا في التفسير، وابتكارًا يرجع فضله إلى مفسري هذا العصر الحديث، فإنا نستطيع أن نقول بحق: إن الفضل في هذا اللون التفسيري يرجع إلى مدرسة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده للتفسير. هذه المدرسة التي قام زعيمها - ورجالها من بعده - بمجهود كبير في تفسير كتاب الله تعالى وهداية الناس إلى ما فيه من خير الدنيا وخير الآخرة.

نعم.. قامت هذه المدرسة بمجهود كبير في تفسير كتاب الله تعالى، مجهود نحمد لها الكثير منه، ولا نوافقها على بعض منه قليل[2].

ومن كتاب «لمحات في علوم القرآن» واتجاهات التفسير للشيخ محمد بن لطفي الصباغ:

وهو عبارة عن محاضرات ألقيت على طلاب كليتي الآداب والتربية بجامعة الرياض عام ١٩٧٣م وعندما يتكلم المؤلف عن المنحى الإصلاحي والاجتماعي في التفسير يقول: وما زال العالم الإسلامي يتطلع إلى اتجاه سليم يروم الإصلاح، حتى كان جمال الدين الأفغاني الذي قام بحركة فكرية هامة، تصدع بصوت عامر بالإيمان، معتز بالقرآن، يدعو إلى معالجة الفساد الاجتماعي، والتأخر الفكري الحضاري، وذلك بالرجوع إلى الإسلام الحق، وتحكيم نصوصه الثابتة من

---

(١) المصدر السابق - ج٢ - ص٥٨٨ .

(٢) المصدر السابق - ج٢ - ص٥٨٨ .

الكتاب والسنة[1].

وتحت عنوان جمال الدين والتفسير الإصلاحي قال:

إن وجهة شبه قامت بين جمال الدين وبين المصلحين الذين تقدموه، وذلك في أساس الدعوة التي يبني الرجل حركته عليها، وهو الرجوع إلى الدين غير أن الاختلاف بينه وبين أولئك المصلحين هو أن الرجل لم يكن واقفًا فقط على تخلف المسلمين، وإنما كان فوق هذا كله مطلعًا على حياة الغرب، وواقع أوروبا المتقدم بالنسبة إلى واقع المسلمين، ويبدو أن الفرق بين المستويين كان مذهلًا، رأى عند القوم واقعًا إيجابيًّا خاليًّا من كثير من عيوب المسلمين، رأى تحررًا من الخرافات الباطلة التي سيطرت على كثير من المسلمين، وتكاد تكون معرفته في دقتها بالغة الأوج، فهو قد زار بلاد المسلمين (الهند - الحجاز - إيران - العراق - تركيا...) وزار أيضًا مدن أوروبا (لندن - باريس - ميونيخ - بطرس برج...) ولقد كان واقع بلاد الغرب ذا أثر كبير في نفس جمال الدين من ناحيتين:

١ - الناحية الأولى: تتصل بالتقدم الحضاري والمادي الذي أحرزته أوروبا، وهو يرى أن الأسس التي اعتمدتها حتى أوصلتها إلى هذه النتيجة أسس ينادي بها الإسلام ويرتضيها.

٢ - والناحية الثانية تتصل باستعمار أوروبا لبلاد المسلمين فلقد كان ذلك عاملًا دفعه إلى الدعوة إلى النهوض والتحرر من التبعية وكان يأتي بأمثلة تلهب شعور الناس.

وقد تعرض الأفغاني في مجلة العروة الوثقى إلى تفسير آيات من القرآن

---

(١) لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير - محمد بن لطفي الصباغ - ط المكتب الإسلامي - ص٢١٥ .

اختارها فقد كتب سبع عشرة مقالة (من خمسة وعشرين) في تفسير سبع عشرة آية من القرآن:

مثل: - ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

- ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ [آل عمران: ١١٨][١].

ثم قال: يقول جمال الدين (وانظر إلى قوة أسلوبه الذي أثر في المسلمين في جميع العالم الإسلامي): «إن القرآن حي لا يموت، ومن أصابه نصيب من حمده فهو محمود، ومن أصيب من مقته فهو ممقوت، كتاب الله لم ينسخ، فارجعوا إليه وحكموه في أحوالكم وطباعكم، وما الله بغافل عما تعملون.

إن حركتنا الدينية بالدعوة إلى القرآن كناية عن الاهتمام بقلع ما رسخ في عقول العوام ومعظم الخواص من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها، مثل حملهم نصوص القضاء والقدر على معنى يوجب عليهم أن لا يتحركوا إلى طلب مجد أو تخلص من ذل.

... القرآن وحده هو سبب الهداية، والقدرة في الدعاية، وما تراكم عليه وتجمع حوله من آراء الرجال واستنباطاتهم ونظرياتهم، فينبغي أن لا يعول عليه كوحي، وإنما نستأنس به كرأي... ولا نحمله على أكفنا مع القرآن في الدعوة إليه، وإرشاد الأمم إلى تعاليمه.. وتفسيره وإضاعة الوقت في عرضه[٢].

---

(١) المرجع السابق ص٢١٦، ٢١٧ .

(٢) المرجع السابق ص٢١٧ نقلًا عن كتاب الفكر الإسلامي الحديث للدكتور البهي ص٨١- ٨٢- ط مكتبة وهبة – القاهرة.

ونلفت النظر إلى قوله: (القرآن وحده هو سبب الهداية) وهذا الاتجاه الهدائي هو الذي تأثر به الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا وكثير من تلاميذ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.

ثم يقول المؤلف:

يقول الدكتور البهي: «في سبيل مواجهة هذا الاستعمار طالب جمال الدين بمقاومته، ولأجل هذه المقاومة عمل على إيقاظ روح التضامن الإسلامي عن طريق: طلب التمسك بالقرآن، وإلغاء العصبية المذهبية، وطرح التقليد، وإعمال الاجتهاد في فهم القرآن، والملائمة بين مبادئه وظروف الحياة التي يعيش فيها المسلمون، وطرح الخرافات والبدع التي غيرت من جوهر الإسلام، والتي جعلته وسيلة سلبية في الحياة بدلًا من كونه حقيقة واضحة، وقوة إيجابية في السيطرة على الحياة وتوجيهها[1].

ثم يقول عن الشيخ محمد عبده:

كان أعظم ثمرة تركها الأفغاني شخصية محمد عبده، الذي اتجه إلى المنحى الإصلاحي في تفسير القرآن، ومحمد عبده قمة من قمم رجالاتنا في العصر الحاضر، كان له أكبر التأثير في مجال السياسة والدين والقيم والفكر...

كان الشيخ محمد عبده رحمه الله يستلهم هدى القرآن، لإرشاد المسلمين، وإصلاحهم في كافة جوانب حياتهم، وكان من ذلك ما عرف بالتفسير الإصلاحي الاجتماعي... واستطاع أن يترك مدرسة في التفسير ذات مكانة وتأثير، كان من أهم رجالها السيد رشيد رضا والشيخ محمد مصطفى المراغي، والشيخ أحمد مصطفى

---

(١) المرجع السابق ص٢١٧، ٢١٨، نقلًا عن كتاب الفكر الإسلامي الحديث للدكتور البهي ص٨٦ - ط مكتبة وهبة - القاهرة.

المراغي[1].

ثم ينقل من أقوال الشيخ محمد عبده ما يبين ويوضح لنا أفكاره التي نشرها في كثير من البلاد الإسلامية وتتلمذ عليها الكثير فيقول:

يقول الشيخ محمد عبده: ألم يأن لنا أن نرجع إلى المعروف مما كان عليه سلفنا فنحيا بما كان قد أحياهم، ونترك ما ابتدعه أخلافهم مما أماتهم وأماتنا معهم.

ويقول أيضًا: فالقرآن سر نجاح المسلمين ولا حيلة في تلافي أمرهم إلا إرجاعهم إليه، وما لم تقرع صيحته أعماق قلوبهم، وتزلزل هزته رواس طباعهم فالأمل مقطوع من هبوبهم من نومهم. ولا بد أن يؤخذ القرآن من أقرب وجوهه على ما ترشد إليه أساليب اللغة العربية ليستجاب لدعوته كما استجاب لها رعاة الغنم وساقة الإبل ممن نزل القرآن بلغتهم، والقرآن قريب لطالبه متى كان عارفًا باللغة العربية ومذاهب العرب في الكلام وتاريخهم وعوائدهم أيام الوحي[2].

ثم عرض مؤلفاته في التفسير وهي تفسير جزء عم وتفسير سورة العصر وبحوث تفسيرية نشرت في أماكن مختلفة وتفسير المنار من أوله إلى الآية ١٢٦ من سورة النساء بصياغة السيد رشيد رضا، ثم تكلم عن طريقته ومنهجه في التفسير ثم تكلم عن الضجة التي أثيرت حول محمد عبده وجمال الدين فقال: أما هذه

---

(١) المرجع السابق - ص٢١٩ .

(٢) المرجع السابق - ص٢٢٠ نقلًا عن (الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار) للدكتور البهي ص١٤٣ - ١٤٤ نقلًا عن كتاب (تاريخ الإمام) ٢/ ٤١١، ٥١٥ - وكتاب الدكتور البهي (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي - ط. مكتبة وهبة - القاهرة - ط٣ . وكتاب تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده للسيد محمد رشيد رضا - ط. مطبعة المنار بمصر - ط١ - ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م.

الضجة القائمة الآن حول اتهامات توجه للسيد جمال الدين وتلميذه الإمام محمد عبده فإن رأينا فيها كما يلي:

١- ليس هناك أحد معصوم، فلا ننفي عنهما الأغلاط، بل أن لديهما عددًا من الآراء والاجتهادات لا نقرهما عليه، وما أكثر الهفوات التي يقع فيها الزعماء والعلماء في كل عصر.

٢- كثير من النقاد الذين يثيرون هذه الضجة يغفلون الزمن والظروف الاجتماعية والسياسية التي كانت تحيط بالمسلمين، فالحضارة الأوربية التي بهرتهما لم تكن بعد قد ظهرت على حقيقتها، ولم يسبق أن احتك المسلمون بها كما حصل فيما بعد، ولم تكن الحضارة الأوربية قد انقسمت على نفسها هذا الانقسام الذي نشهده الآن، والذي نرى من خلاله المعايب والنقائص التي تنطوي عليها حضارة أوروبا كل معسكر يكشف عن عوار المعسكر المقابل.

٣- يبالغ بعض هؤلاء النقاد في ذكر هذه العيوب، ويعتمدون على حجج واهية، وقد يذهبون في تحميل بعض الألفاظ ما لا يحتمل.

٤- يغفلون النواحي الخيرة الطيبة في الرجلين ويبدون معايبهما، ويقلبون محاسنهما إلى مساوئ، وهذا ظلم مبين[١].

وعندما تكلم عن تفسير المنار قال:

كان يعني بتفسير القرآن بالقرآن، إن وجد وتفسير القرآن بالسنة، واطلاع السيد رشيد على السنة اطلاع جيد يفوق اطلاع شيخه كثيرًا. ثم بعد ذلك يستعمل عقله الذي كان متحررًا تحررًا تامًا من كل ما قاله المفسرون، ولم يكن يقرأ في

---

(١) المرجع السابق - ص٢٢٣ .

التفاسير إلا بعد أن ينتهي من كتابة ما فهمه من الآية[1].

وهذا يذكرنا بما قاله ابن تيمية في مقدمة أصول التفسير من أن أحسن طرق التفسير تفسير القرآن بالقرآن إن وجد ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة ثم بأقوال التابعين.

ثم قال أيضًا عن تفسير المنار: كان له استقصاء عجيب ببدع المسلمين التي صرفتهم عن السنة وقعدت بهم عن سبيل المجد.

كما كان كثير الرد على المفسرين وقد يكون في رده كثير من العنف.

وكان يتولى الرد على كثير من الآراء المنحرفة التي تتصدى للإسلام ثم قال:

ومما يؤخذ على الرجل في تفسيره هذا:

الاعتداد الزائد بعلمه الذي يجاوز الحد. ومخالفته العلماء في عدد من القضايا، ونقله من الإنجيل على الرغم مما يعرف عنه من إنكار رواية الإسرائيليات، ومهاجمته المفسرين الذين يتساهلون في هذا الموضوع بعنف شديد[2].

فهذا ما كتبه الشيخ محمد الصباغ عن تفسير المنار وعن شيوخه ابتداء من جمال الدين الأفغاني ثم الشيخ محمد عبده ثم الشيخ رشيد رضا وكله كلام يصب في الاتجاه السلفي، فما استلهام الهداية من آيات القرآن إلا اتجاه سلفي، وما كان البعد عن التقليد والاهتمام بالاجتهاد إلا اتجاه سلفي، وما كان السعي لإصلاح المجتمع إلا اتجاه سلفي فهذه المجتمعات الإسلامية لا يصلحها إلا دين الإسلام الذي قام بنشره على العالم كله السلف الصالح الذين بلغوا دعوة نبيهم ﷺ في

---

(١) المرجع السابق - ص٢٢٤ .

(٢) المرجع السابق - ص٢٢٤- ٢٢٥ .

جميع الآفاق، والذين يوافقون على أن تفسير المنار تفسير اجتماعي يقرون بهذه الموافقة على أنه تفسير سلفي خاصة إذا أضافوا كلمة إصلاحي بجوار اجتماعي، فلا يصلح هذه المجتمعات الإسلامية إلا التفسير السلفي فلن يصلح آخر هذه الآمة إلا بما صلح به أولها، أما الذين أضافوا كلمة عقلي بجوار كلمة اجتماعي أو كلمة عقلية بجوار كلمة اجتماعية فقد وقعوا في التناقض، فهذه المجتمعات الإسلامية التي انتشر فيها هذا التفسير لن ينصلح حالها بالعقل المجرد البعيد عن الإسلام إلا إذا كان أصحاب هذه الأقوال يقولون أو يعتقدون بأن هذه المجتمعات الإسلامية عادت إلى الجاهلية مرة أخرى فيعاملونها معاملة المجتمعات الجاهلية التي كانت موجودة قبل الإسلام وقبل بعثة النبي ﷺ، وهم يرون أن هذه المجتمعات الإسلامية الحديثة فيها المساجد وفيها الصلاة وفيها الصيام وفيها الحج وفيها الزكاة وفيها القرآن بل وينشر فيها القرآن وتفسير القرآن بجميع وسائل وطرق الإعلام.

ويقول الشيخ مناع القطان - رحمه الله تعالى - في كتابه مباحث في علوم القرآن:

لقد قام الشيخ محمد عبده بنهضة علمية مباركة، أتت ثمارها في تلاميذه، وترتكز هذه النهضة على الوعي الإسلامي، وإدراك مفاهيم الإسلام الاجتماعية، وعلاج هذا الدين لمشاكل الحياة المعاصرة، وبدأت نواة ذلك في حركة جمال الدين الأفغاني، الذي تتلمذ عليه الشيخ محمد عبده، وكان الشيخ محمد عبده يلقي دروسًا في التفسير بالجامع الأزهر، ولازمه كثير من طلابه ومريديه، وكان الشيخ رشيد ألزم الناس لهذه الدروس، وأحرصهم على تلقيها وضبطها، فكان بحق الوارث الأول لعلم الشيخ محمد عبده، فظهرت ثمرة ذلك في تفسيره

المسمى بـ(تفسير القرآن الحكيم) والمشهور بتفسير المنار، نسبة إلى مجلة المنار التي كان يصدرها.

وقد بدأ تفسيره من أول القرآن، وانتهى عند قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

ثم عاجلته المنية قبل أن يتم تفسير القرآن، وهذا القدر مطبوع في اثنى عشر مجلدًا كبارًا.

وهو تفسير غني بالمأثور عن سالف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وبأساليب اللغة العربية، وسنن الله الاجتماعية، يشرح الآيات بأسلوب رائع، ويكشف عن المعاني بعبارة سهلة، ويوضح كثيرًا من المشكلات، ويرد على ما أثير حول الإسلام من شبهات خصومه، ويعالج أمراض المجتمع بهدى القرآن، ويصرح السيد رشيد بأن هدفه من هذا التفسير هو:

«فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة»(١).

---

(١) مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان - ط. مكتبة وهبة - ص٣٦١، ٣٦٢، والشيخ مناع القطان قال عنه في إتمام الأعلام:

مناع بن خليل القطان (١٩٢٥- ١٩٩٩) - (١٣٤٥- ١٤٢٠هـ): عالم كثير التأليف من أهالي مصر، ولد في قرية شنشور محافظة المنوفية، وبها تعلم وحفظ القرآن الكريم، التحق بالأزهر وحصل على الشهادة العالية من كلية أصول الدين، وحصل كذلك على العالمية مع إجازة التدريس، عمل بالتدريس في بلاده ثم رحل إلى السعودية فعمل في كلية الشريعة وكلية اللغة العربية والمعهد العالي للقضاء، وكان عضوًا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ومشرفًا على الدراسات العليا.

من مؤلفاته الكثيرة... وأشرف على كثير من رسائل الدراسات العليا في الجامعات الإسلامية،=

نماذج من التفاسير السلفية الحديثة (حسب الترتيب الزمني):

١ - (محاسن التأويل) لمحمد جمال الدين أبو الفرج بن محمد سعيد بن قاسم:

وقاسم هذا فقيه الشام في عصره الشيخ قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر المعروف بالحلاق وإلى هذا الفقيه ينسب حفيده فيسمى جمال الدين القاسمي، ولد رحمه الله تعالى يوم الاثنين ٨ / ٥ / ١٢٨٣ الموافق ٧ أيلول ١٨٦٦م في دمشق وتعلم القرآن أولًا ثم تعلم الكتابة ثم انتقل إلى مكتب في المدرسة الظاهرية فأخذ مبادئ التوحيد والصرف والنحو والمنطق والبيان والعروض وغيرها ثم جود القرآن على شيخ القراء أحمد الحلواني وقرأ على الشيخ سليم العطار والشيخ بكري العطار وأجازه كثير من علماء عصره.

وبدأ في التعليم بسن مبكرة فانتدبته الحكومة أربع سنوات من سنة ١٣٠٨ إلى سنة ١٣١٢ لإلقاء دروس عامة خلال شهر رمضان في وادي العجم والنبك وبعلبك وقام مقام أبيه في الدرس العام وإمامة الجامع وإلقاء الدروس فيه بعد وفاة والده سنة ١٣١٧ واستمر فيه إلى وفاته في دمشق مساء السبت ٣ / ٥ / ١٣٣٢ ودفن في مقبرة الباب الصغير بدمشق وله من العمر ٤٩ عامًا[١].

=بالإضافة إلى توليه خطبة الجمعة، توفي بالسرطان .

(١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر - د. فهد الرومي - ص١٦١-١٦٢، وترجم له في الأعلام للزركلي تحت اسم جمال الدين القاسمي، فقال: جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (١٢٨٣- ١٣٣٢هـ= ١٨٦٦ - ١٩١٤م) من سلالة الحسين السبط إمام الشام في عصره، علمًا بالدين، وتضلعًا في فنون الأدب، مولده ووفاته في دمشق، كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد، انتدبته الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس العامة في القرى والبلاد السورية، فأقام في عمله هذا أربع سنوات (١٣٠٨- ١٣١٢هـ) ثم رحل إلى مصر، وزار المدينة، ولما عاد اتهمه حسدته بتأسيس=

(ومحاسن التأويل) ويعرف بـ(تفسير القاسمي) طبع في سبعة عشر مجلدًا ويقع في ٦٣١٦ صفحة بدون المجلد الأول الذي جعله مقدمة لتفسيره وصدرت الطبعة الأولى بين عامي ١٣٧٦ - ١٣٧٧ من دار إحياء الكتب العربية، ووقف على طبعه وتصحيحه ورقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي وأصدرت دار الفكر ببيروت الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨ مصورة عن الطبعة الأولى(١).

ومفسرنا رحمه الله تعالى كثيرًا ما ينقل نقولًا طويلة عن علماء السلف فينقل عن أحمد بن حنبل وابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن جرير الطبري والشاطبي والعز ابن عبد السلام وابن حزم والرازي والزمخشري والراغب والقرطبي والبقاعي وغيرهم - رحمهم الله أجمعين وكثيرًا ما يستشهد - رحمه الله وهو من علماء الحديث - بالأحاديث النبوية من الصحاح والسنن والمسانيد. .

وفي اللغة يرجع إلى كتب اللغة كالقاموس والصحاح وغيرهما. وقد عاب

=مذهب جديد في الدين، سموه (المذهب الجمالي) فقبضت عليه الحكومة (سنة ١٣١٣هـ) وسألته، فرد التهمة، فأخلى سبيله، واعتذر إليه والي دمشق، فانقطع في منزله للتصنيف وإلقاء الدروس الخاصة والعامة في التفسير وعلوم الشريعة الإسلامية والأدب، ونشر بحوثًا كثيرة في المجلات والصحف، اطلعت له على اثنين وسبعين مصنفًا، منها (دلائل التوحيد- ط)، و(ديوان خطب - ط)، و(الفتوى في الإسلام - ط)، و(إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق- ط)، و(شرح لقطة العجلان- ط)، و(مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن - ط)، و(موعظة المؤمنين - ط)، اختصر به الإحياء للغزالي، و(إصلاح المساجد من البدع والعوائد - ط)، و(تعطير المشام في مآثر دمشق الشام- خ) أربع مجلدات، و(قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث - ط)، و(محاسن التأويل - ط) في ١٧ مجلدًا في تفسير القرآن الكريم، ولابنه أ. ظافر كتاب (جمال الدين القاسمي عصره - ط) - ومحاسن التأويل للقاسمي من مطبوعات دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.

(١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر - د. فهد الرومي - ص١٦٣-١٦٤.

بعض النقاد عليه - رحمه الله تعالى - كثرة نقله من الكتب وزعموا أن الرجل لم يكن له رأي شخصي وأنه إنما كان يعتمد في تأليفه على نقل آراء غيره، فرد عليهم الأستاذ سامي الكيال فقال عنهم أخطأوا من ناحيتين:

أ- لأن النقل بحد ذاته رأى وقديمًا قالوا: (اختيار المرء قطعة من عقله) وأنه رأى البدع قد تفشت والخرافات استولت على الأذهان وأن أقواله سوف لا يكون لها من القيمة ما لأقوال الأئمة السابقين.

ب- لأن بعض تأليفه التي وضعها في أخريات أيامه لم يكن فيها النقل إلا عرضًا وذلك في الوقت الذي أصبح لا يبالي فيه بالخصوم وذاع اسمه في العالم الإسلامي ولنضرب لذلك مثلًا في بيان المحكم والمتشابه في الآية السابعة من آل عمران اكتفى - رحمه الله تعالى - بنقل نص لابن تيمية - رحمه الله تعالى - في ٣٢ صفحة ثم بنص لابن المرتضى اليماني صاحب كتاب (إيثار الحق على الخلق) في ١٢ صفحة ولم يكن له إلا الربط بين النصين، ولا يعد هذا عيبًا إذ لم يكن هدفه رحمه الله تعالى التأليف، بل كان هدفه الإصلاح ونشر الحق بين الناس وإزالة البدع والمنكرات وتحت ظلال هذه الأهداف فإن الأمر سيان بين أن يأتي بكلام من عنده أو بكلام غيره ما دام يعتقده حقًا ويعتقده صوابًا، بل الثاني أولى لما ذكره الأستاذ سامي(١).

ولهذا ظهر قسم من مؤلفاته وليس فيه إلا المقدمة وبعض الأقوال القليلة النادرة ولم يكن ذلك عن عجز عن الكتابة، وإنما كان مقصودًا لنشر الفكرة الإصلاحية التي يسعى إليها وليحمل الخصوم على قبولها والقناعة بها من أقوال

---

(١) المصدر السابق ص١٦٦.

أئمة لا يستطيعون الرد عليهم(١).

٢- (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي الناصري التميمي الحنبلي:

ولد في مدينة عنيزة بالقصيم سنة ١٣٠٧ وتوفيت والدته وهو في الرابعة، ثم والده وهو في الثانية عشرة فكفلته زوجة والده وعطفت عليه أكثر من عطفها على أولادها وأدخلته مدرسة تحفيظ القرآن فحفظه في الرابعة عشرة من عمره ثم اشتغل بطلب علم التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصوله والنحو فقرأ الكتب وحفظ المتون، إلى أن بلغ الثالثة والعشرين من عمره فجلس للتدريس فكان يعلم ويتعلم واشتهر بعلمه وارتفع قدره فأقبل طلبة العلم عليه لتلقي العلوم والمعارف عنه واشتهر عدد من تلاميذه. توفي رحمه الله تعالى قبل فجر الخميس ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦ بسبب نزيف في المخ أصابه يوم الأربعاء وقد أرسل الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله تعالى طائرة تحمل الأطباء لعلاجه ولسوء الأحوال الجوية ذلك اليوم لم تستطع الطائرة الهبوط. وترك رحمه الله تعالى عددًا كبيرًا من المؤلفات العلمية طبع أكثرها على نفقته ووزعها مجانًا وما زال بعضها مخطوطًا لم يطبع(٢).

---

(١) الأدب العربي المعاصر في سورية: سامي الكيال ص١٥٥-١٥٦.

(٢) المصدر السابق ص١٤٨، وفي الأعلام للزركلي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي (١٣٠٧-١٣٧٦هـ = ١٨٩٠ - ١٩٥٦م)، مفسر من علماء الحنابلة من أهل نجد، مولده ووفاته في عنيزة (بالقصيم)، وهو أول من أنشأ مكتبة فيها سنة (١٣٥٨)، له نحو ٣٠ كتابًا، منها الكتب المطبوعة الآتية: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سبعة مجلدات، و(تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن)، وهو خلاصة التفسير المطول السابق في مجلد واحد، و(القواعد الحسان لتفسير القرآن)، و(طريق الوصول إلى المأمول من علم الأصول)، و(الأدلة القواطع والبراهين في=

٣- (بيان المعاني - عبد القادر العاني) للسيد عبد القادر ملا جويش آل غازي العاني[1] (١٢٩٨-١٣٩٩ هـ = ١٨٨٠-١٩٧٨م) ولد بالعراق ورحل إلى دمشق (إتمام الأعلام).

٤- (صفوة البيان لمعاني القرآن)، (كلمات القرآن تفسير وبيان) للشيخ حسنين مخلوف (١٣٠٧-١٤١٠هـ= ١٨٩٠-١٩٩٠م) (إتمام الأعلام - دار نزار أباظة):

وهو حسنين محمد مخلوف ولد سنة ١٨٩٠م - ١٣٠٨هـ في القاهرة ولما أكمل الدراسة في الأزهر التحق بالقسم العالي بمدرسة القضاء الشرعي ونال شهادتها في سنة ١٩١٤، عضو في هيئة كبار العلماء وتولى رئاسة محكمة طنطا ومنصب مفتي مصر وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ونال سنة ١٤٠٣هـ جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام[2].

٥- (توفيق الرحمن في دروس القرآن) للشيخ فيصل بن عبد العزيز المبارك (١٣١٣-١٣٧٦ هـ= ١٨٩٥-١٩٥٧م) الأعلام للزركلي.

والمؤلف وُلد في حريملاء سنة ١٣١٣ وأخذ العلم عن علماء الرياض وقطر وتولى القضاء بالجوف وله عدد من المؤلفات منها:

=إبطال أصول الملحدين)، رسالة، و(القواعد والأصول الجامعة) في أصول الفقه، و(التوضيح والبيان لشجرة الإيمان) رسالة، و(الدرة البهية) شرح للقصيدة التائية لابن تيمية، و(الخطب المنبرية) مجموعة من خطبه، و(الرسالة المفيدة للحياة السعيدة) مختصر، و(توضيح الكافية الشافية لابن القيم) شرح لها. وصدر بعد وفاته كتاب (سيرة العلامة الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي) لبعض مريديه، وهذا التفسير طبعته جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت.

(١) المرجع السابق ص١٠٠ - وبيان المعاني على حسب ترتيب النزول - مطبعة الترقي - دمشق.

(٢) المرجع السابق ص٩ - صفوة البيان - مطبعة المدني - القاهرة - ط٨ - سنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، وكلمات القرآن - ط. دار نور الإيمان - القاهرة - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

هذا التفسير، وخلاصة الكلام شرح عمدة الأحكام في مجلد واحد، وبستان الأحبار شرح مختصر نيل الأوطار في جزأين كبيرين، ولذة القارئ مختصر فتح الباري في ثمانية أجزاء وغير ذلك في الفقه والفرائض والنحو[1].

٦- (منار السبيل في الأضواء على التنزيل) للشيخ محمد العثمان القاضي:

وهو الشيخ محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي من قبيلة آل تميم من الوهبة، قرأ على والده وعلى الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ثم على الشيخ محمد الصالح العثيمين وعلى غيرهم من العلماء، وله عدد من المؤلفات منها هذا التفسير ويقع في أربعة أجزاء في مجلدين ومنها مقتطفات العلوم الفائقة، والحديثة اليانعة[2].

٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي:

وقد ولد رحمه الله سنة ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م في تنبه من أعمال مديرية «كيفا» في شنقيط وهي دولة موريتانيا الإسلامية الآن وتوفي والده وهو صغير يقرأ في جزء عم وترك له ثروة من الحيوان والمال فسكن مع أمه عند أخواله وحفظ القرآن على خاله وعمره عشر سنوات وتعلم رسم المصحف العثماني على ابن خاله، ودرس الأدب دراسة واسعة على زوجة خاله قال: أخذت عنها مبادئ النحو كالآجرومية وتمرينات ودروس واسعة في أنساب العرب وأيامهم والسيرة النبوية ونظم الغزوات وشروحه.. فكان بيت أخواله المدرسة الأولى له. ثم درس الفقه

---

(١) المصدر السابق ص١٠١ - والتفسير - طبع دار العاصمة - الرياض - ط٢ - ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٢) المرجع السابق ص٩٦، ومنار السبيل للشيخ محمد العثمان القاضي - طبع مطبعة الحلبي - ١٩٧٧م.

المالكي وألفية ابن مالك ثم أخذ بقية الفنون على مشايخ عديدين في فنون مختلفة وكلهم من الجكنيين إلى أن برع فيها.

ثم أزمع - رحمه الله تعالى - على الحج عن طريق البر وعلى نية العودة بعد الحج وكان كغيره في نفسه شيء غير قليل من رواسب الشبهات الملصقة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وما أن وصل إلى البلاد حتى اتصل ببعض علمائها فقرأ بعض كتب الدعوة من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وبعض رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله - جميعًا، وكان هذا كافيًا لتنقية عقله وفكره مما شابه من تدنيس الخصوم وجلاء الحقيقة أمام ناظريه، وانقلب عزمه من العودة إلى رغبة في البقاء ثم بدأ التدريس في المسجد النبوي وتم له ذلك بأمر من جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله. ثم في سنة ١٣٧١ افتتح في الرياض معهد علمي أعقبه افتتاح كليتي الشريعة واللغة العربية - وقد اختير رحمه الله لتدريس التفسير والأصول إلى سنة ١٣٨١ حين افتتحت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ثم عاد رحمه الله إلى المدينة المنورة للتدريس في الجامعة الإسلامية وفي سنة ١٣٨٦هـ افتتح في الرياض المعهد العالي للقضاء فكان رحمه الله أستاذًا زائرًا للتفسير والأصول، وفي سنة ١٣٩١ صدر تشكيل لهيئة كبار العلماء وكان رحمه الله أحد أعضائها وفي رابطة العالم الإسلامي كان عضو المجلس التأسيسي فيها وكان له فيه خدمات جليلة، وتوفي رحمه الله تعالى ضحى يوم الخميس ١٧/ ١٢/ ١٣٩٣هـ بمكة المكرمة مرجعه من الحج ودفن بمقبرة المعلاة وصلى على جثمانه في الحرم المكي وفي ليلة الأحد أقيمت عليه صلاة الغائب بالمسجد النبوي.

* ومن أهم مؤلفاته رحمه الله تعالى:

١- منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز وغرضه فيه نفي ادعاء المجاز في أسماء الله تعالى وصفاته وإجراؤها على طريقة السلف بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه، وزاد هذا المعنى إيضاحًا في كتابه آداب البحث والمناظرة.

٢- دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب.

٣- مذكرة الأصول على روضة الناظر.

٤- آداب البحث والمناظرة.

٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن[١].

٨- (صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم) للشيخ عبد الرحمن ابن محمد ابن خلف الدوسري (١٣٣٢- ١٣٩٩هـ = ١٩١٣ - ١٩٧٩م) (إتمام الأعلام - د. نزار أباظة):

وقد ولد المؤلف في البحرين عام ١٣٣٢ ونشأ في الكويت وتعلم في المدرسة المباركية واشتغل بالأعمال الحرة، وكان له نشاط كبير في الدعوة وفي الصحافة

---

(١) المصدر السابق - ص١٢٣- ١٢٥- وفي الأعلام للزركلي: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (١٣٢٥ - ١٣٩٣هـ = ١٩٠٧ - ١٩٧٣) مفسر مدرس من علماء شنقيط (موريتانيا) ولد وتعلم بها وحج (١٣٦٧)، واستقر مدرسًا في المدينة المنورة ثم الرياض (٧١)، وأخيرًا في الجامعة الإسلامية بالمدينة (١٣٨١) وتوفي بمكة، له كتب منها (أضواء البيان في تفسير القرآن) طُبع ستة أجزاء منه، والسابع يطبع، (ومنع جواز المجاز - ط)، ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات - ط)، صغير و(دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب - ط)، و(آداب البحث والمناظرة - ط) جزآن، و(ألفية في المنطق - خ)، و(رحلة خروجه من بلاده إلى المدينة - خ)، وكتاب أضواء البيان للشنقيطي ط. مطبعة المدينة - القاهرة.

ومنابر المساجد في الداخل والخارج وأنفق ماله بسخاء في سبيل ذلك، وله عدد من المؤلفات منها هذا التفسير وأذيع أكثره على شكل حلقات من إذاعة المملكة العربية السعودية ثم بدأت مؤخرًا طباعته فصدر منه حتى الآن أربعة مجلدات وله غيره كثير من المؤلفات رحمه الله تعالى، وكتب الشيخ سليمان بن ناصر الطيار عنه رسالة نال بها درجة الماجستير بعنوان (حياة الداعية الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسري) من كلية الدعوة والإعلام جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية(١).

٩- تفهيم القرآن وتفسير سورة النور وتفسير سورة الأحزاب للأستاذ أبي الأعلى المودودي: الذي ولد في سنة ١٩٠٣م في حيدر آباد، وبدأ نشاطه في الصحافة، وأسس الجماعة الإسلامية بلاهور ١٩٤١م، وانتخب رئيسًا لها، سجن عدة مرات وحكم عليه بالإعدام، ثم خفف إلى التأبيد وأطلق سراحه ١٩٥٥م، واستمر في الدعوة إلى أن نال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام ١٣٩٩هـ وتوفي - رحمه الله - ١٩٧٩م وله عدد من المؤلفات منها:

تفهيم القرآن وتفسير سورة النور، وتفسير سورة الأحزاب، ما هي القاديانية، الحجاب، الجهاد، وغير ذلك بالأوردية ثم ترجم إلى العربية(٢).

١٠- (تفسير سور المفصل من القرآن الكريم) لعبد الله عبد الصمد كنون (١٣٢٦-١٤٠٩هـ = ١٩٠٨-١٩٨٩م) (إتمام الأعلام):

من مواليد فاس بالمغرب سنة ١٣٢٦، نال شهادة العالمية من جامعة القرويين سنة ١٣٤٩، وتولى بعض المناصب، منها الأمين العام لرابطة علماء

---

(١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر - رسالة دكتوراه - للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ص٩٤ - وتفسير الدوسري - طبع مكتبة دار الأرقم - الكويت - ط١ - سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٢) المصدر السابق ص١١٢ - وتفهيم القرآن - أبو الأعلى المودودي - إدارة ترجمان القرآن - لاهور.

المغرب، عضو مجمع اللغة العربية بمصر وعضو بمجمع البحوث الإسلامية بمصر وعضو المجمع العلمي بدمشق. ومن مؤلفاته: مفاهيم إسلامية - إسلام رائد - على درب الإسلام - تحركات إسلامية - وهذا التفسير - وغير ذلك[١].

١١- تفسير القرآن الكريم - محمد عبد المنعم خفاجي[٢].

١٢- (سورة الأحزاب - عرض وتفسير) د. مصطفى زيد[٣].

١٣- الموجز في تفسير القرآن الكريم - محمد رشدي حمادي[٤].

١٤- الذخيرة في تفسير أجزاء قرآنية - محمد عبد الله الجزار[٥].

١٥- (بشائر الرضوان في تفسير القرآن) - للأستاذ علي رفاعي محمد:

وهو من علماء الأزهر ومدرس الدعوة إلى الله بالدراسات العليا بجامعة الأزهر[٦].

١٦- (تفسير لأربع عشرة سورة من المفصل)، (تفسير سورة الأحزاب)، (تفسير سورة الأنفال)، (الضياء في أحكام الضعفاء الثلاثة من سورة النساء) للشيخ الغزالي خليل عيد: وقد ولد سنة ١٩١١م وتخرج من كلية أصول الدين بالأزهر سنة ١٩٣٩م ودرس في المعاهد الدينية ثم شيخًا لمعهد بني سويف ١٩٦٩م، ثم

---

(١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر - للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ص٩٩ - ط مكتبة الرشد - الرياض - وتفسير سورة المفصل لعبد الله كنون - ط. دار الثقافة - الدار البيضاء - المغرب - ١٩٨١م.

(٢) تفسير ال قرآن الكريم - محمد عبد المنعم خفاجي - المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة.

(٣) المصدر السابق ص١٠٤ - وتفسير سورة البقرة، وتفسير سورة الأنفال، - د. مصطفى زيد - دار الفكر العربي - القاهرة.

(٤) الموجز في تفسير القرآن الكريم - محمد رشدي حمادي - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.

(٥) الذخيرة في تفسير أجزاء قرآنية - محمد عبد الله الجزار - مكتبة القاهرة - القاهرة.

(٦) المرجع السابق ص٩٦ - وبشائر الرضوان - طبع مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح - القاهرة.

عمل مدرسًا في كلية الشريعة بالرياض ثم في كلية أصول الدين بها إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - أواخر سنة ١٤٠٢، ومن مؤلفاته الأربعة المذكورة - ويقول - أي المؤلف - عنه شيخنا[١].

١٧- (صفوة التفاسير، ومختصر تفسير ابن كثير، وروائع البيان في تفسير آيات الأحكام في القرآن) للشيخ محمد علي بن جميل الصابوني، ولد في حلب سنة ١٩٢٨م وأتم دراسته الثانوية في سوريا ثم التحق بالأزهر فنال العالمية ١٩٥٢م والماجستير تخصص في القضاء الشرعي ١٩٥٤م ثم عاد إلى سوريا فدرس ثماني سنوات ثم انتدب للتدريس بكلية الشريعة بمكة المكرمة ولا يزال بها (وقت مناقشة هذه الرسالة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م) وله عدد من المؤلفات منها: النبوة والأنبياء؛ روائع البيان في تفسير آيات الأحكام في القرآن، وصفوة التفاسير، ومختصر تفسير ابن كثير وغير ذلك[٢].

١٨- تفسير سورتي الأنعام والأعراف - د. أحمد السيد الكومي، د. محمد سيد طنطاوي.

وتفسير سورة المائدة وتفسير سورة التوبة د. محمد سيد طنطاوي[٣].

* * *

---

(١) المصدر السابق ص١٠٤ - وكتب التفسير للشيخ الغزالي خليل عيد - ط. مكتبة المعارف - الرياض.

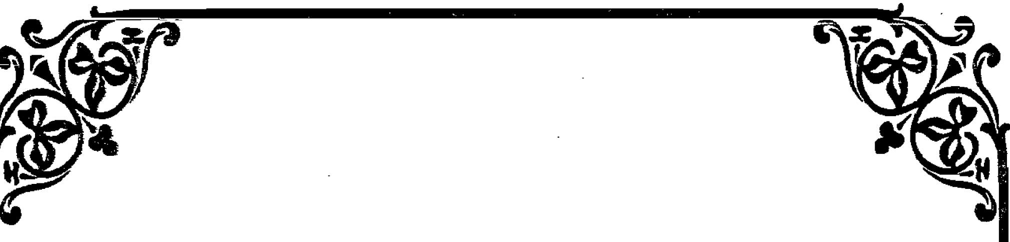
(٢) المصدر السابق ص١٠٥ - ومختصر تفسير ابن كثير - ط. دار القرآن الكريم، بيروت، روائع البيان- ط . مكتبة الغزالي - دمشق ، صفوة التفاسير - دار الهلال - بيروت.

(٣) تفسير سورة الأعراف - د. الكومي - د. طنطاوي - مطبعة السعادة - القاهرة، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم - د. طنطاوي - مطبعة السعادة - ميدان أحمد ماهر - القاهرة.

وهكذا نرى أن كل هذه التفاسير السلفية الحديثة عيال على تفسير المنار، حيث كان له السبق عليهم جميعًا، فقد بدأ تفسير المنار بدروس الشيخ محمد عبده - رحمه الله - والذي توفي عام ١٣٢٣هـ، وبدأ دروس التفسير في الجامع الأزهر قبل وفاته بست سنوات، وكان الشيخ رشيد رضا رحمه الله تعالى يطبع هذه الدروس وينشرها في مجلة المنار في حياة الشيخ محمد عبده بصياغة الشيخ رشيد بعد عرضها على شيخه، وقد وصل بهذه الطريقة من أول المصحف إلى الآية (١٢٦) من سورة النساء، أي ما يقرب من خمسة أجزاء، ثم أكمل الشيخ رشيد التفسير بعد وفاة الشيخ محمد عبده حتى وصل إلى الآية ١٠١ من سورة يوسف، أي حوالي اثنا عشر جزءًا وربع، ثم قام الشيخ محمد بهجت البيطار بإكمال تفسير سورة يوسف وطبع مستقلًا باسم الشيخ رشيد، ثم قام الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله وتلاميذه بإكمال التفسير من بعد سورة يوسف على صفحات مجلة الهدي القديمة، حتى توقفت، ثم الجديدة حتى الآن.

***





الباب الثاني

تفسير الشيخ محمد حامد الفقي







الفصل الأول

الاختلافات بين تفسير الشيخ حامد وتفسير المنار

لقد ذكر الشيخ حامد الفقي أنه سيكمل تفسير المنار وأنه سيبدأ بعد انتهاء الشيخ رشيد رضا من التفسير وذلك بعد أن بدأ بتفسير سورة الفاتحة ومائة آية من سورة البقرة، فهل يوجد اختلاف بين التفسيرين؟

١- ما ذكره الشيخ حامد من إكمال تفسير المنار بعد أن قطع شوطًا في التفسير من أول القرآن إلى الآية رقم ١٠٠ من سورة البقرة يعد محاولة طيبة منه وهي المحاولة الوحيدة في العالم الإسلامي كله لإكمال هذه التفسير، ولا شك أن الشيخ حامد الفقي تلميذ الشيخ رشيد رضا كان أولى الناس بذلك، ولعله فعله بدافع شعوره بالتلمذة على شيخه ففي مجهودات التلميذ استمرار لمجهودات شيخه أو إكمال أو تصحيح لها، ومن مقاصد التأليف كما ذكرها العلماء تكميل ناقص(١).

٢- أول ما يلفت النظر عند المقارنة بين تفسير المنار وتفسير الشيخ حامد الكلام عن عقيدة التوحيد بأقسامها الثلاثة توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، فقد تكلم الشيخ رشيد رضا عنها في مواضع قليلة جدًّا، بينما أكثر الشيخ حامد من توضيح هذه العقيدة بأقسامها وتصحيح مفهوم الناس لها وبيان مدى احتياج الناس إلى الفهم الصحيح لهذه العقيدة.

٣- الإكثار من التأويل في العديد من المواضع بدون ما يدعو إلى ذلك - في

---

(١) انظر قواعد التحديث لمحمد جمال الدين القاسمي - ط. دار الكتب العلمية بيروت ص٣٨ ومنهج البحث في العلوم الإسلامية د. محمد الدسوقي ط. دار الثقافة الدوحة ص٥٩ .

تفسير المنار - مثل القول بأن جنة آدم عليه السلام كانت في الأرض وليست جنة الآخرة وتأويل خلق حواء من ضلع آدم والقول بأن آدم ليس هو أول الأحياء العاقلة التي سكنت الأرض وتأويل حقيقة الملائكة بالقوى الطبيعية وتفسير رفع الطور فوق بني إسرائيل بالزلزال والاعتراض على المسخ الحقيقي في قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾، وتأويل إحياء الميت في قصة البقرة بالقصاص.

بينما كان موقف الشيخ حامد على العكس من ذلك فقال بأن جنة آدم هي جنة الآخرة وأن حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام وأتى بالأحاديث التي تدل على ذلك وما دام آدم قد أنزل إلى الأرض من الجنة فهو أول الأحياء العاقلة على ظهر الأرض ولم يذكر عن الملائكة غير الطبيعة التي خلقهم الله عليها وأنهم خلقوا من نور كما جاء في الأحاديث، وفي مسألة رفع جبل الطور فوق بني إسرائيل قال بالرفع الحقيقي وأنكر تأويله بالزلزال إذ إن الرفع الحقيقي معجزة أما الزلزال فمن الظواهر الطبيعية وليس من المعجزات وفي مسألة المسخ قال بالمسخ الحقيقي وفي قصة إحياء الميت في سورة البقرة قال بالإحياء الحقيقي ولم يتأوله بغير ذلك.

٤- رد الأحاديث الصحيحة:

وقد حدث ذلك في تفسير المنار في مواضع عديدة مثل قول الشيخ رشيد رضا في حديث البخاري في سرقة الجني من تمر الصدقة (والصواب أنه ليس في هذه الروايات كلها حديث صحيح) [(١)] جـ٣ ص٩٦ .

وفي ما ورد في أحاديث الصحيحين وغيرها من أن قريشًا سألت النبي ﷺ آية فانشق القمر فكان فرقتين فقال الشيخ رشيد رضا رحمه الله تعالى (ولكن في

---

(١) تفسير المنار - ط. دار الكتاب العلمية - بيروت جـ٣ ص٩٦ .

الأحاديث الواردة في انشقاقه عللًا في متنها وأسانيدها. جـ١١ ص٣٣٣(١).

وقد قال الشيخ الذهبي رحمه الله تعالى في كتابة التفسير والمفسرون عن الشيخ رشيد رضا وحديث سرقة الجني من تمر الصدقة:

وإذا كان الشيخ رشيد قد تخلص هنا من معارضة الحديث بالطعن فيه(٢).

ويقول الشيخ الذهبي عن الشيخ محمد عبده بعد ذكره لرد الشيخ حديث البخاري في سحر النبي ﷺ في تفسير جزء عم ص١٨١ - ١٩٢:

وليس هذا الحديث وحده هو الذي يضعفه الشيخ أو يتخلص منه بأنه رواية آحاد بل هناك كثير من الأحاديث نالها هذا الحكم القاسي، فمن ذلك أيضًا حديث الشيخين: كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها فإنه قال فيه إذا صح الحديث فهو من قبيل التمثيل لا من باب الحقيقة (تفسير المنار ٢ / ٣٩٠).

فهو لا يثق بصحة الحديث رغم رواية الشيخين له، ثم يتخلص من إرادة الحقيقة - على فرض الصحة - بجعل الحديث من باب التمثيل وهو ركون إلى مذهب المعتزلة، الذين يرون أن الشيطان لا تسلط له على الإنسان إلا بالوسوسة والإغراء فقط(٣).

وقد وقع الشيخ حامد الفقي في بعض ذلك تأثرًا بهذا المنهج ولكن بنسبة أقل بكثير جدًّا من سابقيه.

٥- معجزات النبي ﷺ:

يقول الشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام للدولة العثمانية سابقًا في كتابه

---

(١) المصدر السابق جـ١١ ص٣٣٣.

(٢) التفسير والمفسرون - ط. مكتبة وهبة - القاهرة جـ٢ ص٦٢٩.

(٣) المصدر السابق جـ١ ص١١٧.

(القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون):

رأيت للشيخ رشيد رضا تلميذ الشيخ محمد عبده تأويلًا لقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ والمعنى عنده اقتربت الساعة وظهر الحق... فالأحاديث المنبئة بمعجزة انشقاق القمر غير مقبولة عند شيخ المنار، وقول القرآن: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ لا يفهم منه انشقاق القمر وإنما يفهم منه معنى آخر غير انشقاق القمر، قولوا بربكم هل الشيخ لاغ في القرآن والحديث ولاعب بهما أم هو غير لاغ ولاعب؟

أجيبوني عن سؤالي هذا ولا تؤاخذوني بتشديد القول عليه، فهل تريدون أن أقول للاعب بالقرآن: أحسنت؟ (١).

ويقول الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون:

ولقد نجد صاحب المنار يذهب في معجزات النبي ﷺ مذهبًا بعيدًا، فقرر أنه لا معجزة للنبي ﷺ غير القرآن الكريم وينكر بعض معجزاته الكونية، ويتأول ما يشهد لها من آيات ويجحد صحة ما يقول بإثباتها من الأحاديث، وما يسلمه من بعض الآيات الكونية فهو في نظرة إكرام للنبي من ربه، وليس من قبيل المعجزة، أو الحجة على صدق دعوته(٢).

وعلى العكس من ذلك نجد أن الشيخ محمد حامد الفقي يثبت للرسول ﷺ المعجزات الأخرى غير القرآن الكريم فيقول عن معجزة الإسراء والمعراج:

من الأدلة الواضحة على صحة وقوع المعجزة - الإسراء والمعراج - بالجسم والروح يقظة قوله تعالى في سورة النجم: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ

---

(١) القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، مصطفى صبري ط. دار السلام.

(٢) التفسير والمفسرون - د. محمد حسين الذهبي - ط. مكتبة وهبة - القاهرة جـ٢ ص٦٢٨ .

ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ فإنه لا يمكن أن يكون رسول الله ﷺ رأى جبريل على صورته الملكية العظيمة التي خلقه الله عليها الرؤية الثانية - عند سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى إلا وهو فوق السماوات العلى، بجوار سدرة المنتهى التي رأى عندها ما رأى فيها وفي غيرها - من عجائب خلق الله في السماوات والأرض ما هو من آيات ربه الكبرى(١).

***

(١) مجلد ٢٢ من الهدي النبوي - عدد ١٠، ٨ شعبان وشوال ١٣٧٧ - ص١٨ .




الفصل الثاني

منهجه في التفسير




يقول الشيخ محمد حامد الفقي في المقدمة ليؤكد أن القرآن كتاب هداية:

القرآن الكريم: هو كلام الله تعالى أنزل على أشرف خلقه وخاتم رسله محمد ﷺ. لهداية الناس، وإرشادهم في كل زمن إلى ما به صلاح دنياهم في جميع شئونها، وصلاح دينهم وآخرتهم. والقول في تفسير هذا القرآن ليس بالأمر الهين الذي يستطيعه كل أحد، ويقدر عليه كل من عرف القراءة والكتابة، لأنه كلام الله العلي الأعلى الذي أعجز الجن والإنس أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولكن قد تفضل الله بتيسيره للمتدبرين، والمتفقهين ليزكوا به نفوسهم ويطهروا بالفقه فيه أرواحهم وأخلاقهم. قال الله تعالى في غير آية: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧ - ٤٠] وليس القصد من هذا والغرض منه أن يكون كتاب الله مزلة يعبث بها كل جاهل، وملعبة يقول فيها كل أحد برأيه ويؤوله بهواه، ويتكلم في تفسيره بجهل، فيحرف القول عن موضعه بما يبطل حدوده ويقضي على آياته، ويزعم أنه يفسر القرآن بالقرآن ويرشد منه إلى الهداية والعرفان، كلا ثم كلا(١).

ثم يبين منهجه في التفسير وهو تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة الصحيحة ثم بأقوال الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم:

إنما نقصد بقولنا أن العامي يقرأ ليفهم، لا ليتبرك بتكرير الألفاظ، ويقرأ

---

(١) يقصد هنا كتاب الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن الذي جعله الشيخ الذهبي في كتابه «التفسير والمفسرون» نموذجًا للتفسير الإلحادي بدون أن يذكر اسم مؤلفه، فقدتم مصادره الكتاب عن طريق لجنة في الأزهر ومنع من التداول (التفسير والمفسرون- للدكتور محمد حسين الذهبي ص٥٧٢ ج٢ نشر مكتبة وهبة).

- مجلة الهدي النبوي - المجلد الأول - ١٣٥٦هـ .

القرآن كما يقرأ كتابًا يجيئه من عظيم يأمره ويرشده. ويتدبر ويعود نفسه التدبر ويمرنها على الفهم وذوق كلام الله تعالى.

فإنه إذا قرأ كذلك فتح الله له من آيات أصول الإسلام في توحيد الإلهية والعبادة، وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ما لا يجد مثله في كتاب غير القرآن. فإن لقي في سبيله عقبة فلا يحاول إغفالها والإغضاء عنها، بل يعمل على تذليلها بالرجوع إلى قول الرسول ﷺ وقول الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم[١].

ثم يذكر هذا المنهج ويزيده تفصيلًا فيقول:

ونحن إن شاء الله تعالى سنتوخى في قولنا في تفسير القرآن أن يكون أولًا بالقرآن، فإن لم نجد فبسنة رسول الله ﷺ الصحيحة الثابتة برواية العدول الثقات؛ وسنقصد إلى تطبيق حوادث الزمان، وحال الأمم الإسلامية في جميع شئونها السياسية والاقتصادية والدينية على القرآن لأن هذا هو أهم أغراضنا من التفسير، ليعرف الناس أين هم من القرآن؟

وسنحرص أن يكون سهل العبارة قريب المأخذ. بعيدًا عن الاختلافات والمحاكات اللفظية، والمحاولات في غير طائل، لا ننتصر به لمذهب، ولا نتعصب لقائل إنما نبتغي الحق قدر طاقتنا، ونطلب الدين الصحيح جهد استطاعتنا محاولين بذلك توجيه المسلمين إلى كتابهم الذي أنزله الله شفاء لما في صدورهم، وإرجاعهم إلى الهدى والحق من ربهم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩][٢].

---

(١) المصدر السابق ١٣٥٦هـ.

(٢) المصدر السابق ١٣٥٦هـ.

ومن هنا نستطيع أن نلخص أسس هذا المنهج فيما يلي:

١- تفسير القرآن بالقرآن.

٢- ثم بالسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

٣- ثم بأقوال الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم.

٤- ثم باللغة العربية.

٥- التركيز على أصول الإسلام من توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية وتوحيد الأسماء والصفات والقضاء والقدر.

٦- استخراج ما في الآيات من نحويات وبلاغيات وعلوم القرآن.

٧- تنظيم الحياة الاجتماعية بالمجتمعات الإسلامية بهداية القرآن.

٨- عدم الأخذ بالإسرائيليات والتحذير منها.

٩- التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية.

١٠- الدعوة إلى الاجتهاد وترك التقليد.

* * *



المبحث الأول

تفسير القرآن بالقرآن

حينما تكلم عن تفسير قوله تعالى ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] جمع كل الآيات التى ورد فيها لفظ الطهارة ليستقي منها المعنى المفهوم لهذه الكلمة فقال: وقد ذكر الله تعالى وصف نساء الجنة بذلك فى سورة آل عمران أيضًا فى قوله ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥].

وقال فى سورة النساء ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [النساء: ٥٧] وذكر الله تعالى هذا التطهير فى القرآن: للطهارة الحسية والطهارة المعنوية، لطهارة الجسم وطهارة القلب؛ للطهارة من الأنجاس ولطهارة الروح من سوء الأخلاق والأعمال والاعتقاد.

وقال فى الطهارة من الحيض فى سورة البقرة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقال فى سورة آل عمران لمريم ابنة عمران: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢].

وقال فى آية الوضوء ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ – إلى قوله-: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦].

وقال لإبراهيم وإسماعيل فى سورة البقرة: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقال لإبراهيم في سورة الحج: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾ [الحج: ٢٦].

وقال فى الصدقة فى سورة التوبة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال لنبيه ﷺ فى سورة المدثر: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤].

وقال فى أهل مسجد قباء فى سورة التوبة: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وقال فى طهارة آل لوط فى سورتي الأعراف والنمل: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢، النمل: ٥٦].

وقال فى حق اليهود فى سورة المائدة : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

وقال فى صيانة القلوب وإبعادها عن قذارة الريب والفواحش فى سورة الأحزاب: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. فلا شك أن المقصود من طهارة نساء الجنة كل هذه الطهارة(١).

وما أبلغ هذه الكلمة التى وجهها لنساء المسلمين فى هذا الموضع من تفسيره:

ولن يكون فى الجنة منهن إلا من طهرت نفسها بالإيمان والتقوى والعفة، والحياء والخفر، وقصرت نفسها على زوجها، وكانت خالصة له فى قلبها ورأيها،

---

(١) مجلة الهدى النبوى — العدد ٢٦ – جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ – الجزء الثانى من السنة الثالثة — صـ ٧، ٨.

وعملها وجسمها، وطهرت قلبها من وساوس شياطين الإنس والجن، ولسانها من البذاء والفحش، وعينها من مواقع الريبة والفتنة، ونظفت جسمها من الأوساخ والفضلات مرضاة لربها وتحببًا إلى زوجها، وحرصًا على تحقيق السكون والمودة والرحمة، أولئك هن نساء الجنة المطهرات مع الحوار العين (١).

ومن ذلك تفسيره للآية ٥٥ من سورة البقرة ، وهي قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ عندما تكلم عن الصاعقة، فقال: وأصل الصاعقة: كل أمر هائل رآه المصعوق أو عاينه، أو أصابه، حتى يصير من هوله وعظيم شأنه إلى هلاك وعطب، وإلى ذهاب عقل وغور فهم، أو فقد بعض آلات الجسم، صوتًا كان الأمر الهائل أو نارًا، أو زلزلة أو رجفًا. وقد سمى الله ما أصاب عادًا من الريح صاعقة، وما أصاب ثمود من الصيحة صاعقة. فقال في سورة فصلت: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت: ١٣].

وليس يلزم أن تنتهي الصعقة بالموت، فقد صعق موسى ثم أفاق منها، قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

كذلك هؤلاء الذين اختارهم موسى لميقات ربه لما خروا صاعقين – حين قالوا : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فلما رآهم موسى كذلك ظنهم ماتوا، فأخذ يبكي ويناشد ربه: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

---

(١) المرجع السابق – ص٧.

ثم أخذ يتذلل لربه ويناشده ويسترحمه، ويبرأ من عملهم ويقول: ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، وما زال بربه يسأله ويرجوه في ذلة وضراعة ومسكنة حتى ردهم الله إلى الصحو(١).

ثم يقرر أيضًا أن اللفظ قد يكون على ظاهره بدون تأويل، يقول: وجائز أيضًا أن يكونوا ماتوا موتًا حقيقيًا، ثم بعثهم الله وآراهم هذه الآية ليشكروه سبحانه على إنعامه عليهم، فيؤمنوا بموسى ويتبعوه(٢).

وكذلك عند تفسير الآية ٥٨ من سورة البقرة وهي قول الله تعالى ذكره: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ٥٨].

يأتي بآية سورة الأعراف رقم (١٦١) فيفسرها بها، فيقول رحمه الله : قد ذكر الله تعالى هذه الواقعة في قصص موسى وبني إسرائيل من سورة الأعراف، فقال: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦١].

فقوله تعالى هنا: «اسكنوا» يدل على أن المراد من الدخول في آية البقرة الاستقرار والسكنى(٣).

---

(١) مجلة الهدي النبوي، العدد ٤٦، جمادى الأولى ١٣٥٩ - الجزء العاشر من السنة الرابعة، تفسير سورة البقرة، ص٤.

(٢) المصدر السابق - نفس العدد - ص٥.

(٣) مجلة الهدي النبوي - العدد ٤٧ - أول جمادى الثانية ١٣٥٩ - الجزء الحادي عشر من السنة الرابعة - تفسير سورة البقرة - ص٣.

المبحث الثاني

تفسير القرآن بالسنة الصحيحة

عند تفسير لفظ (حطة) في سورة البقرة آية ٥٨ وهي مذكورة أيضًا في الآية ١٦١ من سورة الأعراف، نقل ما أورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية عند ذكر هذه الواقعة من أحاديث الرسول ﷺ، ولم يعترض على هذه الأحاديث كما اعترض عليها شيخه الشيخ رشيد رضا كما هو موضح في موضعه، فقال الشيخ جامد – رحمه الله –: قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية – بعد أن ذكر حديث رواه الإمام أحمد في المسند على شرط البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الشمس لم تحبس لبشر إلا (ليوشع بن نون) ليالي سار إلى بيت المقدس».

والمقصود: أن «يوشع» لما دخل بهم باب المدينة أمروا أن يدخلوا سجدًا، أي: ركعًا متواضعين شاكرين لله عز وجل على ما من به عليهم من الفتح العظيم الذي كان الله وعدهم إياه، وأن يقولوا حال دخولهم: «حطة» أي: حط عنا خطايانا التي سلفت من نكولنا الذي تقدم منا، ولهذا لما دخل رسول الله ﷺ مكة يوم فتحها دخلها وهو راكب ناقته وهو متواضع شاكر، حتى إن عثنونه – وهو طرف لحيته – ليمس مورك رجله مما يطأطئ رأسه خضعانًا لله عز وجل، ومعه الجنود والجيوش مما لا يرى منهم إلا الحدق – لما عليهم من سوابغ الدروع ولأمة الحرب – ولا سيما الكتيبة الخضراء التي فيها رسول الله ﷺ لما دخلها اغتسل وصلى ثمان ركعات وهي صلاة الشكر على النصر، وأما بنو إسرائيل فإنهم خالفوا ما أُمروا به فعلًا وقولًا ودخلوا الباب يزحفون على أستاهم يقولون: حبة في شعرة، وفي رواية: حنطة في شعرة.

وحاصله أنهم بدلوا ما أُمروا به استهزاءً به، كما قال الله تعالى حاكيًا عنهم في سورة الأعراف وهي مكية: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦١-١٦٢].

وقال في سورة البقرة وهي مدنية مخاطبًا لهم: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ ﴾ [البقرة: ٥٨، ٥٩].

ثم ساق من البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب ﴿ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ ﴾، فدخلوا يزحفون على أستاهم، فبدلوا وقالوا حطة، حبة في شعرة». رواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: حسن صحيح(١).

أما الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار – وعند تفسير الآيتين ١٦١، ١٦٢ من سورة الأعراف فقد اعترض على هذا الحديث الصحيح المتفق عليه، فقال:

ولا ثقة لنا بشيء مما روي في هذا التبديل من ألفاظ عبرانية ولا عربية، فكله من الإسرائيليات الوضعية، كما قال الأستاذ الإمام هنالك، وإن خرج بعضه في الصحيح والسنن موقوفًا ومرفوعًا كحديث أبي هريرة المرفوع في الصحيحين وغيرهما: «قيل لبني إسرائيل: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ ﴾ [البقرة: ٥٨]،

---

(١) مجلة الهدي النبوي – العدد ٤٧ – أول جمادى الثانية ١٣٥٩ – الجزء الحادي عشر من السنة الرابعة – تفسير سورة البقرة – ص٥.

فدخلوا يزحفون على أستاهم وقالوا: حطة، حبة في شعرة».

وفي رواية شعيرة. رواه البخاري في تفسير السورتين (أي البقرة والأعراف) من طريق همام بن منبه أخي وهب وهما صاحب الغرائب في الإسرائيليات، ولم يصرح أبو هريرة بسماع هذا من النبي ﷺ فيحتمل أنه سمعه من كعب الأحبار إذ ثبت أنه روى عنه، وهذا مدرك عدم اعتماد الأستاذ رحمه الله تعالى على مثل هذا من الإسرائيليات وإن صح سنده ولكن قلما يوجد في الصحيح المرفوع شيء يقتضي الطعن في سنده[1].

ولكن الحديث صحيح، بل متفق عليه وهي أعلى درجات الصحة، ورواه البخاري ومسلم، وكذلك الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ في الكتب الثلاثة، فلا مطعن فيه، ولقد رواه البخاري في كتاب التفسير في موضعين رقم (٤٤٧٩، ٤٦٤١)، ورواه مسلم في كتاب التفسير أيضًا الحديث رقم (٣٠١٥)، ورواه الترمذي في كتاب التفسير الحديث رقم (٤٠٣٢).

***

(١) تفسير المنار – ط. دار الكتب العلمية – بيروت – جـ٩ – ص٣١١.



المبحث الثالث :

الاستعانة في التفسير بأقوال ومواقف أصحاب رسول الله ﷺ

وكان الشيخ الفقي رحمه الله يستعين في تفسيره بأقوال ومواقف أصحاب رسول الله ﷺ ليزيد ذلك تفسيره وضوحًا، ومن أمثلة ذلك ما جاء في تفسير آية سورة الرعد: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد: ٢].

فقال رحمه الله تعالى: وإن من أدل البراهين على ذلك وأقطعها لكل متخرص ومتظنن ما أثر في قلوب المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من الإيمان والهدى والأخلاق والآداب مما خلعهم مرة واحدة من جاهليتهم الأولى وشركهم ووثنيتهم، وجعلهم خير المهتدين، وأبر المتقين؛ وأصدق المؤمنين، وأعرف العارفين بالله رب العالمين، وأتقاهم له، وأسبقهم إلى طاعته ومرضاته، باعوا أنفسهم وأموالهم له بأن لهم الجنة، لأنهم سمعوا تلك الآيات المفصلات المنزلات بلسانهم العربي المبين؛ وتلاها عليهم رسول الله ﷺ وفهموها حق الفهم فآمنوا بها، وكانوا كلما تليت عليهم زادتهم إيمانًا ويقينًا ونورًا وهدى، وأنهم لم يستدركوا عليها بما استدرك به ورثة منطق اليونان وفلسفتهم؛ ولم تضق صدورهم بها كما ضاقت صدور أولئك الخالفين، فلم ينقل أن أحدًا منهم سأل رسول الله ﷺ حين تلاها عليهم: كيف أو لماذا؟ ويلزم الجهة، ويلزم التحيز، ويلزم المكان ويلزم كذا وكذا، لأنهم يعلمون يقينًا أنها تنزيل الحكيم الحميد، وأنه ما أنزلها إلا وهو يعلم أنها هي التي تنقذ قلوب عباده الصادقين من براثن شياطين الجن والإنس، وترجعهم إلى سيدهم ومولاهم الذي يتعرف إليهم بصفاته هذه، وآلائه ونعمائه؛

فإنهم رضي الله عنهم وأرضاهم، وألحقنا بهم كانوا أعرف بأنفسهم من كل أحد؛ وأنهم كانوا في ضلال فهداهم الله، وفي جهل عميق فعلمهم الله؛ وفي ظلمات دامسة فاطلع الله عليهم شمس القرآن فأنارت بصائرهم، لم يكونوا يرون العلم في غير القرآن، ولا عند غير الرسول ﷺ، لأنهم كانوا قد جربوا قبل ذلك نتائج أفكار الإنسان، ومحصول عقله، وقياسات رأيه، وطالما ذاقت قلوبهم الشقاء من جراء هذه الأهواء والآراء، فما كادت تطلع عليهم شمس الهداية المحمدية حتى عرفوا فرق ما بين نورها، وظلمات آراء الرجال وقياسات الأفكار، وعرفوا فرق ما بين السعادة التي امتن الله عليهم بها على قلب ولسان ذلك النبي الأكرم ﷺ، والشقاء الذي كانوا فيه أولًا من ظلمات الجاهلية الأولى، كانوا يوردون قلوبهم موارد القرآن والسنة العذبة ويحرمون عليها غيرها؛ فلذلك كانوا يؤمنون بالكتاب كله، لا يضربون بعضه ببعض، ولا يفرقون بين آية وآية، فهداهم الله إلى الإيمان به، وبأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، على ما يليق بجلاله وعظمته، بلا تحريف ولا تأويل؛ ولا تشبيه ولا تعطيل: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الشورى: ١١، ١٢][1].

* * *

---

(١) تفسير سورة الرعد - للشيخ محمد حامد الفقي - ط. مركز التراث والبحث العلمي بالمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية، القاهرة ص٢٤ - ٢٦.



المبحث الرابع

تفسير القرآن بلغة العرب

وكثيرًا ما يفسر القرآن بلغة العرب، ومن أمثلة ذلك تفسيره للفظ القرية في الآية (٥٨) من سورة المائدة، حيث قال: والقرية المدينة التي يكثر فيها اجتماع الناس، مأخوذ من قريت الماء أي جمعته، واللام فيها للعهد أي القرية المعهودة لكم التي سبق أن أمركم الله بدخولها على لسان موسى: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٢١][(١)].

وفي تفسير لفظ حطة من نفس الآية أتى بتفاسير لغوية عن جمع من المفسرين أصحاب التفاسير المشهورة وكذلك اللغويين أصحاب المعاجم اللغوية المعروفة، فنجده يقول في ذلك: «حطة» مرفوع في قراءة الجمهور؛ على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره حاجتنا حطة.

قال أستاذنا الشيخ رشيد رضا رحمه الله : قالوا : رفعت (حطة) مع كونها في موضع النصب بمعنى : حط عنا خطايانا حطة. للدلالة على معنى الثبات والاستقرار . والتقدير: حاجتنا حطة. وهو أحسن من تقدير: مسألتنا حطة، كما قدروا. أي حاجتنا أن تحط عنا ذنوبنا حطًا خاصًا أو تامًا، فإن كلمة حطة – بكسر الحاء – تدل على هيئة الحط ونوعه. اهـ.

وقال الراغب: معناه حط عنا ذنوبنا، وقيل: معناه: قولوا صوابًا. اهـ.

وقال ابن جرير : «حطة» فعلة من قول القائل: حط الله عنك خطاياك فهو

---

(١) مجلة الهدي النبوي – العدد ٤٧ – أول جمادى الثانية – الجزء الحادي عشر من السنة الرابعة – تفسير سورة البقرة – ص٣.

يحطها حطة. ثم قال: وأشبه بظاهر الكتاب أن يكون رفع (حطة) بنية خبر محذوف قد دل عليه ظاهر التلاوة. وهو: دخولنا الباب سجدًا، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٤]. يعني: موعظتنا إياهم معذرة إلى ربكم، فكذلك عند تأويل قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] يعني بذلك: وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية وادخلوا الباب سجدًا وقولوا: دخولنا ذلك سجدًا حطة لذنوبنا. اهـ.

وقال القرطبي: قال الأخفش: وقرئت «حطة» بالنصب، على معنى: احطط عنا ذنوبنا حطة. اهـ. يعني نحو قولك: اللهم غفرًا. من وضع المصدر موضع الفعل. وشأن العرب إذا وضعوا المصدر موضع الفعل وحذفوا الفعل أن ينصبوا المصدر، كقول الرجل: سمعًا وطاعة، وكقول الله تعالى: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣](١).

ومن تفاسيره اللغوية الرائعة تفسيره للبر في الآية (٤٤) من سورة البقرة حيث يقول: البر: الخير الواسع، والمعروف الكثير والإحسان، وطاعة الله، وطلب مرضاته، أصله من البر بفتح الباء ضد البحر، ومنه بر الوالدين، أي: كثرة الإحسان إليهما، وفعل الخير والمعروف معهما. ومن أسماء الله سبحانه وتعالى (البرُّ) أي: الذي يعم الخلق خيره وفضله ونعماؤه الواسعة الكثيرة، وسمى القمح بُرًا لكثرة ما فيه من الغذاء والفائدة، وقد جاء مقابلًا للإثم كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [٥: ٢]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [٥٨: ٩].

---

(١) مجلة الهدي النبوي – العدد السابق – ص٣، ٤.

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد ومسلم عن النواس بن سمعان قال: (سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال: البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس)[1][2].

ثم يتحدث عن التلاوة فيقول: وتلاوة الكتاب: قراءة التوراة، سميت القراءة تلاوة؛ لأن الكلمات تأتي متتالية وراء بعضها، وقد تكون تلاوة كعدمها إذا لم تكن عن تفقه وتدبر وإيمان بالكتاب المتلو أنه أنزل هدى وفرقانًا بين الحق والباطل[3].

***

(١) مجلة الهدي النبوي – العدد ٤٠ – ١٥ صفر ١٣٥٩ – ص١، ٢.

(٢) الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، وهو برقم (٢٥٥٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٦ ص١١٣ ط. المكتب الثقافي – الأزهر، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٨٧٧).

(٣) المصدر السابق – ص٢، ٣.



المبحث الخامس

توحيد الربوبية

وعن توحيد الربوبية الذي يختلف عن توحيد الإلهية أو الألوهية فتوحيد الربوبية هو ما كان يقر به المشركون قبل الإسلام ولا يزال كثير من الكفار في كل زمان ومكان يقرون به وهو أن الله هو الخالق وحده والمالك لكل شيء وحده والضار والنافع وحده، وهو توحيد الله بأفعال الله، وقد تكلم الشيخ حامد عن هذا النوع من التوحيد كثيرًا فنجده في تفسير سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].

يقول نقلًا عن ابن القيم في «طبقات المكلفين» عند ذكر الطبقة السابعة عشرة:

فإن الكافر من جحد توحيد الله –أي توحيد الإلهية– فدعا غيره ونذر لغيره واتخذ من دونه أولياء من عبادة الموتى لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، وإن أقر مع هذا بتوحيد الربوبية وأن الله هو الخالق وحده والضار النافع وحده والمالك لكل شيء وحده(١) .

﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ [إبراهيم: ١] يقول العلامة محمد حامد الفقي في تفسيره لهذه الآية: إنها دليل على توحيد الربوبية لأنهم يخرجون بإذن ربهم وتوفيق مربيهم ومالك أمرهم ومدبر جميع شئونهم بربوبيته وعدله وحكمه لأن توحيد الربوبية هو إفراد الله بالخلق والملك والتدبير فهو يخرجهم من حياة البؤس والشقاء إلى جادة الصراط المستقيم لا يلتوي بهم طريق ولا يضيق عليهم سبيل ولا تخفى لهم غاية

---

(١) مجلة الهدي النبوي – العدد ١٥ – جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ – السنة الثانية – ص ٥.

ولا يلتبس عليهم أمر ينفذون إلى مقصدهم في كل شأنهم الديني والدنيوي على بينة ونور كالقذيفة المسددة[1].

﴿ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ٢] يقول في هذه الآية: من ذا الذي يقدر أن يعطيهم ذلك إلا الله سبحانه وتعالى لأنه هو الذي له ملك السموات والأرض وفي هذا دليل على ربوبيته لكل ما في السموات والأرض من كواكب وملائكة وكل ما في الأرض من ناطق وصامت وما في بطنها وكل ما تخرجه من نبات ومعدن وما على الأرض من حيوان وأغصان، كل ذلك تحت ملكه وتدبيره وسلطانه[2].

ويتحدث الشيخ حامد رحمه الله تعالى عن توحيد الربوبية ويصف واقع الناس حوله وجهلهم بتوحيد الله عز وجل فيقول في وصف الإيمان عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٣].

ذكر الله تعالى في هذه الآيات صفات وعلامات المتقين الذين ينتفعون بهداية القرآن ويستضيئون بنوره، فأولها وأهمها: صفة الإيمان بالغيب.

وهذا الإيمان الذي تذعن به النفس وتطمئن له عن علم ومعرفة صحيحة، هو الإيمان الصادق، وهو الإيمان النافع الذي تظهر آثاره على صاحبه في جميع شئونه وأحواله، وعلى جميع جوارحه وحواسه[3].

ثم يصف إيمانًا آخر سببه الجهل بالإيمان الحقيقي والجهل بالتوحيد

---

(١) تفسير القرآن الحكيم، سورة إبراهيم، للعلامة محمد حامد الفقي، طبعة أولى. (مركز القرآن والبحث العلمي) (صفحة ٧).

(٢) المرجع السابق (ص ٢٧٦).

(٣) مجلة الهدي النبوي –العدد ١١– صفر سنة ١٣٥٧ – إبريل سنة ١٩٣٨ – السنة الأولى ص ١، ٢.

الصحيح وقد يوقع صاحبه في الشرك بالله عز وجل جهلًا، وهو بذلك يصف أيضًا واقع كثير من الناس في عالمنا الإسلامي بل لا نبالغ إذا قلنا: معظم المسلمين فيقول: وثم شيء آخر يسميه أصحابه المتصفون به إيمانًا، وما هو على الحقيقة بإيمان، ذلك هو التدين التقليدي، الذي ينشأ صاحبه ويشب ويشيخ ويهرم ويموت، وهو لا يعرف من هذا الدين إلا أنه قد كتب في شهادة الميلاد (مسلم) وأن اسمه محمد مثلًا، وأن أباه عبد الله، وأمه فاطمة، وأنه في طفولته كان يرى أمه تذهب به إلى الشيخ فلان يكتب له تميمة وحجابًا يقيه العين والشياطين، وتذهب به كلما مرض إلى قبر فلان، تطوف حوله، وتتمسح بالنحاس والخشب والأحجار المنصوبة عليه، وتأخذ من بركات ذلك وتفيض على رأسه وجسمه، ويسمعها تقول له: يا بني، إن سر الشيخ فلان والست الطاهرة الباتعة فلانة سيشفيك ويحميك، وكان يرى أباه يحرص على أن يحضره الموالد والأعياد التي تقام في كل وقت لمشايخ قريته أو بلدته.. ويرى أباه يذهب إلى المسجد في بعض الأوقات ويعود فيقص عليهم ما سمع من خطيب المسجد عن كرامات الشيخ فلان، والست الباتعة فلانة من إحياء الموتى، ورد الغائبين وإحبال العقيم وشفاء المرضى والتصرف في فلان الذي لم يف بنذره، وما إلى ذلك...(١).

ثم ينكر هذا الإيمان غير الصادق وغير الحقيقي ويرى أن هؤلاء ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

ثم يقول: هذا الذي يتصف به أكثر الناس، ويزعمونه إيمانًا هو أبعد شيء عن الإيمان، وهادم الإيمان، وناقضه حجرًا حجرًا، وعروة عروة، فإن إيمان أحدهم

---

(١) المصدر السابق. (ص ٣).

بالله لا يزيد عن إيمانه بالشيخ فلان والشيخة فلانة من آلهته الأموات، بل إنه ليرجو إلهه الميت ويخافه ويفزع إليه ويسأله ويستغيث به أكثر من الله(١).

وعن توحيد الربوبية وجهل الناس به يقول الشيخ حامد في تفسير الآية (٤٨) من سورة البقرة ، وهي قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ .

ثم تمادى بهم ضلالُهم وجاهليتُهم حتى طَبّقوا هذا القياس في شئون الإنسان في الدين والدنيا وتدبيرا لله سبحانه لها في الأعمال والأرزاق والآجال والصحة والمرض وغيرها.

فزعموا أن من خلق الله وعباده من له حق التحليل والتحريم والتشريع لبقية الخلق بما يمليه عليه هواه ويستحسنه رأيه ، وله أن يستدرك في تشريع الله ودينه، ويزيد وينقص منه ما شاء، وأن من خلق الله وعباده من له الحق على الله في أن يجيب له كل طلب، ويسارع له إلى كل غرض؛ فإن طلب من الله أن يرفع بلاء في الأنفس أو الأموال سلطه على فرد أو جماعة أو قرية ، فعلى الله أن يسارع إلى رفع ذلك البلاء، وإلا فذلك العبد هو الذي يرفعه . شأنه في ذلك كله شأن ولد الملك أو وزيره مع الملك سواء بسواء .

على هذه الفوضى الشنيعة يعتمد أهل الكتاب وأشياعهم، وبهذا الاضطراب والاختلال الهمجي يدين بنو إسرائيل وأشباههم، فيقولون متبجحين: ﴿ نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّتُؤُهُ ﴾ [المائدة: ١٨].

ويقولون: ﴿ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ [البقرة: ٨٠].

---

(١) المصدر السابق. (ص ٤).

ويقولون: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]، فلذلك رد الله تعالى عليهم وعلى أشباههم وإخوانهم تلك الدعاوي الباطلة أشد الرد، فقال: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١، ١١٢](١).

***

توحيد الألوهية:

وفي تفسير الآية (٥٩) من سورة البقرة وهي قوله تعالى ذكره: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩].

يربط بين تفسير الآية وبين الواقع الذي يعيش فيه وبعد أن يتكلم عن الرجز والعذاب الذي أنزل على بني إسرائيل مرارًا بسبب فسقهم عن أمر ربهم واتباعهم أهوائهم، يقول بعد ذلك مذكرًا بتوحيد الألوهية الذي هو توحيد الله بأفعالنا نحن:

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى أن هذه سنته في كل أمة: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

وأنه لا يرفع عنهم هذه العقوبات إلا إذا أقلعوا عن المعاصي وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فليعتبر الناس بذلك وليتوبوا مما أوغلوا فيه من أنواع الشرك والوثنية بالقبور وتعظيمها والالتجاء إلى المقبورين وعبادتهم بما لا ينبغي إلا لله الحي القيوم.

وليقلعوا عن الاستهتار والتهتك من ارتكاب الزنا وشرب الخمور واستباحة

---

(١) مجلة الهدي النبوي – عدد ٤٣ - (١٣٥٩) – ص٤.

الربا، والتحاكم إلى الطواغيت من قوانين الفرنجة مع كرههم واحتقارهم لما أنزل الله من الكتاب والحكمة والهدى والرحمة؛ فإنهم إن لم يفعلوا ذلك ويفروا إلى الله إني نذير لهم بين يدي عذاب شديد، قد بدت بوادره ولاحت قوادمه ودلت أوائله على أواخره، ونسأل الله العافية(١).

وفي العرض الإجمالي لسورة النحل ينبه بشدة إلى أهمية تصحيح العقيدة في توحيد الله تعالى، وأن عبادة الطاغوت تتكرر في كل زمان، وإن اختلفت صورة هذه العبادة للطاغوت باختلاف الزمان أو المكان، فيقول:

ولقد كانت المشكلة – وما تزال – في نظر عبدة الطاغوت: أن كيف يبعث الله إليهم رجلًا بشرًا مثلهم رسولًا، يأكل الطعام كما يأكلون، ويستخرج فضلاته كما يستخرجون ويمشي في الأسواق يزاحم الناس بجسمه البشري في اضطرابه في شئونه كما يزاحمون ؟ إذ أوحى إليهم الشيطان من قديم أن أولياءهم ومقدسيهم الذين يعبدون من دون الله، ليقربوهم إلى الله زلفى، والذين يتخذونهم وسطاء بينهم وبين الله : فيهم نور ذاتي، انبثق من الرب، وفيهم ولهم أسرار كانوا بها «أهل الله»، وكانوا في خلقهم طبقة فوق طبقة البشر، فكانوا يطيرون في الهواء ويمشون على الماء، ويعيشون الأيام على التمرة والزبيبة، ويأكلون من تحت السجادة، وما إلى ذلك من الأوهام والخرافات التي حشاها دجاجلة الصوفية في رءوسهم، ليخروا لأذقانهم ركعًا وسجودًا لهؤلاء الطواغيت من دون الله(٢).

---

(١) مجلة الهدي النبوي – العدد ٤٧ – أول جمادى الثانية سنة ١٣٥٩ – ص٧ وكان هذا الوقت يوافق عام ١٩٤٠م أي قبل الحرب العالمية الثانية بقليل.

(٢) تفسير القرآن الحكيم – سورة النحل – الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله – ط. مركز التراث والبحث العلمي – المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية – ص١٥، ١٦.

توحيد الألوهية ثمرة لازمة لتوحيد الربوبية:

وهذا المعنى وضحه الشيخ حامد الفقي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد: ١٦].

فقال - رحمه الله -:

لما كان السؤال عن أمر واضح أتم الوضوح لازم أشد اللزوم، لا يمكن لأحد أن يدفعه لما استقر عندهم من العلم الضروري به، ولأنهم يعترفون به في غير خفاء ولا مرابة: كان الجواب على هذا السؤال من السائل مبادرة بالسبق ليكون أقوى في الاحتجاج، وأبلغ في قطعهم من انتظار الجواب منهم، ولأن المقصود بالسؤال والجواب أن يكونا مقدمة لنتيجة حتمية لازمة هي المقصودة بالكلام، فإن السياق هو لتقريرهم واعترافهم بتوحيد الألوهية الذي هو ثمرة لازمة ونتيجة حتمية لما يعترفون به ويقرون من توحيد الربوبية الذي سجل الله عليهم الاعتراف به في غير آية(١).

ثم يأتي بآيات أخرى تقرر نفس المعنى من سورة يونس، ومن سورة سبأ ومن سورة فاطر ومن سورة العنكبوت.

ومن سورة لقمان ومن سورة الزمر ومن سورة الزخرف.

ومن سورة المؤمنون، ثم يقول: فأنت ترى أن الله سبحانه يقرر في هذه الآيات أن المشركين موحدون لله في ربوبيته ولكنهم مشركون في إلهيته وعبادته،

---

(١) تفسير القرآن الحكيم - سورة الرعد - ط. مركز التراث - أنصار السنة - ص١١١.

فيؤلهون غيره من المخلوقين ويعبدونهم باسم الأولياء(١).

الإسلام دين جميع الرسل وهو يقوم على ركنين :

وكان يوضح في كل مناسبة أن الأنبياء والرسل جميعًا ما أرسلوا إلا بدين واحد هو الإسلام، ففي تفسير سورة الحجر مثلًا وعند تفسير قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الحجر: ٨٠].

قال – رحمه الله تعالى –: ولم يكن الله سبحانه أرسل إلى ثمود إلا رسولًا واحدًا، وهو صالح، ولكنه جمع «المرسلين» ؛ لأن رسل الله – من أولهم نوح، إلى خاتمهم محمد ﷺ بعثوا جميعًا بملة واحدة، ودين واحد هو الإسلام، كما صرح بذلك القرآن الكريم، والإسلام رسالة الرسل يقوم على ركنين:

أولهما: البراءة من كل معبود وإفراد الله بالعبادة، وعنوانه : لا إله إلا الله، ولا يمكن لأحد تحقيق معناها على ذلك، إلا بأن يعرف ما أقام الشيطان من طواغيت وآلهة، فيكفر بها ويحطم أنصابها وأصنامها، ويحارب عابديها ليستطيع إخلاص العبادة لله وحده. هذا هو معنى لا إله إلا الله(٢).

ثم يأتي بالأدلة على هذا الركن الأول من أركان الإسلام بعد أن يوضح توضيحًا أكثر معنى لا إله إلا الله، وأنها حقيقة دعوة كل رسول، والأدلة كثيرة وفي مقدمتها القرآن الكريم :

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران : ١٨، ١٩].

---

(١) المصدر السابق – ص١١٢.

(٢) تفسير سورة الحجر – الشيخ محمد حامد الفقي – ط. مركز التراث بأنصار السنة – ص٢٥٤.

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٦–٢٨].

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

واقرأ قصص الأنبياء في سور الأعراف، ويونس، وهود، والأنبياء، والشعراء، والنحل، والعنكبوت، والصافات، وغيرها تسمع إلى دعوتهم جميعًا ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [المؤمنون: ٣٢] (١).

ثم يتكلم عن الركن الثاني الذي تقوم عليه رسالات كل الرسل فيقول عنه – رحمه الله تعالى –:

الركن الثاني: «نوح – أو محمد : رسول الله» وحقيقة معناها : لا أعبد الله إلا بما أحب وشرع على لسان رسوله. فإن العبادة إنما هي سبيل الوصول إلى مغفرة الله ورضوانه ومحال أن يعرف ذلك إلا من قبل الله لأن الله هو (الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد)، ومن الأدلة على هذا الركن الثاني من الركنين

(١) المصدر السابق – ص٢٢٥ – ٢٥٦.

اللذين تقوم عليهما رسالات الرسل: ﴿ وَمِنْ ءَابَآبِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٧-٩٠].

﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٦].

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]. ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]. ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في ديننا هذا ما ليس منه فهو رد». (متفق عليه). وعن العرباض بن سارية قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبدٌ حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». رواه أبو داود وأحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٥٤٦).

وروى الإمام أحمد عن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: «ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاه، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: يا أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعًا ولا تتعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم».
وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم [٧٣٣٤](١).

معنى الواسطة والإله والرب:

وعند تفسير أواخر سورة الحجر، الآية رقم ٩٦ منها وهي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٦].

تعرض الشيخ الفقي لشرح معاني الواسطة والإله والرب، فقال عن الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر:

ألقى الشيطان في قلوبهم أن أولئك الموتى والأولياء ليسوا من جنس البشر في كل خصائص البشر ومزاياها، بل هم مركبون من عنصرين: نور إلهي وبشرية، ناسوت ولاهوت.

فاللاهوت نور فاض وانبثق من ربهم – يسمونه الحقيقة والخلق الأول، والكلمة، وأمثال ذلك من البهتان – ثم زعموا أن هذه الحقيقة والخلق الأول ما تزال تنتقل في أطوار حتى تتجسد في ناسوت النبي أو الولي المؤله المعبود – بزعمهم – من دون الله، فيعتقدون فيمن جعلوه إلهًا أن فيه جزءًا سريًا من ربهم،

(١) المصدر السابق – ص٢٥٦-٢٥٩.

غير معروف كنهه عند العامة – ومعروفًا عند الخاصة والعارفين، وبذلك الجزء الرباني – بزعمهم – صار وسطًا بين الخلق والرب، فلا هو بشر خالص البشرية ككل البشر، ولا هو رب خالص الربوبية، وبذلك يصير واسطة بين البشر والرب، في قضاء الحاجات يدعونه ويفزعون إليه، ويتخذونه ندًا لله ، ومن ثَمَّ يحل في قلوبهم شريكًا للرب في كل الحقوق والمعاملات، ويصير له في قلوبهم العقيدة بأنه ذو التقديس لكل ما نسب إليه، أو اتصل به أدنى اتصال، فأبناؤه مقدسون، وثيابه التي كان يلبسها قبل موته، وكل ما كان يستعمله ويتناوله بيده من متاع مقدس كذلك، وما أقيم على قبره من نصب أو حجارة أو خشب أو نحاس مقدسة كذلك(١).

معنى كلمة إله والفرق بينها وبين الرب :

وفي تفسير نفس الآية رقم ٩٦ من سورة الحجر يفسر معنى هذه الكلمة التي نقولها كثيرًا ولا نفهم معناها أو لا نهتم بمعرفة معناها، وربما من اعتيادنا على التلفظ بها شغلنا بالاعتياد والعادة عن فهم المعنى، فيقول رحمه الله :

الإله أصله ولاه قلبت الواو همزة، كما قالوا في وشاح إشاح، وفي وجاح وهو الستر : إجاح، ومعنى ولاه أن مولهه يوله إليه في حوائجه، ويضرع إليه فيما يصيبه، ويفزع إليه فيما ينوبه، كما يوله الطفل إلى أمه، والإله والألوهة والألوهية العبادة، وقرأ ابن عباس : ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف : ١٢٧].

أي : وعبادتك. قال ابن بَري(٢): يقوي ما ذهب إليه ابن عباس في قراءته:

---

(١) المصدر السابق ص٣٣١.

(٢) ابن بري (علي بن محمد بن الحسين) (٦٦٠- ٧٣١هـ = ١٢٦١ - ١٣٣٠م) بالمغرب (الأعلام)، وهو صاحب الحاشية على كتاب الصحاح للجوهري.

«ويذرك وإلهتك» قول فرعون : ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقوله : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص: ٣٨]، والعرب تسمي كل معبود مقدس معظم، يرجى ويخاف، ويدعى، وينذر له وتقرب القرابين، ويفزع إليه في الشدائد والملمات، ويطاف حول ما نصب باسمه من أنصاب فتلتمس البركات.

ويدعي لقضاء الحاجات وتطعم باسمه الأطعمة وتذبح الذبائح وتقام الحفلات، وتخصص الليالي والأيام لإقامة الأعياد والموالد باسمه وحلقات الذكر المزعومة – تسمي العرب ذلك إلهًا، وتسميه كذلك «شفيعًا» و«واسطة» و«قربانًا» و«وليًا» بمعنى أنه يتولى كل ذلك من شأنها، ويستحق الموالاة من مقدسيه بكل تلك العبادات المالية والبدنية[1].

وفي معنى كلمة الرب يقول – رحمه الله تعالى -:

هذا والناس يخطئون أفحش الخطأ في فهم كلمة «إله»، ويخلطون بينها وبين كلمة «رب»، ومن هذا الخطأ الفاحش يقعون في شرك العبادة والإلهية، وهم لا يشعرون، إذ هم لا يميزون بين توحيد الربوبية وتوحيد العبادة والإلهية.. وإني أنقل من لسان العرب معاني كلمة «رب» واجعلها بجانب معاني كلمة «إله» ليعرف الناس الفرق بينهما، ويصححوا – على أساس تلك المعرفة – عقائدهم وعبادتهم، لعلهم يفلحون.

رب كل شيء : مالكه ومستحقه، ويقال : فلان رب هذا الشيء : أي ملكه له، ورب الدار، ورب الدابة، وهن ربات الجمال. وفي حديث أشراط الساعة : «وأن تلد الأمة ربها أو ربتها». و«الرب» : يطلق في اللغة على المالك والسيد

---

(١) المصدر السابق – ص٣٣٢-٣٣٤، وفي لسان العرب لابن منظور مادة (أله) ط. دار المعارف ج١ ص١١٥.

والمدبر والمربي والقيم والمنعم، وأراد به في الحديث : أن السعي يكثر والنعمة تظهر في الناس، فتكثر السراري، وربيت القوم سستهم، وكنت فوقهم، ورب الشيء : أصلحه، ورب ولده يربه ربًا، وربيته تربيبًا: بمعنى رباه، وأحسن القيام عليه، ووليه حتى يفارق الطفولية، والصبي مربوب وربيب. اهـ. باختصار.

وفي كتاب الله قول يوسف عن العزيز : ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ [يوسف: ٢٣]، ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٤٢]، ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٥٠]، فلم يجيء في لغة العرب، ولا في القرآن، ولا في الحديث كلمة «رب» بمعنى معبود أبدًا، وإذا جاءت في القرآن مقصودًا بها الله سبحانه، فإنما يراد بها : المالك، السيد، العزيز، المربي للعالمين بنعمه وآلائه وسننه وآياته وكتبه ورسله، ووعده ووعيده، فهو سبحانه ربهم وحده، وهو الحقيق أن يؤلهوه وحده، وأن لا يجعلوا في قلوبهم له شريكًا في الإلهية والعبادة بجميع أنواعها، فإن كل من اتخذوهم آلهة : مربوبون له وحده، وهو الذي يربيهم ويربي عابديهم ومواليهم بنعمه وآياته.

فالربوبية صفته سبحانه الذي يربي بها خلقه. والإلهية : حقه الذي يستحقه وحده على مربوبيه، شكرًا له على ما يربيهم به من النعم الدائمة، فآثار الربوبية : نعم متتالية على العباد من ربهم، وآثار الإلهية : عبادات قلبية وبدنية ومالية تصعد من المؤمنين إلى ربهم وحده، وتنزل بالمشركين إلى حضيض المهانة والصغار والشقاء في الدنيا والآخرة، ولذلك أمكن الشرك وكثر جدًا في الإلهية، ووقع بكيد الشيطان وحزبه، حتى أصبح الناس : ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

أما الشرك في الربوبية فما يقع إلا من الملحدين الطبائعيين، الذين ينكرون أن

للوجود خالقًا، ويقولون: إنه وجد بطبعه، وهؤلاء يكفرون بالغيب كله من جن وملائكة وشيطان وجنة ونار وجزاء وحساب، ومعبودهم المادة[1].

* * *

معنى العبادة والدين :

وفي تفسير الآية الأخيرة من سورة الحجر، وهي قوله تعالى:

﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩].

يتحدث عن معنى العبادة فيأتي بهذا المعنى من المعاجم اللغوية مثل اللسان والمصباح المنير والصحاح والراغب وابن فارس والفروق للعسكري، ثم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وكذلك من كلام الشيخ رشيد رضا.

ونحن ننقل بعضًا من هذه الشروح لبيان ذلك :

قال في اللسان : العبادة في اللغة : الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق معبد، إذا كان مذللًا لكثرة وطء الأقدام له، وكل من دان لملك : فهو عابد له، وفلان عابد، وهو الخاضع لربه المستسلم المنقاد لأمره، والمعبد : المكرم المعظم، كأنه يعبد.

قال حاتم الطائي:

تقول : ألا تمسك عليك؟ فإنني أرى المال عند الباخلين معبدًا

وبعير معبد : وهو الذي ذلله الجرب أو الذي هُنئ بالقطران، لأنه يتزلل لشهوته القطران وغيره، فلا يمتنع. اهـ.

وقال في المصباح المنير : العبادة الانقياد والخضوع، والفاعل عابد،

---

(١) المصدر السابق ص٣٣٦-٣٣٧.

والجمع عباد وعبدة، مثل كافر وكفار وكفرة، ثم استعمل فيمن اتخذ إلهًا غير الله وتقرب إليه، فقيل : عابد الوثن والشمس وغير ذلك. اهـ.

وفي الصحاح : تقول : عبد بيِّن العبودة والعبودية، وأصل العبودية الخضوع والذل، والتعبيد : التذليل. يقال : طريق معبد، والبعير المعبد : المهنوء بالقطران المذلل. والعبادة : الطاعة. والتعبد : التنسك. اهـ.

وقال الراغب : العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولهذا قال على لسان رسله: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾، ويقال : طريق معبد، أي مذلل بالوطء، وبعير معبد : مذلل بالقطران، وعبدت فلانًا : إذا أذللته. وإذا اتخذته عبدًا. اهـ.

وفي فروق العسكري : الفرق بين العبادة والطاعة : أن العبادة غاية الخضوع، ولا تستحق إلا بغاية الإنعام، ولهذا لا يجوز أن يعبد غير الله تعالى، ولا تكون العبادة إلا مع المعرفة للمعبود.

والطاعة : الفعل الواقع على حسب ما أراده المريد متى كان المريد أعلى رتبة ممن يفعل ذلك، والطاعة تكون للخالق، والعبادة لا تكون إلا للخالق. اهـ.

وقال ابن فارس: العين والباء والدال أصلان صحيحان، هما: اللين والذل. اهـ.

ويؤخذ من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم : أن العبادة حال يجمع غاية الذل مع غاية الحب، وقال الشيخ رشيد رضا : تدل الأساليب الصحيحة والاستعمال العربي الصراح : على أن العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية، ناشئ عن استشعار القلب عظمة المعبود لا يعرف منشأها، واعتقاده بسلطة له لا يدرك كنهها وماهيتها، وقصارى ما يعرف عنها : أنها محيطة به، ولكنها

فوق إدراكه. اهـ[١].

ثم ينقل كلامًا للشيخ ابن تيمية أيضًا عن الدين ومعناه فيقول : وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة العبودية : الدين يتضمن معنى الخضوع والذل، ويقال: دنته فدان: أي ذللته فذل.

ويقال : يدين الله، ويدين لله، أي : يعبد الله ويطيعه ويخضع له.

فدين الله : عبادته وطاعته والخضوع له[٢].

وقد انتشرت هذه المفاهيم في العالم الإسلامي كله في ذلك الوقت، وطفق العلماء يؤلفون في معاني هذه الكلمات، وما تحمله تلك المصطلحات، ومن أشهر هذه المؤلفات كتاب المصطلحات الأربعة : الإله - الرب - العبادة - الدين. تأليف الشيخ أبي الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية بباكستان، وقد طبع عدة طبعات بعد ترجمته إلى العربية[٣].

* * *

---

(١) المصدر السابق - ص٣٤٦ - ٣٤٧ من تفسير سورة الحجر.

(٢) المصدر السابق ص٣٤٨.

(٣) انظر كتاب المصطلحات الأربعة للمودودي - ط. دار الفرقان - القاهرة - ١٩٧٥م.



توحيد الأسماء والصفات عند الشيخ رشيد رضا

في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٤].

يقول الشيخ رشيد رضا نقلًا عن شيخه الشيخ محمد عبده:

أما لفظ الإنزل فالمراد به ما ورد من جانب الربوبية الرفيع الأعلى وأوحي إلى العباد من الإرشاد الإلهي الأسمى، وسمى إنزالًا لما في جانب الألوهية من ذلك العلو، علو الرب على المربوب، والخالق على المخلوقين، الذين لا يخرجون بالتكريم والاصطفاء عن كونهم عبيدًا خاضعين، وقد سمى القرآن غير الوحي من إسداء النعم الإلهية إنزالًا فقال: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [الحديد: ٢٥].

فنكتفي بهذا من معنى الإنزال، وهو ما يفهمه كل عربي من حاضر وبدوي(١).

فأكاد ألمح هنا العقيدة السلفية في صفة العلو لله العلي الأعلى فالشيخ محمد عبده رحمه الله يفسر لفظ الإنزال في الآية السابقة بإنزال الحديد ويقول: من فهم معنى لفظ الإنزال وهو ما يفهمه كل عربي من حاضر وبدوي، فيكتفي بالتلميح دون التصريح بأننا يجب أن نفهم من معنى الإنزال في آية سورة البقرة أنه من العلو، وأن الله عز وجل في العلو، وأنه فوق جميع خلقه وأن العلو لله عز وجل علو مكانة ومكان أيضًا، ولا يقتصر فهمنا لهذه الألفاظ على وجه دون الوجه الآخر.

ثم يزيد الشيخ رشيد رضا هذا المعنى إيضاحًا فيقول:

---

(١) تفسير المنار- ط دار الكتب العلمية- بيروت -جـ ١ - ص ١١٤.

وأقول الآن: إنني اكتفيت بهذا القدر في تفسير الإنزال، تحاميًا لما في المسألة من خلاف وجدال، ولكنني عدت في التفسير إلى فصل المقال في مسائل النزاع، فأزيد عليه أن إنزال الحديد فيه أقوال أخرى للسلف والخلف، كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦]. أوضحها؟ أم المراد إنزال الأحكام المتعلقة بها، وقيل: إن الحديد نزل من الجنة مع آدم[١].

وهنا يذكر الرأي الآخر في جنة آدم وأنها هي الجنة التي في السماء وهذا غير الرأي الذي رجحه بعد ذلك بأنها جنة في الأرض وهو الرأي المرجوح حقيقة ثم يكمل الشيخ رشيد رضا فيقول:

ومن المعلوم أن الإنزال في أصل اللغة وهو نقل الشيء من مكان عالي إلى ما دونه، ويطلق العلو مجازًا في الأمور المعنوية، فهو علو مكان وعلو مكانة، ومن الثاني: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٨٣][٢].

فانظر كيف جمع بين علو المكان وعلو المكانة في تفسير العلو لله عز وجل ثم يكمل فيقول:

والتحقيق أن علو المكان الحسي أمر نسبي يختلف باختلاف موقع الناس من الأشياء، والجهات كلها أمور نسبية لا حقيقية، وأن الله سبحانه وتعالى فوق جميع خلقه بائن منهم، بلا تشبيه ولا تمثيل، لا متصل بشيء ولا حال فيه، مستو على عرشه بالمعنى الذي أراده، وهذا وجه تسمية ما يأتي من لدنه إنزالًا، فملك الوحي كان يتلقى الوحي منه عز وجل وينزل به من السماء إلى الأرض فيتلقاه منه

---

(١) المصدر السابق (ص ١١٤).

(٢) المصدر السابق (ص ١١٤).

النبي ﷺ(١).

وهكذا صرح الشيخ رشيد رحمه الله ووضح العقيدة السلفية في صفة العلو لله تعالى وأنه عز وجل فوق جميع خلقه بائن منهم، بلا تشبيه ولا تمثيل، لا متصل بشيء ولا حال فيه.

وهو بهذا يرد على عقيدة الحلول والاتحاد التي أدت إلى القول الخاطئ الشائع أن الله في كل مكان.

* * *

---

(١) المصدر السابق (ص ١١٤).



توحيد الأسماء والصفات عند الفقي

وعن عقيدة توحيد الأسماء والصفات فقد كان الشيخ الفقي واضحًا فيها جدًا، لا يترك أى موضع يأتى فيه ذكرها إلا وصرح فيه بالعقيدة السلفية فى هذا الشأن فقال عند قوله تعالى من سورة البقرة ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٩]: (استوى) علا وارتفع وقصد. والأصل فى (استوى) أن يعدى بإلى هنا لتضمينه معنى انتهى وقصد، وفيه دلالة أيضًا على أنه بمعنى علا وارتفع قاصدًا، أى بعد أن دحا الأرض وأخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال أرساها متاعًا لكم ولأنعامكم، قصد (إلى السماء) وهى دخان (فسواهن سبع سماوات) فأتم خلقهن من هذه المادة الدخانية، وفصلهن سبع سماوات طباقًا، وأوحى فى كل سماء أمرها، وجعل فى كل سماء بروجها وكواكبها وزينتها، وأسكنها من شاء من ملائكته، وزين السماء الدنيا بزينة الكواكب، وحفظًا من كل شيطان مارد(١) . ثم ينقل أقوال العلماء فى لفظ الاستواء كقول الطبرى فى تفسيره فيقول.

قال الإمام أبو جعفر الطبرى رحمه الله ورضي عنه: الاستواء فى كلام العرب منصرف إلى وجوه، منها: أنها شباب الرجل وقوته، فيقال إذا صار كذلك: قد استوى الرجل. ومنها: استقامة ما كان فيه أود من الأمور والأسباب، يقال فيه: استوى لفلان أمره إذا استقام له بعد أود ومنه قول الطِّرِمَّاح بن حكيم:

طال على رسم مهد وأبره   وعفا واستوى به بلده

(١) مجلة الهدي النبوي العدد ٢٨- رجب سنة ١٣٥٨- الجزء الرابع من السنة الثالثة، تفسير القرآن الحكيم، لرئيس التحرير الشيخ حامد الفقي (ص ١١، ١٢).

يعنى استقام به. ومنها الإقبال على الشيء بالفعل، كما يقال: استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوؤه بعد الإحسان إليه. ومنها: الاحتياز والاستيلاء، كقولهم: استوى فلان على المملكة، بمعنى احتوى عليها وحازها. ومنها العلو والارتفاع، كقول القائل: استوى فلان على سريره، يعنى به علوه عليه.

وأولى المعانى بقول الله جل ثناؤه ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ علا عليهم وارتفع، فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سماوات. والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب فى تأويل قول الله ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ الذى هو بمعنى العلو والارتفاع؛ هربًا. عند نفسه – من أن يلزمه- بزعمه إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك- أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها؛ إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر، ثم لم ينج مما هرب منه؛ فيقال له: زعمت أن تأويل قوله (استوى) أقبل. أفكان مدبرًا عن السماء فأقبل إليها؟ فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل، ولكنه اقبال تدبير. قيل له: فكذلك فقل: علا عليها علو ملك وسلطان، لا علو انتقال وزوال، ثم لن يقول فى شيء من ذلك قولًا إلا الزم فى الآخر مثله. ولولا أنا كرهنا إطالة الكتاب بما ليس من جنسه لأبنا عن فساد قول كل قائل قال فى ذلك قولًا، لقول أهل الحق فيه مخالفًا وفيما بينا منه ما يشرف بذى الفهم على ما فيه الكفاية إن شاء الله تعالى. اهـ[1].

ثم عمد إلى كلام الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى فى كتابه الصواعق المرسلة (ج ٢ ص١٢٦) وأطنب فى نقل كلامه فنقل من هذا الكتاب خمس صفحات متتالية في مجلة لهدي النبوي حيث بلغ تفسير هاتين الآيتين ثماني عشرة

(١) المصدر السابق- ص١٣، ١٤.

صفحة في عدد واحد وهو العدد ٢٨ في رجب ١٣٥٨، وسننقل كلامه للفائدة مع الاختصار ما أمكن:

قال الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله فى كتاب الصواعق المرسلة (ج٢ ص١٢٦) فى الكلام على كسر الطاغوت الثالث من الطواغيت التى سلطوها على أسماء الله وصفاته، وهو طاغوت المجاز.... المثال الثالث فى قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فى سبع آيات من القرآن. حقيقة عند جميع فرق الأمة إلا الجهمية ومن وافقهم. فإنهم قالوا: هو مجاز. ثم اختلفوا فى مجازه. والمشهور عنهم ما حكاه الأشعرى عنهم، وبدعهم وضللهم فيه: أنه بمعنى استولى، أى ملك وقهر. وقالت فرقة منهم: بل معناه: قصد وأقبل على خلق العرش. وقالت فرقة أخرى: بل هو مجمل فى مجازاته يحتمل خمسة عشر وجهًا، كلها لا يعلم أيها المراد، إلا أنا نعلم انتفاء الحقيقة عنه بالعقل. هذا هو الذى قالوه. وهو باطل من اثنين وأربعين وجهًا: أحدها: أن لفظ الإستواء فى كلام العرب الذى خاطبنا الله تعالى بلغتهم، وأنزل بها كلامه، نوعان مطلق ومقيد. فالمطلق ما يوصل معناه بلا حرف، مثل قوله (ولما بلغ أشده واستوى) وهذا معناه: كمل وتم. يقال استوى النبات؛ واستوى الطعام، وأما المقيد فثلاثة أضرب:

أحدها: مقيد بإلى كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ وهو مذكور فى موضعين من القرآن فى سورة البقرة وفى سورة فصلت وهو بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.

والثاني: مقيد بعلى كقوله: ﴿واستوت على الجودي﴾ [هود: ٤٤] وهذا أيضًا معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون بواو مع التى تعدى الفعل إلى المفعول معه.

نحو استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها.

وهذه معانى الاستواء المعقولة فى كلامهم ليس فيها معنى استولى ألبته، ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم.

وإنما قاله متأخرو النحاة ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية. يوضحه: الوجه الثانى: أن الذين قالوا ذلك لم يقولوه نقلًا فإنه مجاهرة بالكذب. وإنما قالوه استنباطًا. وحملًا منهم للفظة استوى على استولى واستدلوا بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق — من غير سيف أو دم مهراق

وهذا البيت ليس من شعر العرب كما سيأتى بيانه.

الوجه الثالث: أن أهل اللغة لما سمعوا ذلك أنكروه غاية الإنكار، ولم يجعلوه من لغة العرب. قال ابن الأعرابي- وقد سئل: هل يصح أن يكون (استوى) بمعنى (استولى) فقال: لا تعرف العرب ذلك. وهذا من أكابر أئمة اللغة.

الوجه الرابع: ما قاله الخطابى فى كتاب شعار الدين قال:

القول فى أن الله مستوى على عرشه، ثم ذكر الأدلة من القرآن، ثم قال: فدل ما تلوته من هذه الآى أن الله تعالى فى السماء مستو على العرش. وقد جرت عادة المسلمين خاصهم وعامهم بأن يدعوا ربهم عند الابتهال والرغبة إليه ويرفعوا أيديهم إلى السماء، وذلك لاستفاضة العلم عندهم بأن المدعو فى السماء سبحانه- إلى أن قال: وزعم بعضهم أن الاستواء هنا بمعنى الاستيلاء؛ ونزع فيه إلى بيت مجهول لم يقله شاعر معروف يصح الاحتجاج بقوله.

ولو كان الاستواء هنا بمعنى الاستيلاء لكان الكلام عديم الفائدة؛ لأن الله تعالى قد أحاط علمه وقدرته بكل شيء، وكل قطر وبقعه من السماوات والأرضين وما تحت العرش؛ فما معنى تخصيصه العرش بالذكر؟ ثم إن الاستيلاء إنما يتحقق

معناه عند المنع من الشيء؛ فإذا وقع الظفر به قيل: استولى عليه. فأي منع كان هناك حتى يوصف بالاستيلاء بعده؟ هذا لفظ الخطابى، وهو من أئمة اللغة – إلى أن قال الشيخ ابن القيم:

الوجه الثاني عشر: أن الإجماع منعقد على أن الله سبحانه استوى على عرشه حقيقة لا مجازًا. قال أبو عمر الطلمنكي- أحد أئمة المالكية؛ وهو شيخ أبى عمر بن عبد البر – فى كتابه الكبير الذى سماه «الوصول إلى معرفة الأصول» فذكر فيه من أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم وأقوال مالك وأئمة أصحابه ما إذا وقف عليه الواقف علم حقيقة مذهب السلف، وقال فى هذا الكتاب. أجمع أهل السنة على أن الله تعالى على عرشه على الحقيقة، لا على المجاز.

الوجه الثالث عشر: قال الإمام أبو عمر بن عبد البر فى كتاب التمهيد فى شرح حديث النزول: وفيه دليل على أن الله تعالى فى السماء على العرش فوق سبع سماوات؛ كما قالت الجماعة. وقرر ذلك إلى أن قال: وأهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة فى القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز.

إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك ولا يجدون فيه صفة مخصوصة. وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة. ويزعمون أن من أقر بها مشبها وهم عند من أقر بها نافون للمعبود.

وقال أبو عبد الله القرطبى فى تفسيره المشهور، فى قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) هذه المسألة للفقهاء فيها كلام. ثم ذكر قول المتكلمين ثم قال: وقد كان السلف الأول لا يقولون بنفى الجهة ولا ينطقون بذلك؛ بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق به كتابه، وأخبرت به رسله؛ ولم ينكر أحد من

السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وإنما جهلوا كيفية الاستواء كما قال مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول.

ثم نقل هذا أيضًا وأنه تعالى مستو على عرشه بذاته فى الوجه الرابع عشر عن كثير من أئمة المالكية.....ثم ذكر النصوص من الكتاب والسنة واحتج بحديث الجارية، وقول النبي ﷺ لها (أين الله)! وقولها (فى السماء) وحكمه ﷺ بإيمانها. [رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم ٥٣٧].

وذكر حديث الإسراء، ثم قال: وهذا قول مالك فيما فهمه عن جماعة ممن أدرك من التابعين فيما فهموا من الصحابة فيما فهموا من نبيهم ﷺ (أن الله فى السماء) بمعنى فوقها وعليها.

قال الشيخ أبو محمد: أنه بذاته فوق عرشه المجيد فتبين أن علوّه على عرشه وفوقه إنما هو بذاته، إلا أنه بائن من جميع خلقه بلا كيف. وهو فى كل مكان من الأمكنة المخلوقة بعلمه لا بذاته. إذ لا تحويه الأمكنة، لأنه أعظم منها.... (١).

ثم قال الشيخ حامد الفقى بعد نقل كلام ابن القيم:

وقد أطال العلامة ابن القيم النفس فى هذا بكلام مشبع سمين نافع، يخزى الله به كل محاول ترويج الباطل بالهوى وسفه اللسان والنبز بالألقاب، والطعن فى الأنساب والإقذاع فى الشتائم والسباب. فليس شيء من ذلك يقيم حقًّا ولا يبطل باطلًا، وإنما هو سلاح الجبان وتكئة الجهول المستكبر.

نسأل الله العافية من شر هذا، ونسأله سبحانه أن يحشرنا مع أولئك الأئمة المهتدين من الصحابة والتابعين وتابعيهم على هذه العقيدة القرآنية المحمدية

---

(١) المصدر السابق – ص١٤-١٧.

السلفية التى أوغرت صدور الشيطان وحزبه، وتأبى عليهم عداوتهم لله ورسوله إلا أن يكذبوا الله ورسوله ثم يرموا من آمن بالله على ما قال الله وقال رسوله، يرمونه بمقالة السوء، ويتهمونه بالتجسيم والتشبيه؛ والله يعلم أننا من ذلك بريئون.... (١).

ثم يختم مقالته بقوله: وكتبه الفقير إلى عفو الله المستوى بذاته فوق عرشه، خادم السنة المحمدية- محمد حامد الفقى(٢).

ويشير الشيخ حامد فى تفسير سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٣] مندداً بهؤلاء الذين يردون الأخبار الصادقة من صفات الله تعالى وذلك بالتحريف والتأويل ويقولون لا ينبغى أن يكون الله تعالى موصوفاً بتلك الصفات التى أخبر بها عن نفسه وبلغها إلينا رسوله ﷺ ويقولون لأبد أن ننزهه عنها لأنها غير لائقة به، فهذه المقالة تتضمن تكذيب الله تعالى فى الإخبار عما ارتضاه لنفسه من الصفات، وتتضمن أن أولئك الذين يعتقدون هذا الاعتقاد أعرف بالله وبصفاته منه سبحانه، وأن القرآن كاذب فى الإخبار عن الله وصفاته، وأن الرسول ﷺ لم- يخبر عن الله الأخبار الصحيحة الصادقة، والذين يؤمنون بالغيب إيمانا صادقًا على علم ونور يقولون آمنا بالله وبكتاب الله ورسول الله وبما وصف الله به نفسه على ما أراد وعلى حقيقته بدون تحريف ولا تأويل، ولا تكييف ولا تمثيل...

وسبحان الذى وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم، وتعالى من ﴿ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ

(١) المصدر السابق- ص١٨.

(٢) المصدر السابق – ص١٨.

﴿ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه: ٤ - ٨](١).

ولا يترك الشيخ حامد أى مناسبة لتوضيح عقيدة توحيد الأسماء والصفات إلا ويوضح هذا الأمر توضيحًا جليا فقد تكلم فى أول التفسير عند قوله تعالى (والذين يؤمنون بالغيب) عن أسماء الله وصفاته فهى من الأمور الغيبية ولابد من الإيمان بها وفهمها قبل الإيمان بها، وهنا يتكلم عند قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٥] عن هذه الصفات التى جعلها المتأخرون مجازًا ولم يفهموا معناها الصحيح فينقل من كلام ابن القيم فى كتاب مختصر الصواعق المرسلة فيقول:

قال العلامة المحقق ابن القيم رحمه الله فى حقيقة معنى استهزاء الله بالمنافقين- وما جاء فى معناه من الكيد والمكر ونحو ذلك - فى كتاب مختصر الصواعق المرسلة فى كسر الطاغوت الثالث، طاغوت المجاز الذى لهج به المتأخرون، والتجأ إليه المعطلون، وجعلوه جنة يتترسون بها من سهام الراشقين، ويصدون به عن حقائق الوحى المبين - وقد ساق فى إبطاله خمسين وجهًا- هى من أنفس ما كتب الكاتبون وخير ما ينفع أهل العلم والدين فى رد كيد المحرفين لكلام الله عن موضعه. إلى أن قال: (الوجه الخامس والعشرون) ثم قال ما ملخصه أن هذه الألفاظ تنقسم معانيها إلى محمود ومذموم وإن الله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بها إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، والمجازاه على ذلك حسنه من المخلوق، فكيف من الخالق سبحانه؟(٢).

---

(١) مجلة الهدى النبوى - العدد ١١ - صفر ١٣٥٧ - ابريل ١٩٣٨ - السنة الأول - صـ٨،٧ (بتصرف)

(٢) مجلة الهدى النبوى - العدد ١٩- شوال ١٣٥٧- السنة الثالثة- من صـ٦-١١ بتصرف . وفى كتاب مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم؛ اختصره الشيخ محمد بن الموصلى رحمه الله ط. مطبعة الإمام بمصر- ج٢ - ص ٢٥٨- ٢٦١

فى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤] أى أنه تعالى هو الغالب القاهر فوق عبادة الذى يغضب لحماه ويغار أعظم الغيرة على آياته وسننه وفطرته. ويقول العلامة محمد حامد الفقى فى اسمه الحكيم- الحكيم – المنزه عن العبث واللعب والذى لا يكون شيء من فعله إلا فى موضعه الذى لا يصلح إلا له فيضع الإضلال والإزاغه موضعها من النفوس التى هى أهل لها ويضع الهداية فى موضعها من النفوس التى هى أهل لها [١].

يستمر العلامة محمد حامد الفقى فى شرحه فيقول: ولقد قضت حكمته ورحمته بالإنسان أن يرسل إليه هؤلاء الرسل فى كل زمن ليخرجوهم من الظلمات إلى النور ويهدوهم إلى صراط الله العزيز الحميد ولتقيم حجه الله على الناس فى كل زمن[٢].

ومن حكمته أيضًا أن اختار خاتم الأنبياء محمد ﷺ من الأمة العربية لأنها وإن كانت تتساوى مع بقيه الأمم فى الارتكاس فى الشرك والوثنية والوقوع تحت سلطان التقليد الأعمى الذى قتل الإنسانية إلا أنها مع ذلك كله كانت الخيرة من الناس فى هذا الوقت بما حفظت به من صفات الرجولة من شهامة وحمية وإباء للضيم وصيانة للحريم وغير ذلك من الصفات... [٣].

---

(١) تفسير القرآن الحكيم (سورة إبراهيم) للعلامه محمد حامد الفقى – الطبعه الاولى (مركز التراث والبحث العلمى) ص١٥، ١٦.

(٢) المرجع السابق ص ١٦ الفقرة الثانية.

(٣) المرجع السابق ص ١٨ الفقرة الثالثة.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الرعد: ٢].

تكلم عن أسماء الله وصفاته، وبيّن أن الله تعالى قد استوى على عرشه العظيم الذي السماوات والأرض من تحته كذرة رمل في صحراء مترامية الأطراف، على ما يليق بعظمته سبحانه وجلاله، وما ينبغي لذاته العلية التي لا يعلم ولن يعلم كنهها إلا هو سبحانه، ثم ذكر الآيات التي فيها ذكر صفة استواء الله عز وجل على عرشه والآيات التي فيها ذكر العرش، ثم قال ما ملخصه:

وكذلك لا يشك مسلم أن الله أعلم بصفاته وأسمائه الحسنى، وبما يليق بعظمته وجلاله من كل أحد، وأنه لا ينبغي لأحد كائنًا من كان أن يتكلم في صفات الله وأسمائه إلا بوحي من الله الذي ﴿ لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فالشيخ حامد يقرر في تفسيره بعض قواعد أسماء الله وصفاته كقاعدة أن أسماء الله وصفاته توقيفية، وقاعدة أن الله لا يشبه أحدًا من خلقه في أسمائه وصفاته، وأن الإيمان بأسماء الله وصفاته يستلزم عدم التكييف والتأويل والتعطيل والتشبيه(١).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٤٢].

يتكلم عن صفة المكر وكيف يتصف الله عز وجل بهذه الصفة، ونقل كلامًا لابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة في كلامه عن طاغوت المجاز(٢).

---

(١) تفسير القرآن الحكيم – سورة الرعد – للشيخ محمد حامد الفقي – ط. مركز التراث والبحث العلمي – المركز العام لأنصار السنة بمصر – ص٢٣-٢٦ بتصرف.

(٢) المصدر السابق – ص٢٦٣ وما بعدها.



عقيدة البنوة ومعنى نسبة الولدية والوالدية لله تعالى

وفي تفسير الآية ٢٢ من سورة إبراهيم وهي قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم : ٢٢].

ينكر عقيدة البنوة لله سبحانه وتعالى وهي مما أوحى بها الشيطان إلى أوليائه من الإنس، ويبين أولًا أن هذه العقيدة لا تقوم على معنى البنوة بمعنى الولادة ولكنها بمعنى الفيض من الوجود الأول وهو الله إلى الوجود الثاني وهم المقدسين عند مختلف الطوائف، وذلك حتى لا يظن أن الله يلد بمعنى الولادة المعروف، فهم ينزهون الله عن ذلك ولكن البنوة بمعنى الفيض، فالوجود الأول وهو الله كما يصفونه فاض عنه الوجود الثاني ثم فاض عن الوجود الثاني كل الموجودات بعد ذلك.

فنجد أنه يقول في هذا المعنى :

وما زال العقل المنكوس والرأي الخاطئ حتى خرج بهم أخيرًا بإله من صنعه، وهو مرة العقل الأول، ومرة الوجود الكلي، ومرة الوجود المطلق، ومرة الهيولي الكلي، ومرة العنصر الكلي الذي انفصل عنه هذه الموجودات ومرة الشيء الذي لا يوصف بأي صفة، ولا يعرف بأي نوع من المعرفة إلا بنوع من كشف الحجب التي أقامها حول العامة في ظلمات هذا الجسم الكثيف وتجلى الأرواح حين تنسلخ من ظلمات المادة وتتجرد من قيود البشرية، بأنواع من الرياضات والخلوات وتغيب الجسم وتجويعه، فتعرفه عندئذ أنه هو هو، ثم أوحى

إليهم أن ربهم الذي صنعه لهم بوحيه وغروره قد فاض منه هذا الوجود فيضًا، وانفصل عنه انفصالًا، بلا إرادة ولا مشيئة ولا حكمة، ففاض عنه أولًا الوجود الثاني، الذي كان منه كل الموجودات بعد ذلك، ثم أوحى إليهم في كل عصر بصورة مزخرفة لهذا الوجود الثاني بحسب ما يروق لهم ويروج عندهم، فعند البراهمة: هو برهما، وعند البوذيين: هو بوذا، وعند اليهود هو يعقوب، ثم بنوه وما تناسل منهم، وعند النصارى: هو عيسى، وعند الباطنية هو علي، ثم فاض هذا النور، أو حلت روحه في كهنة براهما وبوذا وأبناء يعقوب وأحبارهم وكهنتهم، وفي القسيسين والرهبان، وفي أبناء علي ومن عبدوهم واتخذوهم آلهة، وفي شيوخ الصوفية وأئمتهم، واقرأ بتدبر قول الله تعالى : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة : ١٨]، وقوله : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة : ٣٠]. فقول الله سبحانه : ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ واضح في أنهم لم يخترعوا هذه العقيدة الكفرية – عقيدة بنوة مقدسيهم لله – وإنما هي – كما أثبت التاريخ والواقع الموجود في الهند وغيرها – عقيدة وثنية قديمة[1].

وفي تفسير الآيات ٤٧ – ٥٢ من آخر سورة إبراهيم ينكر أقوال الصوفية الباطلة الذين اتخذوا شيوخهم وأئمتهم أربابًا من دون الله، فيقول :

ألم يكونوا يدينون أعمق الدين بوثنيتهم التي يقول فيها سيدهم في الإجرام

(١) تفسير سورة إبراهيم – للشيخ محمد حامد الفقي – ط. مركز التراث – أنصار السنة المحمدية – ص١١٦، ١١٧.

الذي سيقرن معهم في صفد: معروف الكرخي[1]، كلما ضاقت بك ضائقة أو نزلت بك حاجة فائت قبري وسل حاجتك أقضيها لك، فإن الذي يفصله عن قاصده ذراع من الأرض ليس شيخًا، فتذهب هذه المقالة الوثنية عندهم وحيًا أوثق في نفوسهم من وحي الله رب العالمين الذي يقول : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل : ٦٢]، ويقضي وحي الشيطان الكرخي وسلفه الصوفية في قلوب الخلف على وحي رب العالمين، فيقولون دينًا جديدًا: قبر معروف الترياق المجرب، ويدين جميع الصوفية من أولهم إلى آخرهم بهذه الوثنية القذرة، وينعقون بها في كل زمان ومكان لأنها دينهم الذي ليس لهم دين غيره، فاستمع إلى جديدهم إذ يقول :

إذا كنت في هم وغم فنادني   أيا مرغني أنجيك من كل شدة[2]

ويستمر في بيان عقيدة الصوفية من أولهم إلى آخرهم كما يقول وبأنه لا يشذ أحد منهم عن هذه العقيدة الباطلة فيقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [إبراهيم : ٥٢]، وأن الوجود كله بسماواته وأرضه وإنسه وجنه وملائكته وكواكبه، كل ذلك مخلوق مربوب لرب واحد خلقهم من العدم، وقال لهم : كونوا فكانوا، وليعلموا أن ما وقعوا فيه بتقليدهم وغباوتهم من الكفر الوثني إنما جاءهم به الشياطين الصوفية، من طريق أن الوجود الحادث جزء من الوجود القديم، وأنه لم يوجد من عدم، وإنما انفصل من ربهم لأن كل الخلق كانوا كامنين

---

(١) في الأعلام للزركلي ج٧ ص٢٦٩ ط. دار العلم للملايين - بيروت: معروف بن فيروز الكرخي ت(٢٠٠هـ- ٨١٥م): أحد أعلام الزهاد والمتصوفين، كان من موالي الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم، ولد في كرخ بغداد ونشأ وتوفي ببغداد.

(٢) المصدر السابق ص٢٥٠-٢٥١.

في ربهم كمون النخلة في النواة فتجلى ربهم تجليًا انفصلت عنه الحقيقة المحمدية، ثم تجلت الحقيقة المحمدية ففاضت منها هذه المخلوقات، وهذا هو دين كل الصوفية من أولهم إلى آخرهم، فقد سُئل من يسمونه إمامهم وشيخهم الجنيد عن ربه، فقال : «لون الماء لون الإناء» يعني بذلك أن المخلوق مجلى حقيقة ربه لأنه سار فيه وهم من أجل هذا يقولون : أنا هو وهو أنا والخالق والمخلوق واحد بالذات متعدد بالاعتبار، وما ثم إلا واحد، وما ينجو من هذه الوثنية القذرة إلا من تلا الكتاب حق تلاوته، وتفكر في خلق السماوات والأرض وعرف رسول الله وسيرته وهداه ورسالته[1].

* * *

(١) المصدر السابق – ص٢٥٢-٢٥٣.



عقيدة القضاء والقدر

وفي تفسير الآية ٣٥ من سورة النحل، وهي قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ [النحل: ٣٥].

نجد أن الشيخ يشرح عقيدة القضاء والقدر بأسلوب أدبي شيق فيقول – عليه رحمة الله تعالى –:

هذا – ومن شدة زيغ الزائغين، واستبداد سلطان الهوى والشيطان بالمشركين والفاسقين: أن يحتجوا لإجرامهم بإرادة الله ومشيئته وقدره، فيقولون: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وتلك إرادة الله، ولو شاء لهدانا أجمعين، لكنه سبحانه خلقكم أناسًا من بني آدم، تسعون إلى الطعام، وتكدون له وتحملون، وإذا أحسستم الحر والبرد، ذهبتم تكدحون وتعملون لما تدفعون به الحر والبرد، وإذا ضربكم ضارب أو غصب مالكم أو سرقه سارق، أبيتم إلا الانتصاف منه ورد عدوانه، وإذا مرضتم تسعون إلى الدواء بكل ما تقدرون به، وأنتم لا تسعون في الأرض بالكفر والفسوق والعصيان إلا بإرادتكم واختياركم... فإذا كان الله قد قدر عليك الجوع، فمالك تسعى في دفعه بالأكل، وإذا كان قد شاء أن يسرق مالك وتضرب، فمالك تنتصر لنفسك؟ وإذا كان قد قدر عليك المرض، فما بالك تطلب دفعه بالدواء والطب؟ فإن قلت: هذا من قدر الله، وهذا من قدر الله، وادفع بقدر الله في الدواء قدر الله في المرض، فمالك تؤمن بقدر الله في الدواء وتدفع به قدره في المرض، ولا تؤمن بقدر الله في العلم وتدفع به قدر الله في الجهل؟ وبقدر الله في التوحيد تدفع به قدره في الشرك، وبقدر الله في الطاعة تدفع به قدره في الفسوق والعصيان، وبقدره في التوبة والإنابة تدفع به

قدره في الذنوب والآثام ؟... أما كان الأجدر بك أن تكون رشيدًا، تؤمن بقدر الله كله خيره وشره وحلوه ومره، فتدفع هذا بهذا[1].

* * *

(١) تفسير سورة النحل – للشيخ حامد الفقي – ط. مركز التراث – أنصار السنة – القاهرة – ص١٣٧، ١٣٨.



المبحث السادس

منهج التفسير وعلوم القرآن

بلغ تفسير الشيخ حامد الفقي حوالي ألف وسبعمائة وثلاثين صفحة، ولقد التزم فيه بالمنهج الذي ذكره من تفسير القرآن بالقرآن، فإن لم يجد فبسنة رسول الله ﷺ، ثم بقول الصحابة والسلف الصالح، رضي الله عنهم وأقوال أهل العلم مع تطبيق حوادث الزمان وحال الأمة الإسلامية في جميع شئونها السياسية والاقتصادية والدينية على القرآن، ليعرف الناس أين هم من القرآن، كل ذلك بأسلوب سهل العبارة قريب المأخذ لتوجيه المسلمين إلى كتابهم الذي أنزله الله شفاء لما في صدورهم وإرجاعهم إلى الهدى والحق من ربهم.

ومع ذلك فلم يترك موضعًا يمكن الحديث فيه عن علوم القرآن من مكي ومدني وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه وأسماء السور وعدد الآيات وعلوم القراءات وإعجاز القرآن. بالإضافة إلى حصيلة لغوية كبيرة يرجع فيها إلى المعاجم اللغوية ويستدل بالأدب شعرًا ونثرًا في العديد من المواضع.

وسنحاول هنا إظهار اهتمامه بعلوم القرآن بذكر بعض النماذج المتعلقة بهذا المضمار.

المكي والمدني:

قال في تفسير سورة البقرة : قال الحافظ ابن كثير: البقرة جميعها مدنية بلا خلاف، وهي من أوائل ما نزل بها، لكن قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١]، يقال: إنها آخر ما نزل من القرآن، ويحتمل أن تكون منها، وكذلك آيات الربا آخر ما نزل، وكان خالد

ابن معدان يسمي البقرة: فسطاط[1] القرآن، قال بعض العلماء: هي مشتملة على ألف خبر وألف أمر وألف نهي. وقال العادون: آياتها مائتان وثمانون وسبع آيات. اهـ[2].

وفي أول تفسير سورة الرعد قال:

ذكر في مصحف الملك فؤاد أنها مدنية وآياتها ثلاث وأربعون، وأنها نزلت بعد سورة محمد ﷺ، وذكر الصفوي في جامع البيان أنها مكية أو مدنية وآياتها خمس وأربعون.

وقال الزمخشري: مختلف فيها، وآياتها خمس وأربعون.

وقال القرطبي: مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، ومدنية في قول الكلبي ومقاتل. وقال ابن عباس وقتادة: مدنية إلا آيتين منها نزلت بمكة وهما قوله عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ ﴾ [الرعد: ٣١] إلى آخرهما.

وقال أبو حيان في البحر: هذه السورة مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وابن جبير. وعن عطاء: إلا قوله: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ [الرعد: ٤٣]، وعن غيره إلا قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ إلى قوله: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ [الرعد: ١٢-١٥]، ومدنية في قول الكلبي ومقاتل وابن عباس وقتادة، واستبقيا آيتين قالا نزلت بمكة وهما: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ ﴾ إلى آخرهما، وعن ابن عباس إلا قوله: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [الرعد: ٣١] إلى آخر الآية.

---

(١) في لسان العرب لابن منظور: الفسطاط ضرب من الأبنية وفسطاط المصر مجتمع أهله حول جامعه. (ج٥ ص٣٤١٣ ط. دار المعارف - القاهرة).

(٢) مجلة الهدي النبوي- السنة الأولى رمضان سنة ١٣٥٦ - العدد السادس ص١.

وعن قتادة: مكية إلا قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ الآية، حكاه المهدي.
وقيل: السورة مدنية، حكاه القاضي منذر بن سعيد البلوطي ومكي بن أبي طالب. اهـ.

وقال النيسابوري: مكية، وقيل مدنية إلا آية نزلت بالجحفة وهي قوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الآية [الرعد: ٣٠].

وحروفها ٣٥٠٦، وكلماتها ٨٥٥، وآياتها ٤٣. اهـ.

وقال البغوي: مكية إلا قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ الآية. اهـ.

ثم ذكر كلامًا من كتاب الاتقان في علوم القرآن للسيوطي عن المكي والمدني في القرآن وما ذكر فيه عن سورة الرعد، وفوائد معرفة المكي والمدني من العلم بالمتأخر فيكون ناسخًا أو مخصصًا على رأي من يرى تأخير المخصص وغير ذلك.

وذكر فيه تعريف المكي والمدني وضوابطه، ثم قال:

هذا وينبغي لكل طالب علم تفسير القرآن الكريم أن يقرأ كتاب الإتقان وما في معناه ليستنير بما فيه من العلوم والفنون، ويزداد قوة على فهم كتاب الله تعالى وتبحرًا في فقهه. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل(١).

ويقول في تفسير سورة الحجر:

سورة الحجر آياتها سبع وتسعون آية، كلها مكية، قد حكى النيسابوري وأبو حيان في البحر الإجماع على أن كلها مكية، وكل المفسرين وكاتبي المصاحف

---

(١) مجلة الهدي النبوي – شوال سنة ١٣٦٠ – العددان ١٨، ١٩ السنة الخامسة – ص١ – ٧.

القديمة على ذلك، وشذ المصحف المطبوع حديثًا بمطبعة المساحة المصرية- وعرف بمصحف الملك – فإن اللجنة المشرفة على طبعه زعمت أن آية (٨٨) ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ [الحجر: ٨٨] مدنية، وليس لها على هذا الزعم دليل، فإن السيوطي في الإتقان لم يذكر شيئًا من ذلك فيما روى عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما في المكي والمدني، ونحسب أن السيوطي أوثق من هذه اللجنة وممن اعتمدت عليهم في هذا ، على أن سياق الآيات (٨٧، ٨٨، ٨٩): ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحجر: ٨٧، ٨٩]، يأبى ذلك كل الإباء ولا يقول: إن آيتي (٨٧، ٨٩) نزلتا بغير آية (٨٨) إلا من كان سقيم الفهم أعجمي الفكر، لا يفقه شيئًا عن أسلوب القرآن الحكيم، بل ولا عن أسلوب العرب، ومن المحزن أن الناس أخذوا هذا عن هذه اللجنة بلا تمحيص وساروا مقلدين لهم في ذلك الزعم الفاسد بدون بحث ولا تعقل كشأنهم في كل أمر ديني، فلا تجد مصحفًا طبع بعد ذلك إلا سار طابعه ورائهم؛ لأن الجميع لا يحاولون أن يبحثوا فضلًا عن أن يفقهوا[1].

وقال في تفسير سورة النحل:

آياتها ثمان وعشرون ومائة آية، يقال: إنها نزلت بعد سورة الكهف، قال الحسن وعطاء وعكرمة وجابر: كلها مكية، وقال ابن عباس: إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، بعد قتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وهي الآيات (٩٥ – ٩٧): ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ

(١) مجلة الهدي النبوي – المجلد ١١ العدد الثاني عشر – ذي الحجة سنة ١٣٦٦ – ص٢٠١.
أقول : ولا يزال هذا الأمر يتكرر في كل المصاحف المصرية المطبوعة حتى الآن .

مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾، وقيل: إلا قوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ ﴾ [النحل: ١١٠] الآية، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٦-١٢٨][1].

وفي تفسير سورة الإسراء:

سورة بني إسرائيل، وتسمى سورة الإسراء، وآياتها إحدى عشرة ومائة آية، مكية، روى البخاري في تفسير سورة بني إسرائيل بسنده إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: في بني إسرائيل، والكهف، ومريم: «إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي».

ورواه في تفسير سورة الأنبياء، وزاد فيه: «الأنبياء».

قال الحافظ ابن حجر في تفسير سورة بني إسرائيل (العتاق) بكسر المهملة وتخفيف المثناة، جمع (عتيق) وهو القديم، أو هو كل ما بلغ الغاية في الجودة، وبالثاني جزم جماعة في الحديث، وبالأول جزم أبو الحسن بن فارس، وقوله: (الأول) بتخفيف الواو، وقوله (تلادي) بكسر المثناة وتخفيف اللام، أي مما أحفظ قديمًا، و(التلاد) قديم الملك، وهو بخلاف الطارف.

ومراد ابن مسعود رضي الله عنه: إنهن من أول ما تعلم من القرآن، وإن لهن فضلًا، لما فيهن من القصص، وأخبار الأنبياء والأمم، وسيأتي الحديث في فضائل القرآن بأتم من هذا السياق إن شاء الله تعالى.

---

(١) مجلة الهدي النبوي - المجلد ١٥ - العدد ٥ - جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ - ص٣.

يعني الحافظ الحديث الثاني في باب تأليف القرآن - بالسند الذي رواه البخاري في تفسير سورة بني إسرائيل، وتفسير سورة الأنبياء - عن عبد الرحمن بن يزيد قال: سمعت ابن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: «إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي»، وقال الحافظ ابن حجر في تفسير سورة الأنبياء: زاد في هذه الرواية ما لم يذكره في تلك - يعني التي في سورة بني إسرائيل.

وحاصله: إنه ذكر خمس سور متوالية، ومقتضى ذلك: أنهن نزلن بمكة، لكن اختلف في بعض آيات منهن.

ثم ذكر الآيات المختلف فيها في السور الخمس.

ثم قال: ولا يثبت شيء من ذلك، والجمهور على أن الجميع مكيات، وشذ من قال بخلاف ذلك. انتهى كلام الحافظ ابن حجر في الجزء الثامن من فتح الباري[1].

* * *

٢- أسباب النزول:

قال في تفسير الآية (٨٩) من سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

قال ابن إسحاق: وكان فيما بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس «أن يهود كان يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه؛ فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه،

(١) مجلة الهدي النبوي - المجلد ٢٢ - الأعداد ٨، ١٠ شعبان - شوال سنة ١٣٧٧ - ٣، ٤ .

فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته، فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي نذكره لكم».

فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

وقال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن حمزة بن قتادة عن رجال من قومه قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لنا لما كنا نسمع من رجال يهود وكنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فكنا كثيرًا ما نسمع منهم، فلما بعث رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فآمنا به وكفروا به ففينا وفيهم نزلت الآيات من البقرة: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ [البقرة: ٨٩] (١).

وفي تفسير الآية ٩٧ من سورة البقرة وهي قوله تعالى:

﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ

---

(١) مجلة الهدي النبوي – أول ربيع الثاني سنة ١٣٦٠ – العدد ٦، ٧ السنة الخامسة ص٥، ٦، وفي كتاب الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل بن هادي الوادعي ص٢ قال بعد ذكر هذا الحديث: اهـ. من سيرة ابن هشام ج١ ص٢١١، وهو حديث حسن فإن ابن إسحاق إذا صرح بالتحديث فحديثه حسن كما ذكره الحافظ الذهبي في الميزان.

﴿يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

قال الشيخ حامد: وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال: أقبلت يهود على رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، أخبرنا عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك.

فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قال: ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦] قال: هاتوا، قالوا: فأخبرنا عن علامة النبي؟ قال: تنام عيناه ولا ينام قلبه. قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر؟ قال: يلتقي الماءان فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت، قالوا: أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه؟ قال: كان يشتكي عرق النساء فلم يجد شيئًا يلائمه إلا ألبان كذا . قال أحمد: قال بعضهم: يعني الإبل – فحرم لحومها. قالوا: صدقت – إلى أن قال -: قالوا: إنما بقيت واحدة، وهي التي نتابعك إن أخبرتنا بها: إنه ليس من نبي إلا وله ملك يأتيه بالخبر، فأخبرنا من صاحبك؟ قال: جبريل. قالوا: جبريل؟ ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونًا، لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والقطر والنبات لكان، فأنزل الله تعالى : ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ الآية [البقرة: ٩٧]، وكذلك رواه الترمذي والنسائي(١).

وفي تفسير الآية ١٩٦ من سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦].

---

(١) مجلة الهدي النبوي – شعبان سنة ١٣٦٠ العددان ١٤، ١٥ – السنة الخامسة – ص٢، ٣، والحديث حسنه مقبل بن هادي الوداعي في كتابه الصحيح المسند من أسباب النزول ص٣ .

قال: وفي صحيح البخاري ومسلم أن النبي ﷺ مر على كعب ابن عجرة رضي الله عنه في الحديبية وقد حصرهم المشركون وكانت له وفرة، فجعلت الهوام - القمل - تتساقط على وجهه، فقال: ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا؛ أما تجد شاة؟ قلت: لا، قال: صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام، واحلق رأسك». قال: فيَّ نزلت هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦](١)(٢).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ الآية [البقرة: ١٩٧]. قال: روى البخاري وأبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ الآية [البقرة: ١٩٧](٣)(٤).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨]،

---

(١) مجلة الهدي النبوي العدد ٥٩ - أول ذي الحجة سنة ٥٩ - ٣ ديسمبر سنة ٤٠ - ص٧، ٨.

(٢) الحديث في فتح الباري برقم (١٨١٥) كتاب المحصر ج٤ ص٢٠ ط - دار الريان للتراث - وفي صحيح مسلم بشرح النووي برقم (١٢٠١)، كتاب الحج ج٨ ص١١٧ ط - المكتب الثقافي - الأزهر.

(٣) المصدر السابق ص١١.

(٤) الحديث في فتح الباري برقم (١٥٢٣) كتاب الحج جـ٣ ص٤٤٩ ط - دار الريان، وفي عون المعبود برقم (١٧١٤) كتاب المناسك ج٥ ص١٥٥ ط - المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

قال: قال البخاري: عن ابن عباس: «كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواق في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في الموسم، فنزلت: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ الآية [البقرة: ١٩٨] في مواسم الحج»(١)(٢).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٩٩].

قال: روى البخاري وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة – تعني يوم عرفة – وكانوا يسمون الحمس – تعني الغلاة المتشددين في دينهم، مثل المتصوفة – وسائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها؛ ثم يفيض منها، فذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٩٩]»(٣)(٤).

* * *

٣- الناسخ والمنسوخ:

في كتاب الإتقان في علوم القرآن ذكر السيوطي عشرين موضعًا للنسخ في القرآن والآيات المنسوخة هي: ١٥٥ البقرة، ١٨٠ البقرة، ١٨٤ البقرة، ١٨٧ البقرة، ٢١٧ البقرة، ٢٤٠ البقرة، ٢٨٤ البقرة، ١٠٢ آل عمران، ٣٣ النساء، ١١٥ النساء، ٢ المائدة، ٤٢ المائدة، ١٠٦ المائدة، ٦٥ الأنفال، ٤١ براءة، ٣ النور، ٥٢

---

(١) المصدر السابق ٤٠ – ص١٢.

(٢) الحديث في فتح الباري برقم (٤٥١٩) كتاب التفسير ج٨ ص٣٤ ط – دار الريان للتراث.

(٣) المصدر السابق ص١٤.

(٤) الحديث في فتح الباري برقم (٤٥٢٠) كتاب التفسير جـ٨ ص٣٥ ط – دار الريان للتراث.

الأحزاب، ١٢ المجادلة، ١١ الممتحنة، ٢ المزمل[١].

وفي كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني رجح أن المنسوخ في القرآن عشر آيات فقط هن:

١٨٠ البقرة، ١٨٤ البقرة، ٢٤٠ البقرة، ٢٨٤ البقرة، ١٥ النساء، ٦٥ الأنفال، ٣ النور، ٥٢ الأحزاب، ١٢ المجادلة، ٢ المزمل[٢].

وقد وقع تفسير الشيخ حامد في مواضع ليس فيها آيات منسوخة، فقد بدأ بتفسير مائة آية من سورة البقرة، ثم نصحه إخوانه بإكمال تفسير الشيخ رشيد رضا الذي توقف عند الآية ١٠١ من سورة يوسف، وأكمل الشيخ محمد بهجت البيطار سورة يوسف، فبدأ الشيخ حامد بعد ذلك من سورة الرعد حتى وصل إلى الآية ١٢ من سورة الإسراء، ثم أكمل تلاميذه التفسير بعد ذلك.

ولكنه تكلم عن نسخ الشرائع السابقة في قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]، فقال: ومن ثم كانت الشرائع والرسل تترى، ينسخ الله ويمحو من الشريعة الماضية ما كان مناسبًا لعصرها الأول وغير موائم لعصر الأمة التالية، ويثبت ويبقى منها ما يتفق مع الأمة التالية ورقيها، وأهم ذلك الذي يصدق المرسلون، آخرهم أولهم فيه: هو أس الشرائع وأصلها، وهو إخلاص العبادة لله، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع، وأن لا يتبع الناس إلا تشريع الله وأحكامه، ولا يتخذوا من دونه مشرعين يحلون ويحرمون، ويوجبون ويفرضون ما لم يشرع الله، فإن التشريع حق لله بصفة ربوبيته، ومن اتخذ مع الله مشرعًا فقد اتخذ معه ربًا.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن – السيوطي – ط. دار الكتب العلمية – بيروت ص٤٣ – ٤٥ ج٢.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن – الزرقاني ط. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ج٢ ص٢٥٧ – ٢٦٩.

وما زال أمر التشريع على ذلك: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ من الرسالة الماضية، ﴿وَيُثْبِتُ﴾ الكتاب الجامع لكل هذه الرسالات كما أنزلت، ولأحوال الأمم كما كانت عليه قبل رسالة رسولها وبعده ، وهو الكتاب المكنون واللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه قبل خلق السماوات والأرض كل ما هو كائن ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة : ٧٧ - ٧٩]، وقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢].

ففي هذا اللوح المحفوظ كتب كل الأنبياء وصحفهم كما أنزلت في زمنها قبل النسخ والمحو، والله أعلم(١).

***

٤- المحكم والمتشابه :

يقول الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

وفي بحث المحكم والمتشابه في كتب علوم القرآن يذكر دائمًا مثلان للمتشابهات من الآيات وهما الحروف المقطعة في أوائل السور، وآيات الصفات.

وقد تكلم الشيخ حامد عن القسمين، فتكلم عن الحروف المقطعة في أوائل السور في أول تفسير سورة البقرة، فقال:

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ اختلف المفسرون اختلافًا كثيرًا في معناها، ومعنى أخواتها من أوائل السور الأخرى المبدوأة بهذه الأحرف، وأولى الأقوال عندي

(١) مجلة الهدي النبوي – جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ – العدد الخامس مجلد ٩ ص١٤٦ .

بالصواب أنها أسماء للسور المفتتحة بها.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يقرأ في صبح الجمعة ﴿الٓمٓ﴾ السجدة، و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، وأن المقصد منها تحدي العرب الزاعمين أن القرآن من تأليف النبي ﷺ ومن عمله: بأن ذلك القرآن العربي التراكيب والمفردات إنما مادة كلماته من جنس الحروف التي يبنون منها كلماتهم، ويؤلفون منها أشعارهم وخطبهم، ومع ذلك فلن يستطيعوا أن يأتوا مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، بل ولو ظاهرتهم الجن أيضًا على ذلك ما قدروا عليه، ولا واتاهم ذلك ولا قاربوا، مع ما هم عليه من فصاحة القول، وقوة البديهة، وامتلاك أعنة الكلام، حتى لهم أفخر الناس بذلك، وأبرعهم في إشادة القصائد العامرة؛ وصنع الخطب الرنانة، وقد مارسوا صناعة الكلام أبلغ ممارسة حتى برعوا فيها أيما براعة؛ فكيف يأتي هذا من محمد الأمي، الذي ما عرف عنه يومًا من الأيام شعر؛ ولا خطبة؛ ولا ممارسة لأي نوع من صناعة القول وتنميقه؛ ووصف الكلام وتنسيقه؟ لمحمد مع هذه الأمية أعجز وأعجز أن ينطق بهذا القرآن من عند نفسه أو يمليه عليه فؤاده، أو يبتكر تلك الآيات المحكمات، ويصنع هذه الحكم الروائع والشرائع العالية برأيه وهواه: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤]. ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ۝٤٨ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨، ٤٩] (١).

ثم رد على الآراء الأخرى في تفسير هذه الحروف، فقال: ومن أبعد الأقوال عن

(١) المصدر السابق ص٣، ٤ .

الصواب، وأغربها عن روح القرآن الكريم: ما يدعي أن هذه الحروف وصف لغير معنى وعلى غير قصد، ورد على هذا القول بأن القرآن أنزل للتدبر والفهم لجميع آياته.

ثم يقول بأنه أسخف من هذا القول من يقول: إنها جعلت رموزًا لسنين ووقائع أو لأشخاص من الخلق ، أو لعلوم باطنة، والأصح لعلوم باطلة... ومن الأقوال الباطلة أيضًا فيها من جعل بعضها أسماء للنبي ﷺ فقالوا: (طه ويس) اسمان من أسمائه، وما أدري من أين جاءهم هذا الفهم السقيم الذي فرقوا به بين «آلم»، و«كهيعص» وأخواتها، وبين «طه» و«يس».

ثم نقل قول الزمخشري فقال: ويعجبني هنا قول الزمخشري: والوجه الثالث: أن ترد هذه السور مصدرة بذلك ليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلًا بوجه من الإعراب، وتقدمه من دلائل الإعجاز، وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الأقدام: الأميون منهم وأهل الكتاب، بخلاف النطق بأسامي الحروف؛ فإنه كان مختصًا بمن خط وقرأ، وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم، وكان مستغربًا مستبعدًا من الأمي التكلم بها، استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، ثم ذكر أيضًا من آراء إخوانه من دعاة أنصار السنة وعلمائها وهو الشيخ عبد الظاهر أبو السمح[١]، الذي أصبح بعد ذلك أول إمام وخطيب للحرم، والذي لا يبعد كثيرًا

---

(١) الشيخ عبد الظاهر أبو السمح، ولد عام ١٣٠٠هـ - ١٨٨٢م في بلدة التلين - مركز منيا القمح - الشرقية - حفظ القرآن في التاسعة من عمره وحصل على شهادة كفاءة المعلمين والتحق بدار الدعوة والإرشاد حين أنشأها السيد رشيد رضا، ثم سافر إلى المملكة العربية السعودية، وعمل إمامًا وخطيبًا للحرم المكي لمدة خمسة وعشرين عامًا وأسس دار الحديث الخيرية بمكة، توفي بالقاهرة عام=

عن الآراء الصحيحة التي ذكرها(١).

وعندما تحدث عن آيات الصفات في العديد من المواضع وأولها الآية ٢٩ من سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٩].

فقال في تفسيره لها: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ ﴾ «استوى» علا وارتفع وقصد، والأصل في استوى أن يعدي بـ (على) وعدي بإلى هنا لتضمينه معنى انتهى وقصد، وفيه دلالة أيضًا على أنه بمعنى علا وارتفع قاصدًا؛ أي بعد أن دحى الأرض وأخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال أرساها، متاعًا لكم ولأنعامكم، قصد ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾، وهي دخان، ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾، فأتم خلقهن من هذه المادة الدخانية، وفصلهن سبع سماوات طباقًا، وأوحى في كل سماء أمرها، وجعل في كل سماء بروجها وكواكبها وزينتها، وأسكنها من شاء من ملائكته، وزين السماء الدنيا بزينة الكواكب، وحفظًا من كل شيطان مارد.

ثم نقل من قول الطبري في تفسيره للآية: وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ علا وارتفع، فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سماوات، ومن كلام العلامة ابن القيم في كتاب الصواعق المرسلة في الكلام على كسر الطاغوت الثالث من الطواغيت التي سلطوها على أسماء الله وصفاته، وهو طاغوت المجاز:

المثال الثالث في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، في سبع آيات من القرآن، حقيقة عند جميع فرق الأمة إلا الجهمية ومن وافقهم، فإنهم

=١٣٧٠هـ - ١٩٥١م ودفن بها. (مجلة الهدي النبوي ١٣٧٠هـ العدد ٨).

(١) المصدر السابق ص٥، ٨.

قالوا: هو مجاز، ثم اختلفوا في مجازه، والمشهور عنهم ما حكاه الأشعري[1] عنهم، وبدعهم وضللهم فيه: أنه بمعنى استولى، أي ملك وقهر.

وقالت فرقهم منهم: بل معناه: قصد وأقبل على خلق العرش، وقالت فرقة أخرى: بل هو مجمل في مجازاته يحتمل خمسة عشر وجهًا، كلها لا يعلم أيها المراد، إلا أنا نعلم انتفاء الحقيقة بالعقل.

هذا الذي قالوه، وهو باطل من اثنين وأربعين وجهًا[2].

***

٥- إعجاز القرآن:

كذلك تحدث الشيخ حامد عن إعجاز القرآن بأسلوبه ومعانيه في العديد من المواضع، وذكر طرفًا من الإعجاز العلمي في آيات كثيرة في مثل قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد: ٨]، وما فيها من إعجاز طبي[3].

وعندما تحدث عن الإعجازاللغوي كان يستدل بكلام أئمة البلاغة كالشيخ عبد القاهر الجرجاني في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز وغيرهما.

كذلك تحدث عن أمثال القرآن وعن أسماء السور وعن ترتيب النزول وعن عدد الآيات، وناقش الخلاف في هذه الأمور، ورجح ما رآه راجحًا، وقد ذكرنا من

---

(١) أبو الحسن الأشعري (٢٦٠ - ٣٢٤هـ = ٨٧٤ - ٩٣٦م) - علي بن إسماعيل بن إسحاق، من نسل الصحابي أبو موسى الأشعري، مؤسس مذهب الأشاعرة، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين، ولد في البصرة، وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم، ثم رجع وجاهر بخلافهم، وتوفي ببغداد، قيل بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب. (الأعلام للزركلي).

(٢) مجلة الهدي النبوي - رجب سنة ١٣٥٨ - العددان ٢٨ - السنة الثالثة - الجزء الرابع - ص١ - ١٨.

(٣) مجلة الهدي النبوي - رجب سنة ١٣٦١ - العددان ١٣، ١٤، السنة السادسة ص٢٠٢ - ٢١٥.

ذلك الكثير فيما سبق.

ولم يغفل أيضًا علم القراءات فيذكر قراءات متعددة لبعض الآيات ويستعين بقراءة منهم في تفسير قراءة أخرى.

ودائمًا ما كان يبدأ التفسير بذكر معاني المفردات نذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر تفسير كلمة إبراهيم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

فقال: إبراهيم اسم سرياني، معناه بالعربية (أب رحيم)، وفيه ست لغات: إبراهيم، وإبراهام، وإبراهم- بفتح الهاء وكسرها وضمها- وإبرهَم- بفتح الهاء[١].

وتفسيره لكلمة موسى في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢] بأنها مكونة من كلمتين عبريتين (مو) بمعنى الماء، و(شا) بمعنى الشجر، يعنون الذي وجد بين الماء والشجر، لأن اليهود ينطقونها (موشى) بالشين[٢].

ولولا خشية الإطالة لذكرنا نماذج تطبيقية أكثر من ذلك، وفيما ذكرناه كفاية من أجل الغرض المطلوب، والله المستعان.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى الصواب والسداد في القول والعمل، وأن يغفر لنا زلاتنا وأخطاءنا.

***

---

(١) مجلة الهدي النبوي – المجلد ١١ – العدد الثالث – ربيع الأول سنة ١٣٦٦ – ص١٤٨.

(٢) مجلة الهدي النبوي – المجلد ٢٣ – صفر سنة ١٣٧٨ – العدد ٢ – ص٣.

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم :

وعندما يتحدث عن آيات الإعجاز العلمي في القرآن نجد أنه يفسر هذه الآيات بالنظريات الحديثة إن صحت أو يرد عليها بالقرآن إن كانت غير صحيحة ويغلف ذلك بأسلوب أدبي بديع، فنجد هذا المنهج مثلًا في تفسيره للآية ٢ من سورة الرعد عند ذكر السماوات وهي قوله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد: ٢].

فقال رحمه الله : وتلك السماوات مع هذا العظم الهائل جدًّا قد رفعها الله وجعلها فوقنا سقفًا محفوظًا، وأمسكها أن تزول من علوها العظيم، وحفظها أن تقع على الأرض إلا بإذنه، بدون سبب مرئى لنا من عمود ترتكز عليه وترتفع فوقه، ولا سناد أو جدار تستند عليه ولا غير ذلك مما جرت به طبيعة حمل الأثقال ورفعها عن مركزها، وهذا يدل على أن السماء بناء محبوك قوي شديد، ثقيل أعظم الثقل.

فليست طبقات الهواء كما ادعى الجغرافيون، وإلا فلا معنى لأن يكون رفعها بلا عمد نراها من آيات قدرته العظيمة(١).

ثم اتبع ذلك بذكر مواضع عديدة من الآيات التي ذكرت فيها السماء في القرآن وما فيها من بديع الصنع وعظيم الآيات، وكذلك بعض الأحاديث المتفق عليها أيضًا وفيها ذكر السماوات وأبواب هذه السماوات وغير ذلك.

ومن الإعجاز العلمي أيضًا ما ذكره في تفسيره للآيات ٣، ٤ من سورة الرعد

---

(١) تفسير القرآن الحكيم – سورة الرعد – الشيخ محمد حامد الفقي – إعداد مركز التراث والبحث العلمي – المركز العام لجمعية أنصار السنة المحمدية – ص٢١.

وهي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٣، ٤]. فتحدث في تفسيره لهذه الآيات عن كروية الأرض وكيف أنها لا تتعارض مع قوله تعالى : ﴿ مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾.

ونقل قول أبي حيان في البحر : قال أبو عبد الله الداراني : ثبت بالدليل أن الأرض كرة، ولا ينافي ذلك قوله: ﴿ مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾، وذلك أن الأرض جسم عظيم، والكرة إذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح.

ثم قال الشيخ حامد : قال أبو طاهر (وهي كنيته) – عفا الله عنهما – وقد أصبحت كرية – كروية – الأرض من البديهيات التي يتعجب من منكرها، بعد أن كانت أمرًا يتعجب من القائل به، بل ربما رمى بالكفر والزندقة من يقول بكرية الأرض، وأصبح من البديهي أيضًا أن هذه الكرة الأرضية العظيمة تسبح في الفضاء، وأنها تدور حول نفسها بسرعة عظيمة، ينشأ عن هذه الدورة : الليل والنهار؛ وتجري في دورتها هذه في مدار تبعد عن الشمس وتارة تقرب منها، فينشأ من بعدها وقربها في هذا المدد : الفصول الأربعة(١).

وذكر كذلك الشيخ حامد في تفسير هذه الآية بأن السماوات والأرض كانتا رتقًا أي كتلة واحدة، ثم فتق الله العظيم بقدرته كل واحدة منهما وفصلها عن الأخرى.

---

(١) المصدر السابق ص٢٩.

وتحدث كذلك عن الجاذبية ونقل من كتاب سنن الله الكونية للأستاذ الدكتور محمد الغمراوي ما كتبه عن الجاذبية وأثرها على الحياة على الأرض وعلاقتها بالأنهار والبحار.

ثم ذكر الجبال ووظيفتها في إرساء الأرض ونزول الأنهار منها واتجاها بقوة الجاذبية إلى البحار.

ثم في قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ﴾، وضَّح موضوع التزاوج بين الذكر والأنثى في النباتات وأن العرب كانت أمة أُمية، ولم تكن تعرف عن هذا التزاوج بين النبات شيئًا مما أظهرته الدراسات المتبحرة التي تقوم بها في هذا العصر الجامعات العلمية وتؤلف في شرحها المؤلفات الضخمة.

ثم تحدث عن الليل والنهار وما جعل الله فيهما من آيات القوى والحيوية في النهار والسكون والنوم والسبات في الليل.

ثم تذكر الآيات قطع الأرض المتجاورات والمختلفات في نفس الوقت فهذه أرض خصبة، وتلك سبخة، وأخرى رملية، وأخرى حجرية، وهذه معدنية للنحاس، وأخرى للحديد، وأخرى للذهب، وأخرى للفحم الحجري، وأخرى للبترول، وأخرى للأملاح، وهلم جرًا، ثم ينظر في القطعة الواحدة المتجاورة أجزاؤها، فيرى أن الله قد أخرج منها مختلف الأشجار والثمار، ويرى بين هذه الأشجار والثمار من عجائب صنع الله وبديع خلقه في أنواع الاختلاف في الأحجام والألوان والطعوم، وما جعل في كل شجرة وثمرها من الخصائص الطبية وغير الطبية ما يدهش العقول[1].

---

(١) المصدر السابق – ص٢٩ – ٣٧ بتصرف.

* وفي تفسير قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴾ [الرعد: ٨، ٩].

تكلم عن الإعجاز في خلق الرحم ومراحل نشوء الجنين فيه، فقال: وإنما سمي الرحم رحمًا لأنه أجلى مظاهر رحمة الله، إذ جعله الله برحمته بحيث يمتص ماء الذكر، ثم ينكمش عليه، ويشتمل أتم اشتمال وانكماش، حتى لا تفسد النطفة باختلاط مواد أجنبية عنها، ثم أخذ يمتصه ويطبخه بما أودعه الله فيه من القوى والمواد حتى أخذ أطواره: من نطفة إلى علقة إلى مضغة، إلى عظام، ثم كسا العظام لحمًا، ثم أنشأه خلقًا آخر، ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ [المؤمنون: ١٤].

فإذا نفخ فيه الروح دبر غذاءه في هذا المكان الذي لا تناله يد ولا بصر ولا حيلة لوالد ولا والده ولا أحد في التماس الغذاء ولا في دفع الضرر عن ذلك الجنين بل دبر الله ذلك بلطفه ورحمته ألطف تدبير، فأجرى إليه من دم الأم الذي هو خلاصة غذائها بواسطة الحبل السري المتصل ببطنه من طرفه، وطرفه الآخر متصل بالأم بواسطة المشيمة التي تكونت معه بجذور لاصقة بجدار الرحم وأحاطته رحمة الله ولطفه بأغشية ومواد مختلفة التركيب والقوام بحيث يصير كأنه يعوم في بحر متلاطم حتى لا يصدم ولا يصطدم بجدار الرحم، فيؤذي الأم، ويتأذى هو بصلابة تلك الجدران، وما زال ذلك البحر يتسع كلما زاد حجم الجنين حتى يبلغ غايته بقدرة الله ورحمته، فإذا كمل تخليق أعضاء الجنين واستحكم وبلغ نموه الذي هو قدر الرحم وفي حدود وظيفته وطاقته بمقتضى الرحمة، وقوى أديمه على مباشرة الهواء، وبصره على ملاقاة الضياء، وصلبت عظامه على مباشرة الأيدي والتقلب على الأرض، وصار بحيث يضره البقاء في هذا المكان ويضره

بقاؤه هذا العضو هاج الطلق بالأم فأزعج الجنين إلى الخروج أيما إزعاج، وركضه الرحم من مكانه بعنف وقوة، وفتح الله له برحمته ذلك الباب الضيق ووسعه بحيث يمرق منه مروق السهم، لا يختنقه ولا يضايقه، فإذا تأملت كيف دخلت من هذا الموضع نطفة، ثم خرجت خلقًا سويًا تتبين لك من آثار رحمة الله بك ولطفه ما يتضح لك منه لم سمي «رحمًا»، ثم هو كذلك أقوى سبب في تراحم وتعاطف الذين حواهم وضمهم وخلقهم الله فيه من الإخوة والأخوات، ثم هو سبب للصهر الذي هو من أقوى أسباب التعاون والتراحم، من أجل هذا سمي «رحمًا»، وجعل الله بسببه من حقوق الصلة والبر بذوي الأرحام ما هو معروف في الكتاب والسنة(١).

ثم نقل كلامًا من كتاب «مفتاح دار السعادة» لابن القيم عن ما دعا الله إليه عباده من التفكر في القرآن.

ومن ذلك أيضًا ما ذكره الشيخ محمد حامد الفقي – رحمه الله تعالى – في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [الحجر: ١٨]، إذ تكلم عن الشهب والمذنبات بعد ذكر التفسير اللغوي لكلمة شهاب، فقال – عليه رحمة الله –:

«والشهاب» قال الراغب: الشعلة الساطعة من النار الموقدة ومن العارض في الجو، وأصله مأخوذ من الشهبة، وهي شدة البياض، وعند الفلكيين، قال في كتاب «النجوم في مسالكها» في الكلام عن المذنبات والشهب:

بقية الأسرة الشمسية أجسام صغيرة حقًا، وفي مقدمتها من حيث الكبر

(١) المصدر السابق – ص٦٦، ٦٧.

والأهمية المذنبات تشبه السيارات في أنها تدور، ثم تدور حول الشمس وتختلف عنها في أن مساراتها في الغالب متطاولة جدًا، ولذا فقد يكون المذنب في وقت من الأوقات بعيدًا جدًا في أعماق الفضاء الباردة وفي وقت آخر قريبًا جدًا لقربه من الشمس، والمذنبات لا ترى عادة حتى تتعرض تمامًا لضوء الشمس وحرارتها، وعندئذ تظهر، بل وتسترعى من أبصار الناس واهتمامهم ما لا يتناسب أبدًا مع أهميتها الحقيقية، وهي أيضًا تتمزق عندما تلج المنطقة الخطرة المحيطة بجسم كبير، مثل الشمس أو المشترى، والقطع التي تنفصل عنها تكون عندئذ همرات (جمع همرة، وهي الدفعة من المطر) من حجارة، نسميها النيازك ويحدث أحيانًا أن تمر الأرض من خلال إحدى هذه الهمرات، بحيث يعلق بجوها بعض النيازك وعندئذ ترتفع حرارة النيازك إلى درجة الأبيضاض لاحتكاكها بالهواء، فنشاهد ما يعرف بالعرض النيزكي – أي همرة من الشهب.

إلى أن قال -: وأغلب النيازك من الصغر بحيث إنها تتبخر عن آخرها قبل أن تصيب الأرض، مخلفة وراءها أثرًا لامعًا من رماد مضيء ليس غير، ونهاية هذا الأثر تحدد لنا النقطة التي عندها يستحيل النيزك كله إلى بخار، وتكون عادة أعلى من سطح الأرض بأميال كثيرة على أنه قد يحدث من آن لآخر أن يكون النيزك أكبر من أن يتبخر عن آخره في أثناء طيرانه السريع عبر الهواء، وعندئذ يصيب مما تبقى منه الأرض حجرًا نيزكيًا. اهـ(١).

وفي سورة النحل :

يوضح الإعجاز في النحل فيقول في تفسير الآية: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾

---

(١) تفسير سورة الحجر – الشيخ محمد حامد الفقي – ط. مركز التراث – أنصار السنة – ص٨٩، ٩٠.

[النحل: ٦٨]، والنحل ذبابة صغيرة وحشرة دقيقة فإن اسم النحل من النحول وهو دقة الأعضاء وضمورها يقال: فلان نحيل الجسيم إذا أصابه نحول، ومن النحلة بمعنى العطاء والهبة من غير انتظار مقابل، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴾ [النساء: ٤].

فخلق النحل دقيق في تكوين جسمها وأرجلها وأجنحتها ورأسها وخرطومها وحويصلتها وهي تعطي الإنسان ألوانًا من الخير والنفع في تنقلها على الأزهار والنوار، لجني الرحيق والغذاء فتنقل بأرجلها الدقيقة حبيبات اللقاح من ذكور الأزهار إلى إناثها برحمة الله وحكمته فتأخذ سبيلها في الاكتمال ثمارًا وأزهارًا وهي تعلم الإنسان السليم الفطرة والتفكر في خلق الله وسننه، والدقة في تنظيم شئون حياته والصبر والمثابرة والشجاعة وأخذ الأهبة لدفع العدو في الوقت المناسب وتعلمه الهندسة الدقيقة في اتخاذ مساكنها المهندسة أدق الهندسة وأحكمها وأجمعها – في اختيار المكان والأشكال – لكل ما يحتاجه الساكن من ضرورات الحياة، وهي تعلمه الاقتصاد في الإنفاق والتفكير الحاذق في المستقبل والتهيؤ له بكل ما يناسبه وهي – بعد هذا – تعطيه شرابًا رحيقًا مختلفًا ألوانه فيه شفاء للناس، وسيأتيك بيان هذا تفصيلًا إن شاء الله(١).

وقد أورد هذا التفصيل عند تفسير قوله تعالى في نفس الآية السابقة: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴾ [النحل: ٦٨].

فقال: اتخذي أمر كوني بما ركب فيها العليم الحكيم سبحانه من هداية الفطرة، ﴿مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴾، ما يتخذ من أغصان الشجر عمدًا

---

(١) تفسير سورة النحل – للشيخ حامد الفقي – ط. مركز التراث بالمركز العام لجماعة أنصار السنة – القاهرة – ص٢٢٣ – ٢٢٤.

وسقفًا ويسمى خصًا لتكون تلك البيوت أبعد وأصون - لها ولصغارها وما تدخر من العسل قوتًا لها - من الهوام والحشرات الأرضية وهي آمنة من الطيور بالفطرة فإنها لا تتعرض لها ولا لقوتها بأذى ولتكون تلك البيوت في هذه الأمكنة الرفيعة بعيدة عن رطبوات الأرض وعفوناتها وما يتراكم على وجهها في الصباح من طل ونحوه فإن ذلك يضعف النحل وكثيرًا ما يميتها ويفسد مذخورها من العسل، وليكون جو هذه البيوت ومناخها في هذه الأمكنة المرتفعة معتدلًا أميل إلى الجفاف والحرارة ولتأخذ هذه البيوت أوفر قسط من الهواء النقي ولا تتأذى بالروائح المنتنة الكريهة من الفضلات وعفونات الأرض، فإن النحل يؤذيها أشد الأذى الروائح الكريهة ولتكون هذه البيوت أيسر عليها في غدوها ورواحها فإنها تقصد الأزهار والنوار في أعالي الزروع والأشجار فلا يشقى عليها ولا يجهدها السعي في الغد والرواح ارتفاعًا وهبوطًا فإنها كلما توفرت لها أسباب الراحة توفرت لإخراج الشراب من العسل ولتجويد إفرازه وتصفيته(١).

ثم في تفسير الآية التي بعدها وهي قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٩]، يبين كيف أن النحل ينقسم إلى أنواع في داخله فمنهم الملكة ومنهم الذكور ومنهم الشغالة، وعند الأكل من أزهار الثمار يذهب النحل بقيادة الملكة ويتبعها باقي النحل ويجمعون غذاءهم، يجمعونه في أرجلهم الأمامية، وقد جعل الله فيها شعيرات أشبه بالسبت تجمع فيها من الحبيبات الدقيقة التي تكون في وسط الأزهار والنوار

---

(١) المصدر السابق - ص٢٢٤-٢٢٥.

- وتسمي في عرف النحالين بخبز النحل - وفي تنقلها على الأزهار والنوار لتجني منها الخبز والرحيق - تنقل بأرجلها الدقيقة حبيبات اللقاح من ذكور الأزهار والنوار إلى إناثها وتأخذ بخرطومها من الثمرات الرحيق الذي تصيره بعد ذلك عسلًا مصفى وتجعل جزءًا من هذا الرحيق بواسطة حوصلة خاصة غذاء ملكيًّا(١).

ثم في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ من نفس الآية يوضح كيف أن الله تعالى ذلل لها السبل وسهلها لها في بناء بيوتها المسدسة في هندسة عجيبة تقوم على أدق الفنون الهندسية في الأساس والجدران بما يحير أمهر وأدق المهندسين، وعند اشتداد الحر في هذه البيوت تجتمع جماعات منها وتحرك أجنحتها بسرعة عظيمة حتى تكون كالمروحة الكهربائية، وإنها لتسلك تلك السبل مذللة حين تبلغ الملكة - وهي الأنثى الوحيدة في النحل الكاملة الأنوثة وحجمها أطول وأضخم من الذكور والشغالة - فتخرج من الخلية مندفعة كالسهم السريع ليتبعها ذكور النحل تتسابق لإدراكها واللحاق بها فلا يطولها إلا أقوى الذكور وأنشطها فيلقحها بما يقرب من أربعة ملايين من الحيوانات المنوية، ثم تعود بلقاحها إلى الخلية(٢).

ثم يستمر ليبين كيف تلقح الملكة البويضات التي تحملها والتي قد تبلغ أربعة ملايين بويضة ثم المراحل التي تمر بها البويضة بعد التلقيح حتى تخرج منها الدودة التي تصبح بعد ذلك نحلة.

وعند تفسير قوله تعالى:

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾، من نفس الآية

---

(١) المصدر السابق - ص٢٢٥ بتصرف.

(٢) المصدر السابق - ص٢٢٦-٢٢٧ بتصرف.

أيضًا يأتي بكلام العلامة ابن القيم في زاد المعاد (جـ٣ ص١٥٥، ١٥٦):

في الصحيحين من حديث أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري (أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: إني أخي يشتكي بطنه. وفي رواية: استطلق بطنه. فقال: اسقه عسلًا. فذهب ثم رجع فقال: سقيته فلم يغن عنه شيئًا. وفي لفظ: فلم يزده إلا استطلاقًا. مرتين أو ثلاثًا، كل ذلك يقول له: «اسقه عسلًا». فقال له في الثالثة أو الرابعة: صدق الله وكذب بطن أخيك.

والعسل فيه منافع عظيمة فإنه جلاء للأوساخ التي في العروق والأمعاء وغيرها محلل للرطوبات أكلًا وطلاء نافع للشيوخ وأصحاب البلغم ولمن كان مزاجه باردًا رطبًا وهو مغذ ملين للطبيعة، حافظ لقوى المعاجن ولما استودع فيه، مذهب لكيفيات الأدوية الكريهة، منق للكبد والصدر، مدر للبول، موفق لعلاج السعال الكائن عن البلغم... إلى أن قال:

فما خلق الله لنا شيئًا في معناه أفضل منه ولا مثله ولا قريبًا منه ولم يكن معول القدماء إلا عليه وأكثر كتب القدماء لا ذكر فيها للسكر البته ولا يعرفونه فإنه حديث العهد حدث قريبًا.

وكان النبي ﷺ يشربه بالماء على الريق، وفي ذلك سر بديع في حفظ الصحة لا يدركه إلا الفطن الفاضل. اهـ[1].

***

(١) المصدر السابق - ص٢٣٠ - ٢٣١ باختصار.

أمثال القرآن:

وفى تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾ [من الآية: ٢٦- من سورة البقرة] نجد أنه يتكلم عن الأمثال فى القرآن الكريم ويورد أقوال العلماء فى هذا النوع من علوم القرآن فيقول:

قال السيوطى فى كتاب الإتقان: النوع السادس والستون: فى أمثال القرآن. أفرده بالتصنيف الإمام أبو الحسن الماوردي الشافعى. ثم حكى عن الماوردي أنه قال:

من أعظم علوم القرآن علم أمثاله، والناس فى غفلة عنه، لاشتغالهم بالأمثال وإغفالهم الممثلات، والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام، وقال غير الماوردي:

قد عده الشافعى مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال: ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدال على طاعته المبينة لاجتناب نواهيه. وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام:

إنما ضرب الله الأمثال فى القرآن تذكيرًا ووعظًا، فيما اشتمل منها على تفاوت فى ثواب، أو على إحباط عمل، أو على مدح أو ذم أو نحوه فإنه يدل على الأحكام.... ثم ذكر السيوطي أمثلة من أمثال القرآن وكلامًا للعلماء عليها.

وقال الإمام العلامة الحافظ الحجة ابن القيم رحمه الله ورضى الله عنه فى كتاب أعلام الموقعين (ج١ ص١٧٩-٢٢٨) ومن هذا – يعنى قياس الشبه- ما وقع فى القرآن من الأمثال التى لا يعقلها إلا العالمون؛ فإنها تشبيه شيء بشيء فى حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر، كقوله تعالى فى حق المنافقين ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ

نَارًا ﴾ - الآيات [البقرة: ١٧ - ٢٠].

وقال الشيخ عبد القاهر الجرجانى فى كتابه (أسرار البلاغة) واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء فى أعقاب المعانى، أو برزت هى باختصار فى معرضه، ونقلت عن صورتها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وأكسبها منقبة، ورفع من قدرها، وشب من نارها، وضاعف قواها فى تحريك النفوس لها، ودعاء القلوب إليها؛ واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفًا؛ وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفًا، فإن كان مدحًا كان أبهى وأفخم، وأقبل فى النفوس وأعظم؛ وأهز للعطف، وأسرع للإلف؛ وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح، وأوجب لشفاعة المادح، وأقضى له بغرر المواهب والمنائح، أسير على الألسن واذكر، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر[1].

***

(١) مجلة الهدي النبوي - العدد ٢٧ - جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨هـ - الجزء الثالث من السنة الثالثة - ص٤، ٥.

وفي كتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ج١ ص٢٢٥ ط. مكتبة القاهرة - الصنادقية الأزهر.

المبحث السابع

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (المنحى الإصلاحي الاجتماعي)

وكان الشيخ الفقي رحمه الله تعالى يظهر أحيانًا اهتمامًا كبيرًا بما يسمى بالمصطلح الشرعي - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - في المجتمع الذي يحيط به - وبما يسمى بالمصطلح العصري المنحى الإصلاحي الاجتماعي، وسواء كان هذا المنكر في مصر أو في أي مكان في العالم الإسلامي - كان الشيخ - رحمه الله - يشير إليه ويقول فيه كلمة الحق، ولا يخشى في الله لومة لائم، مع ربط هذا الواقع بالآيات القرآنية التي يفسرها بأسلوب أدبي جميل.

فعند خروج الملك فاروق من الحكم، وكان يفسر الآيات [٤٥ - ٤٧] من سورة النحل، وهي قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ٤٥ - ٤٧].

قال الشيخ في التفسير: لقد كان فاروق حملًا وديعًا، تلقفه الأذلة المستضعفون، فنفخوا فيه من عمايتهم وذلتهم، الغرور والكبر بسجودهم وتزلفهم وصغارهم، وكفرهم بنعم الله وآياته فيهم وفيه، وعليهم وعليه، وإعراضهم بغيًا عن هدى الفطرة وهدى الرسالة، وفسوقهم وعصيانهم، وما زال هذا شأنه وشأنهم، حتى عاد يمثل رواية فرعون، ويقول لهم بلسانه وعمله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨].

فأوقد لي يا (بولو) على الطين فاجعل لي صرحًا، لعلي أبلغ الأسباب، فغضب الله الغيور العزيز الحكيم عليه وعليهم، وابتعث له ولهم من مأمنه ومأمنهم، ممن يزعمهم - بغروره وبغيه - عبيده وعبيد آبائه - إذ كان ينكل بهم

سجنًا وتشريدًا، وسبًا وشتمًا، ما اشتهت نفسه الباغية أن تنكل – وما يظنه بغروره وبما يسول له المستضعفون الأذلة من حوله : أنه يطفئ به نار غضبهم، ويخضد به شوكتهم، ويمكن له من عبوديتهم وربوبيته لهم، لقد جاءه العذاب الأليم، واللعنة الجبارة من الله على أيدي رجال جيشه الذي كان يتخذ منهم زخارف لملاهيه، وآلات زينة لأفراحه وألعابه، وأعياده الطاغية، فلقد أيقظ الله في شباب الجيش الإنسانية الكريمة، فعرفوا نعمة الله عليهم، وعرفوا أنهم شركاؤه في البغي والفساد إن لم يردعوه.

وشركاؤه في إذلال بقية الأمة إن هم لم يكبحوا جماحه، فحاولوا بكل سبيل، لكنه أبى أن يرتدع، وتعاصى غروره وكبرياؤه أن يكبح من جماحه؛ فإنه الرب الأعلى، وهو الإله – لا غيره – وسبحان الله المنتقم الجبار... إلى أن قال :

وخسفت به الأرض، وهو يتقلب في شئونه وملاذه ومطامعه الطاغية وشهواته. فإذا بكل ذلك رمال مهيلة تتدحرج بالمسكين حتى تلقيه في البحر إلى حيث أراد الله الرءوف الرحيم بالأمة أن تلقيه، وإلى حيث أراد المنتقم الجبار الغيور العزيز الحكيم أن يجعل عاقبته ؛ ليكون عبرة لغيره، وموعظة للمتقين، فهل سيعتبر ويؤمن بالله وآياته وسننه من جديد، فيرجع إلى قصد السبيل، ويثوب إلى رشده، ويعمل صالحًا؟! هيهات هيهات(١).

المنحى الإصلاحي الاجتماعي خارج مصر :

وفي تفسير قوله تعالى من سورة إبراهيم :

﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ

---

(١) تفسير سورة النحل – الشيخ محمد حامد الفقي – ط. مركز التراث – بالمركز العام لأنصار السنة المحمدية – ص١٦٧ – ١٦٨.

ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ينكر الشيخ حامد الفقي رحمه الله تعالى ما صار إليه الحال هذه الأيام في مكة من اهتمام الناس بأمور التجارة والبيع والشراء وعدم اهتمامهم بالإيمان بالله تعالى ومعرفته وشكره سبحانه على نعمه على أبيهم وعليهم فيقيموا الصلاة لله وحده ويقيموا كل حياتهم على أساس دعوة إبراهيم عليه السلام، فيقول:

يقول إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: إني يا رب ورب العالمين ما أسكنت ذريتي عند بيتك المحرم ليتخذوا من هذا البيت مغلًا ومتجرًا، ومن قصاده وحجاجه سلعة ومغنمًا، وإنما أسكنتهم ليعرفوك ويؤمنوا بك ويشكروك سبحانك على ما أنعمت على أبيهم وعليهم، فيقيموا لك وحدك الصلاة، ويقيموا كل حياتهم وشئونهم على أساس توثيق صلات قلوبهم ومقاصدهم بك وحدك، هذه دعوة إبراهيم لساكني مكة وواديها، وهي كغيرها من دعواته عليه الصلاة والسلام قد تبدل كل شيء فيها عند الكثير من الناس على عكس ما دعا إبراهيم وسأل ربه في هذه الذلة والمسكنة والضراعة والخشية والإلحاح، فقد اتخذوا الأصنام ولصقوا بها أشد اللصوق حتى حلت من قلوبهم أرفع مكان، وأقاموا شئونهم على توثيق الصلات بها وبهياكلها.

ففي الجاهلية الأولى بما سموا لإبراهيم وإسماعيل وكبش الفداء واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى من صور وتماثيل يطوفون بها، وعليها يعكفون، وفي الجاهلية الثانية بما سموا وأقاموا لرسول الله ﷺ ولخديجة وميمونة وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم من قباب ومقاصير وما نصبوا عندها من أنصاب هي بعينها ما كان للجاهلية الأولى، ولا يؤثر شيئًا اختلاف الأسماء فالأهواء هي

الأهواء والدعاء هو الدعاء والعقيدة هي العقيدة:

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٣].

فأعرضوا عن العلم والهدى، واتبعوا الأهواء والظنون الكاذبة، فأولى ثم أولى بعد ذلك، أن يضيعوا الصلاة، وأن يقلبوا دعوة إبراهيم بها رأسًا على عقب، وأن يجعلوا البيت الحرام متجرًا أو سلعة ومغنمًا، وأن لا يكون لهم من مجاورة هذا البيت وسكنى هذا الوادي إلا التلهف أشد اللهفة على الغنائم والسلع، كشأن قريش سواءً بسواء، ولم يبق مؤمنًا بدعوة إبراهيم على وجهها الصحيح إلا النذر القليل الذي نسأل الله أن يبارك فيهم وينجيهم ويشد من أزرهم على يد أهل التوحيد ليصبح هذا القليل هو الكثير الغالب، فتعود مكة منار الإسلام يهتدي به الضالون ويقتبس من مشكاته الحائرون(١).

***

إنكار البدع والمحدثات:

كان الشيخ محمد حامد الفقي رَحِمَهُ اللهُ يحرص من خلال تفسيره على إنكار البدع والمحدثات المنتشرة في عصره وخاصة ما يمس منها عقيدة التوحيد، فمن أمثلة ذلك عنه تفسيره للآية ١١ من سورة إبراهيم وهي قوله تعالى:

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

---

(١) تفسير سورة إبراهيم – للشيخ محمد حامد الفقي – ط مركز التراث – المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية – القاهرة – ص٢٠٩، ٢١٠.

ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [إبراهيم: ١١].

قال الشيخ الفقي رحمه الله : وجواب المرسلين بهذا يفضح أعداء الله ورسوله الذين يفترون الكذب ويردون صريح القرآن ويروجون دسيسة اليهود : أن محمدًا ﷺ قبضة النور التي خلق منها الخلق، وأنه نور عرش الله، وأنه لأجله خلق الله السماوات والأرض وغير ذلك من الإفك المبين، والقرآن يصرح بأنه ﷺ وإخوانه المرسلين بشر كسائر البشر في جميع الأحوال البشرية..

ولم يكتفوا بهذا بل أخذوا يصنعون من الأحاديث التي تؤيد باطلهم وينسبونها إلى رسول الله ﷺ زورًا وبهتانًا، ولكن الله حفظ كتابه القرآن وسنة رسوله ﷺ في صحيحي البخاري ومسلم وما جرى مجراهما في التثبت والتحري لتبقى حجة الله قائمة إلى يوم القيامة.

ولقد بلغ بالناس الجهل والضلال أن زعموا أن تنزيه رسول الله ﷺ عن هذا الإفك والباطل تنقيص لقدر رسول الله ﷺ، وحاشا رسول الله ﷺ أن يكون بحاجة إلى هذه الأباطيل، وحاشا ورثته الذي امتزج حبه بكل ذرة من قلوبهم، وامتزج حب دينه وسنته بكل ذرة من أرواحهم.. أن يكفوا عن دعوتهم الحقة وعن محاربة هذه الخرافات، خوفًا من تشنيع اليهود ومقلديهم، بل ولا خوفًا من الموت للذود عن الحق والإيمان الذي جاء به رسول الله ﷺ(١).

فضائح الصوفية :

وفي تفسير قوله – سبحانه وتعالى من سورة الإسراء :

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ

(١) تفسير سورة إبراهيم – الشيخ حامد الفقي – ط. مركز التراث – أنصار السنة – ص٤٥.

لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

[الإسراء: ٩، ١٠].

ينكر الشيخ الفقي – رحمه الله تعالى – على جماعات الصوفية في كل زمان ومكان هذه المعتقدات الخاطئة التي هم عليها، والتي تمنعهم من الاستهداء بكتاب الله عز وجل، فقد حولتهم هذه العقيدة الباطلة من طاعة الله عز وجل إلى طاعة شيوخهم وأوليائهم، بل جعلتهم يعبدون هؤلاء الشيوخ والأولياء من دون الله تعالى، ولننقل لك بعض هذه الفضائح لتلمس بنفسك صحة هذا الكلام.

يقول الشيخ حامد في تفسير هذه الآيات : وكم تسمع منهم وتقرأ من مناقب أوليائهم وكراماتهم: هذا القطب الذي جاء بالأسرى من بلاد الكفر بحديدهم، وها هم يسيرون في موكب المولد في ركب الخليفة، وهذا الذي ضمن له النبي أن يموت كل من حضر مولده – مهما أتى من فاحشة ومنكر – على توبة نصوح.

وهذا الذي حمل أمه وهو رضيع على صدرها فطاف بها السماوات والأرض وأطلعها على الجنة والنار، وقال : إني قادر على أن أطفئ النار... وهذا الذي لجأت إلى قبره امرأة خطف التمساح رضيعها وذهب به في أعماق النيل البعيدة فأخرج لها ولدها من بطن التمساح حيًا، وجاءها به وما كادت تفرغ من شكواها حتى وجدته بين يديها بجوار النصب (المقصورة).

وهذه الولية التي ترؤس ديوان الأولياء الذين يدبرون أمر الناس والخلق وصاحبة الشورى التي لا يبرم أمر في السماوات والأرض إلا بمشورتها(١).

ثم استمر الشيخ يذكر هذه الفضائح والتي يأخذها كثير من المسلمين

---

(١) تفسير سورة الإسراء – للشيخ محمد حامد الفقي، وعبد الرحمن الوكيل – ط. مركز التراث بالمركز العام لأنصار السنة – القاهرة – ص٧٨.

معتقدات مسلمة لا تناقش، ولعل السبب في ذلك كما قال :

فأما الكرامات الفردية - من قضاء الحاجات وتفريج الكربات وشفاء المرضى، وإحبال العقيم، وإهلاك حرث ونسل من لم يف بالنذر، ونفخ بطن، وقصم ظهر من اعترض، أو من حلف بالله صادقًا، وحلف بالولي كاذبًا – فذلك لا يحصيه العد، وكل كتبهم، وبالأخص كتب عبد الوهاب الشعراني، بحار تموج بهذا الإفك والرجس الأثيم(١).

وينقل الشيخ حامد من كتاب «لوائح الأنوار القدسية في العهود المحمدية» لعبد الوهاب الشعراني :

... وذكر الشعراني : أنه سمع كلام السمك في البحار المحيطة، ثم ذكر حكاية عن سيده يوسف الحريثي ملخصها: أن مجلس الأقطاب عقد خلف مقام إبراهيم بالحرم، ثم ولي مكان من مات من الأوتاد واحدًا آخر اسمه حسن الخلبوص – والخلبوص الذي يتخذه الناس سخرية ويضحكون منه – وأن سيده يوسف لما رجع من الحج ذهب يبحث عن هذا الولي العظيم فوجده في محل المومسات وقد ركبته عاهرة وأخذت تضربه على قفاه... ثم ذكر أن أولياءهم إنما يكونون من ذوي المنزلة الحقيرة السافلة في المجتمع، كصبيان الحواة والقرداتية والحشاشين ومن إليهم، وذكر دليلًا على ذلك: أن سيده محمد بن هارون – الذي كان يعلم ما في أصلاب الرجال لأنه أخبر بسيده إبراهيم الدسوقي وهو في ظهر أبيه – أنه اعترض على طفل كان يفلي ثوبه مادًا رجليه في طريق الشيخ، لأنه لم يلتفت إلى الشيخ ولم يقبض رجليه والناس جميعًا يقومون له ويقبلون يديه. فسلبه هذا

---

(١) المصدر السابق – ص٧٩.

الصبي إيمانه وعلمه. فرجع يستغفر الصبي فلم يجده. ثم ذهب يبحث عنه مطوفًا بالبلاد البعيدة – من الإسكندرية إلى القاهرة – حتى وجده في الرميلة – ميدان قرب ميدان بالمنشية – مع أستاذه القرداتي، فمازال يرجوه حتى قال له : اذهب إلى الموضع الذي كنت أفلى ثوبي فيه. وناد: يا فلانة، تخرج لك سحلية من الشق فتقول لها: بأمارة ما وضع لك قريمزار لباب الخبز على باب الشق ردي لي حالي. ففعل، فنفخت في الشيخ وردت إليه إيمانه وعلمه.

ثم حكى: أن الشيخ سراج الدين البلقيني - الإمام الجليل – اعترض على حشاش كان يبيع الحشيش في باب اللوق، فسلبه إيمانه وعلمه، حتى الفاتحة. وبقي ثلاثة أيام لا يعرف شيئًا، حتى جاء فقير وقال له : اذهب واستغفر الحشاش، فاشترط عليه الحشاش أن يذبح أربعة خراف سمينة ويشويها ويأتي بأربعمائة رغيف، ويجلس بجوار بائع الحشيش وكلما باع قطعة حشيش أعطى المشتري رطلًا ورغيفًا، فلما فرغ من توزيع اللحم والخبز قال له الحشاش: اذهب إلى سطح مدرستك تجد ديكًا اذبحه وخذ قلبه، فقد وضعنا علمك فيه. ففعل الشيخ، فعاد إليه إيمانه وعلمه، وتاب من الاعتراض على الحشاشين.

وحكى حكايات أخرى من هذا اللون البديع، ثم قال : وما أشنع وأرجس وأفظع ما قال - إن الله أعطى أرباب الأحوال في هذه الدار : التقديم والتأخير – والولاية والعزل، والقهر والتحكم على الله، الذي هو الادلال عليه، ونفوذ الأمر في كل ما أرادوه فإياكم والإنكار على أحد منهم. (ج١ ص٩٣ – ٩٧).

هذا، وأنت تعرف يا أخي منزلة عبد الوهاب الشعراني، ومنزلة كتبه، ومنزلة سلفه وخلفه، في قلوب أكثر الناس، وأنهم يدينون بكل ما يقولون، ويوحون من هذا الإفك الذي قتل الإنسانية ومقوماتها – من العقل والفكر والتمييز – فأصبحوا كما

قال الله، ومن أصدق من الله قيلًا : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾

[الأعراف: ١٧٩].

وقال : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٤] (١).

***

(١) المصدر السابق – ص٨٠ – ٨٢ باختصار.

المبحث الثامن

الإسرائيليات

ولقد كان الشيخ حامد الفقى بعيدًا عن الأخذ بالإسرائيليات، وهو فى ذلك قد شابه سلفيه الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا فى التحذير من الإسرائيليات وعدم التأثر بها ففى تفسير قوله تعالى من سورة البقرة ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨].

يقول الشيخ حامد: خطاب من الله سبحانه وتعالى إلى الحاضرين ذلك الخطاب، وهم آدم وحواء وإبليس، وفى الإسرائيليات التى اعتمد عليها بعض المفسرين، أن الحية كانت ممن خوطب بهذا الخطاب -كما ذكر ابن جرير عن أبي صالح- بناء على القول بأن إبليس إنما وصل إلى آدم وزوجه من طريقها وبسبب دخوله في جوفها، ولا نعتمد هذا القول ولا نعني به، والحمد لله، لأننا طارحون كل الإسرائيليات وراء ظهورنا، وغير معتمدين إلا على النصوص الصحيحة الثابتة عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ فقط، لما أننا نوقن -إن شاء الله- أن تلك الإسرائيليات إن لم يكن فيها شر وفساد في العقائد فلا خير فيها، ولا حاجة في تفسير القرآن وتفصيل أحكامه إلى شيء منها بحمد الله تعالى، وليس الشيطان بطبيعته ومادة خلقه، بحاجة إلى حية ولا إلى غيرها، لتخفيه عن الله تعالى، فيستطيع بدخوله في جوفها أن يدخل الجنة خفية على الله، فإن الله لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء(١).

---

(١) مجلة الهدي النبوي -العدد ٣٢ - ١٥ شوال سنة ١٣٥٨ - الجزء الثامن من السنة الثالثة ص ٨.

ثم يوضح الشيخ الفقي بالأدلة أن الشيطان لا يحتاج في وسوسته لآدم وبنيه إلى ما جاء في تلك الإسرائيليات فيقول مثلًا في تفسير نفس الآيات:

ولقد جاء في صحيح البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم من العروق»، وفي القرآن الكريم: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وفيه: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الإسراء: ٦٤]، وذلك وغيره يدل على أن الله سبحانه -وله الحمد على كل حال- قد خلق الشيطان وجعله بحالة يتمكن بها من الدخول إلى قلب الإنسان ونفسه من كل باب، ويصل إليه من كل طريق ﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٧] ابتلاء من الله العليم الحكيم، وفتنه منه له به ليعلم الصادقين من عباده من الكاذبين، وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إن الشيطان يخطر بين العبد وقلبه في الصلاة يقول: اذكر كذا اذكر كذا؛ لما لم يكن يذكر». [متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الأذان، ومسلم في كتاب الصلاة].

فلئن تيسر عليك فهم خطورة الشيطان في قلبك وأنت تصلي في بيت الله، بل وفي البيت الحرام، بل وفي جوف الكعبة، وأنت قائم بين يدي ربك تناجيه وتكلمه بأفضل الذكر وخير الكلام؛ فإنه يسهل عليك كذلك أن تفهم وسوسة إبليس لآدم وزوجه وهما في الجنة، بدون حاجة منك إلى تلك الإسرائيليات، وبدون حاجة إلى إدخال الشيطان في جوف تلك الحية أو غيرها مع هذه الوسوسة[1].

وبمناسبة ذكر الحيات يلفت الشيخ حامد نظرنا إلى التدبر في خلق الله، وأن هذه المخلوقات لها منافع أيضًا، فليست كلها مضار...، وينصحنا بالرجوع إلى كتاب الحيوان للجاحظ مثلًا لنعرف منه هذه الأمور فيقول: هذا وللحية ولغيرها

---

(١) مجلة الهدي النبوي -العدد السابق- ص ٨، ٩.

من الحشرات أمثالها ودونها حكم ومنافع خلقها الله تعالى لها: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ [الدخان: ٣٨].

وقد ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان بعض تلك الحكم والفوائد، فارجع إليه إن شئت؛ لتكون على بصيرة وعلم من حكم الله البالغة وبديع صنعه سبحانه في خلقه وآياته(١).

أما ابن جرير الطبري في تفسيره فقد ذكر خبر دخول إبليس الجنة في جوف الحية فيما يزيد عن اثنتي عشرة صفحة ولم يعترض عليه، وذلك في تفسير الآية ٣٦ من سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾.

وكذلك الآية ٣٨ من سورة البقرة: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٢).

وكذلك في تفسير ابن كثير عند هذا الموضع أحالنا على تفسير سورة الأعراف عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأعراف: ٢٤].

فقال ابن كثير: قيل المراد بالخطاب في ﴿ ٱهْبِطُوا۟ ﴾ آدم وحواء وإبليس والحية ومنهم من لم يذكر الحية والله أعلم، والعمدة في العداوة آدم وإبليس، ولهذا قال تعالى في سورة طه: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ [طه: ١٢٣].

وحواء تبع لآدم والحية إن كان ذكرها صحيحًا فهي تبع لإبليس(٣).

---

(١) مجلة الهدي النبوي –العدد السابق– ص ٩.

(٢) انظر تفسير الطبري –ط. دار المعارف بمصر ص ٥٢٥– ٥٣٨.

(٣) تفسير ابن كثير– ط. دار الفكر– بيروت –جـ٢– ص ٢٠٧.

هذا مع ما تحمله هذه القصة من فساد في العقيدة فإن الله سبحانه وتعالى بصير وعليم بكل شيء لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وقد لعن إبليس وأبعده عن رحمته بعد رفضه السجود لآدم كما أمره الله عز وجل فكيف يتخفى داخل الحية ليدخل الجنة، ولكن هذا شأن الإسرائيليات في إفساد العقيدة الإسلامية، وقد نبهنا الشيخ حامد الفقي إلى ذلك فجزاه الله عنا خير الجزاء.

وفي تفسير القرطبي في نفس الآية ٣٦ من سورة البقرة ذكر قصة الحية ولم يعلق عليها بأي تعليق(١).

وفي تفسير النسفي قال: وروي أنه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به(٢)، ولم يعقب عليها بأي تعقيب.

وفي تفسير الزمخشري (الكشاف) قال: وروي أنه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون(٣).

ولا تعليق أيضًا.

أما في تفسير المنار للشيخ رشيد رضا فقد كتب بحثًا حول هذه الإسرائيليات الواردة في قصة آدم وغيرها والتي فتن كثير من المفسرين بنقلها، كقصة الحية ودخول إبليس فيها وما جرى بينها وبين حواء من الحوار، ونقل ملخص ما ورد في سفر التكوين في الفصل الثالث منه من أن الحية كانت أحيل حيوان البرية وأنها قالت لحواء: إنها هي وزوجها لا يموتان إذا أكلا من الشجرة، وأن حواء أكلت من الشجرة وأطعمت زوجها، فأكل، فانفتحت أعينهما، وعلما أنهما عريانان فخاطا

---

(١) تفسير القرطبي -ط. دار الشام للتراث- بيروت- جـ١- ص ٣١٢، ٣١٣.

(٢) تفسير النسفي- ط. الكليات الأزهرية- جـ١- ص ٤٣.

(٣) تفسير الكشاف -للزمخشري- ط. دار المعرفة- بيروت جـ١ ص ٦٣.

لأنفسهما مئزرين من ورق التين (فسمعا صوت الرب الإله وهو متمش في الجنة) فاختبأا من وجهه بين الشجر، فنادى الرب آدم، فاعتذر بتواريه عنه لأنه عريان، فسأله من أعلمه أنه عريان، وهل أكل من الشجرة؟ فاعتذر بأن امرأته أطعمته وسأل الرب المرأة فاعتذرت بإغواء الحية لها (١٤- فقال الرب الإله للحية: إذا صنعت هذا فأنت ملعونة من بين جميع البهائم وجميع وحوش البرية، على صدرك تمشين وترابًا تأكلين طول أيام حياتك)، ويعلق على هذه الجملة فيقول: والواقع أنها لا تأكل ترابًا البتة وإنما تأكل من الحشرات وسائر ما تقدر على ابتلاعه من الحيوان وكذا البيض.

(١٥- واجعل عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها فهو يسحق رأسك وأنت ترصدين عقبه، وقال للمرأة: إنه يكثر مشقات حملها وآلام ولادتها وأنها تنقاد إلى بعلها وهو يسودها، وقال لآدم: إن الأرض ملعونة بسببه، وإنه بمشقة يأكل طول أيام حياته وبعرق وجهه يأكل خبزًا حتى يعود إلى التراب الذي أخذ منه، ثم قال الرب: ٢٢ هو ذا آدم قد صار كواحد منها يعرف الخير والشر، والآن لعله يمد يده فيأخذ من شجرة الحياة أيضًا ويأكل فيحيا إلى الدهر. ٢٣- فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليحرث الأرض التي أخذ منها) ثم يقول الشيخ رشيد: وفي هذه القصة من الإشكالات ما ترى وليس فيما ورد في القرآن شيء مشكل فيها[١].

ثم يأتي الشيخ رشيد رضا بأقوال النصارى أيضًا في هذه القصة فيقول ملخصًا ما جاء في كتبهم: وقد صرح النصارى منهم بأن إبليس دخل في الحية وتوسل بها

---

(١) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، جـ٨، ص ٣١٤.

إلى إغواء حواء، ونقل عنهم المسلمون ما نقلوا في ذلك، ونحن لا نعتمد بما يخالف ما في القرآن وصحيح ما في السنة من ذلك.

إذا علمتَ هذا فلا يغرنك شيء مما روي في التفسير المأثور في تفصيل القصة فأكثره لا يصح، وهو أيضًا مأخوذ من تلك الإسرائيليات المأخوذة عن زنادقة اليهود الذين دخلوا في الإسلام للكيد له وكذا الذين لم يدخلوا فيه... فصار يعسر تمييز المخالف من الموافق إلا على أساطين العلماء الواسعي الاطلاع على ألسنة الذين يفهمونها ويفهمون القرآن حق الفهم، وكلما قل هؤلاء في الأمة كثر الذين يأخذون كل ما ذكر في كتب التفسير والتاريخ والمواعظ من الإسرائيليات بالتسليم، مع أن النبي ﷺ قال: «لا تصدقوهم ولا تكذبوهم»(١) ذلك بأنهم قد حرفوا، وزادوا ونقصوا كما قال الله تعالى فيهم إنهم أوتوا نصيبًا من الكتاب ونسوا حظًّا مما ذكروا به فلا نصدق رواياتهم لئلا تكون مما حرفوه أو زادوه، ولا نكذبها لئلا تكون مما أوتوه فحفظوه(٢).

وهكذا نرى أن تفسير المنار للشيخ رشيد رضا هو أول من حذر من هذه الإسرائيليات في هذه القصة وأمثالها وكل التفاسير التي سبقته لم يرد فيها هذا التحذير، وقد تبعه الشيخ حامد الفقي على هذا المنهج.

* * *

(١) رواه البخاري في كتاب الشهادات وغيره.

(٢) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا، ط. دار الكتب العلمية بيروت، ج٨، ص٣١٥.

المبحث التاسع

الوحدة الموضوعية

وكثيرًا ما كان الشيخ حامد يلفت النظر في تفسيره إلى الوحدة الموضوعية في السورة، أو في بعض أجزائها، ويبين الترابط بين الآيات والتتابع الذي يحقق الموضوع الواحد، ومثال ذلك في تفسيره لسورة الحجر الآيات (٢٦، ٢٧).

وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦) وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الحجر: ٢٦، ٢٧]، فقال عليه رحمة الله:

بعد أن هدد ربنا – العليم الحكيم الرحمن سبحانه – الكافرين وتوعدهم عاقبة ما هم عليه من الغرور بدين التقليد الأعمى للآباء والشيوخ، وأنهم سيودون أن لو كانوا مسلمين إسلام الخضوع والذل والطاعة بعبادة الله وحده، وعبادته بما شرع، لا بما تهوى أنفسهم ولا بما ابتدع لهم شيوخهم، ولا بما ورثوا من تقاليد الآباء وعاداتهم، وأنهم إنما قتلوا وشقوا بدين البدع والأهواء، ودين الشيوخ والآباء، فأماتوا إنسانيتهم العاقلة الكريمة، فهم إنما يحيون ويعيشون عيشة الأنعام، وانذرهم عقابه هذه الحياة البهيمية، وتهددهم أشد التهديد بقوله: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٣]، ثم ذكرهم بما يكشف عن بصائرهم أغشية الغفلة والغرور – لو عقلوا – وهو أن ترك الله لهم في هذه الحياة البهيمية الكافرة وإمدادهم بالمال والبنين، ليس عن رضاه عنهم، ولا عن عجز من أخذهم بالعذاب الواصب، ولكنها سنته في أحوال الأمم التي كتب بها كتابًا معلومًا لا يستقدمون عنه ولا يستأخرون، ثم ضرب لهم المثل في الغرور بالأماني الكاذبة، والانخداع بالتقاليد الكافرة التي دفعهم الحرص عليها والاستمساك بها عن الهدى الذي جاءهم به النبي الذي يعرفون صدقه وأمانته،

ورميهم إياه بالجنون... [١].

وهكذا يمضي الشيخ حامد في بيان وحدة موضوع الآيات من أول السورة إلى الموضع الذي يفسره، وخلال هذا البيان يربط الآيات بتوحيد الله سبحانه وتعالى ويتخذ الصوفية دائمًا مثالًا للخروج عن منهج التوحيد الصحيح، في صورة التعبيرات المنتشرة بينهم، ومنها تتضح أخطاؤهم في موضوع توحيد الله مثل:

- «شيخك جاسوس قلبك».
- «كن بين يديه كالميت بين يدي الغاسل».
- «لا يفلح المريد إلا إذا أعطى شيخه الثقة والطاعة العمياء ؛ لا يسأله كيف؟ ولا: لِمَ»، «شيخك ضمن لمريديه ومحبيه الجنة».
- «من رأى الشيخ يوم كذا كتبت له وثيقة بالنجاة من النار».
- «الأولياء كسفينة نوح من تعلق بهم نجا ولابد».
- «ليست الولاية بالعلم ولا بالعمل».
- «للأولياء التصرف المطلق في شئون الدنيا».
- «قل مائة مرة أو ألف مرة: الله الله، تدخل الجنة».
- «الأمة الفلانية مضمون لها الجنة بشفاعة نبيها».

وغير ذلك مما يوحي به شياطين الجن إلى أوليائهم من شياطين الإنس الصوفية من السموم التي قتلت العقول، وأماتت فيهم الإنسانية المفكرة، فكانوا صُمًا وبُكمًا وعميانًا، لا يرون ولا يسمعون ولا يقولون إلا ما يوحى إليهم الشيوخ[٢].

---

(١) تفسير القرآن الحكيم - سورة الحجر - للشيخ محمد حامد الفقي - ط - مركز التراث والبحث العلمي - جمعية أنصار السنة - ص١١٦.

(٢) المصدر السابق - ص١١٧.

التفسير الموضوعي:

وكان الشيخ حامد يفسر أحيانًا بعض الكلمات أو الموضوعات تفسيرًا موضوعيًّا بمعنى أنه يجمع كل ما ورد عن هذا الموضوع في القرآن، وكمثال لذلك عندما تكلم عن الآية: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]، فتكلم عن الدعاء وعن الخير بما يسمى تفسيرًا موضوعيًّا، فقد جمع المعاني المختلفة لهاتين الكلمتين من خلال آيات القرآن في جميع المواضع وكذلك المعاني اللغوية المختلفة لهاتين الكلمتين فالدعاء بمعنى الطلب باللسان وبالجوارح وبمعنى الجعل، وتستعمل في الخير والشر... إلخ.

وكذلك الخير بمعنى ما يكون ضد الشر وبمعنى الحكمة وبمعنى ما يقابل الضر والسوء وبمعنى ما يمنع الفضائل وبمعنى البذل الذي هو ضد البخل، وجاء اسمًا لما يستفاد من الغنيمة واسمًا للخيل المعدة للمجاهدين في سبيل الله، وجاء اسمًا عامًا شاملًا لكل نافع وصالح وطيب... إلخ[1].

ولا أزعم أنه كان يفعل ذلك في التفسير كله، وإلا لطال التفسير جدًّا، ولكنه كان يلجأ إليه أحيانًا، مما يدل على أنه أيضًا من منهجه.

ولنرجع إلى كتاب التفسير الموضوعي لأستاذنا الدكتور محمد نبيل غنايم لمعرفة معنى التفسير الموضوعي والفرق بينه وبين الوحدة الموضوعية، فهو كتاب متخصص في هذا الباب خشية الإطالة[2].

---

(١) تفسير سورة الإسراء – للشيخ حامد الفقي، والشيخ عبد الرحمن الوكيل، ط. مركز التراث– بالمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية – القاهرة – ص٨٥ – ٩٥.

(٢) انظر كتاب: بحوث ونماذج من التفسير الموضوعي – د. محمد نبيل غنايم – ط. دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة.

المبحث العاشر

الاجتهاد وترك التقليد

وفي تفسير قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[البقرة: ٤٢]. يقول الشيخ محمد حامد الفقي – رحمه الله -: وليس في الرجوع إلى الكتاب والسنة وتحكيمها أي اعتراض على الأئمة، بل فيه تعظيمهم لأنهم كانوا على ذلك، وكانوا يشددون الدعوة إليه لكل من استطاع واستكمل العدة لذلك، والنكير على تقليدهم وتقليد أحدٍ في دين الله كما هو ثابت من النصوص الصحيحة عنهم جميعًا، رضي الله عنهم.

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ثم ينقل كلامًا قيمًا للإمام ابن رجب رحمه الله يدل على سعة اطلاعه على أقوال العلماء في جميع الموضوعات التي يتكلم فيها فيقول: قال الإمام ابن رجب رحمه الله: فأما مخالفة بعض أوامر الرسول ﷺ خطأ من غير عمد، مع الاجتهاد على متابعته، فهذا يقع كثيرًا من أعيان الأمة من علمائها وصلحائها ولا إثم فيه، بل صاحبه إذا اجتهد فله أجر على اجتهاده، وخطؤه موضوع عنه. ومع هذا فلا يمنع ذلك من علم أمر الرسول ﷺ الذي خالفه هذا أن يبين للأمة أن هذا مخالف لأمر الرسول ، نصيحة لله ولرسوله ولعامة المسلمين، ولا يمنع ذلك من عظمة من خالف أمره خطأً، وهب أن المخالف عظيم، له قدره وجلاله، وهو محبوب للمؤمنين، إلا أن حق الرسول مقدم على حقه وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فالواجب على كل من بلغه أمر الرسول ﷺ وعرفه أن يبينه للأمة وينصح لهم ويأمرهم باتباعه، وإن خالف ذلك رأى عظيم من الأمة؛ فإن أمر الرسول ﷺ أحق أن يعظم ويقتدى به من رأى معظم

قد خالف أمره في بعض الأشياء خطأً. إلى أن قال : بل ذلك المخالف المغفور له لا يكره أن يخالف أمره إذا ظهر أمر رسول الله ﷺ بخلافه، بل يرضى بمخالفة أمره ومتابعة أمر الرسول، كما أوصى الشافعي رحمه الله: إذا صح الحديث في خلاف قوله أن يتبع الحديث ويترك قوله[1]، [2].

وعن منهجه في عدم كتمان الحق يقول عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٤٢]:

وكان كتمانهم هذا جريمة أعظم جريمة، وخيانة أعظم خيانة، وما عم الناس ويعمهم من الفساد والشرور، ويقع بهم من أنواع البلاء والمحن إلا بسبب كتمان الحق وعدم بيانه أمرًا ونهيًا، وإنكارًا للمنكر، وأمرًا بالمعروف وإقامة الدين، لكن الخوف والجبن والجهل وحب الدنيا قامت عقبات، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٤].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩].

---

(١) مجلة الهدي النبوي – العدد ٣٥ – أول ذي الحجة سنة ١٣٥٨ الجزء الحادي عشر من السنة الثالثة ص٦، ٧.

(٢) وكلام ابن رجب الحنبلي من رسالة الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ بعثت بالسيف بين يدي الساعة – مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي – ط. الفاروق الحديثة للطباعة والنشر– ط٢ – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، ص٢٤٤، ٢٤٥ .

نسأل الله أن يجعلنا من القائلين بالحق، الداعين إلى الحق، الناصرين للحق، الصابرين على ما يصيبنا في سبيل الحق، ويملأ قلوبنا من خوفه سبحانه وحده وخشيته لا خوف الناس وخشيتهم[1].

يقول في مقدمة تفسير القرآن في العدد الثالث من مجلة الهدي النبوي وهو عدد جمادى الثانية سنة ١٣٥٦: والقرآن لم ينزله الله ليكون تابعًا لمذهب أو رأى فلان في الأصول ولا في الفروع، وإنما أنزله مهيمنًا على كل كتاب سبق نزوله من عند الله، وعلى كل كتاب يحدثه أحد من الناس بعد القرآن.

فالقرآن حاكم غير محكوم عليه، والقرآن حجة ولا حجة عليه، والقرآن إمام ولا إمام قبله، بل كل أحد فيجب أن يكون مؤتمًّا بالقرآن في قوله وهديه وعمله.

فإذا ما عكست الحقائق وقلبت الأوضاع وجعلت القرآن تابعًا لمذهبك، فلا مناص لك من أن تحرفه أو تؤوله تأويلًا هو إلى التحريف أقرب منه إلى التفسير، وقد جنى كثير من أتباع المذاهب الكلامية والفروعية على هذا القرآن والسنة أعظم جناية، بمحاولتهم لتلك الأغراض الفاسدة؛ إذ حكمت عليهم قواعدهم التي زعموها حقائق ثابتة، وبراهين قطعية، بأن يردوا كثيرًا من آيات القرآن، أو يعزلوها عن وظيفتها العربية من الفهم والإفهام، والدلالة على المعنى الذي أنزلها الله دالة عليه، وجر تحريفهم هذا -الذي زعموه تفسيرًا- إلى بلاء عظيم وفساد في الأئمة كبير، وصدق الله إذ قال: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦].

سلك الشيخ حامد سبيل سابقيه في الدعوة إلى الاجتهاد وترك التقليد وحمل

---

(١) مجلة الهدي النبوي – العدد ٣٥- أول ذي الحجة سنة ١٣٥٨هـ- الجزء الحادي عشر من السنة الثالثة- ص٧، ٨.

على المقلدة حملة شديدة فنجده يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢].

ومن الناس من يكون عنده استعداد فطري، وتهيؤ طبيعي؛ وتوجه باطني، يدفعه دائمًا إلى تعرف أسباب الخير والفلاح، فيتخذها سبيلًا لوقاية نفسه، وتعرف جالبات الشقاء فيتجنبها جهد استطاعته، وصاحب هذا الاستعداد ينتفع بهداية القرآن في تحديد أسباب الخير والفلاح تحديدًا دقيقًا، والكشف عن أسباب الشقاء كشفًا يجلوها عن كل لبس وزخرف، فيكون القرآن له سراجًا منيرًا، ويكون القرآن له هاديًا وإمامًا يقوده إلى كل خير؛ ويباعده عن كل شر، في نفسه وعقله وروحه وجسمه؛ ودنياه وآخرته. ومن الناس من هو جامد الطبع؛ خامل النفس، ميت الفكر، لا يعني بتعرف أسباب الهدى بنفسه، ويرى أنه أصغر وأقل من أن يصل إلى ذلك بنفسه، فهو (إمعة) يقلد غيره تقليدًا أعمى، ويضع نفسه موضع البهائم التي تقاد من أعناقها، فأولئك الذين يقولون ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]، وأولئك الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] وأولئك هم الذين يجمدون بالتقليد الأعمى على ما ورثوا عن الآباء، وما وجدوا عليه الشيوخ والجمهور وأكثر الناس؛ وأولئك هم الذين يقولون الآن وغير الآن (حطها في رقبة عالم واطلع سالم) وهم الذين يقولون (كن بين يدي شيخك كالميت بين يدي المغسل) والذين يقولون: (شيخك جاسوس قلبك)...(١).

ويرد في أسلوب شيق على المقلدة في موضوعات فقهية أخذوها عن غيرهم

---

(١) مجلة الهدي النبوي – العدد السابق – شوال ١٣٥٦ – السنة الأولى ص٢، ٣ .

بدون دليل، مثل موضوع قضاء الفوائت كالذي يقضي الصلاة المفروضة التي لم يصلها لعدة أعوام سابقة، أو الذي كان في ضلال فلم يصل الصلوات المفروضة ثم هداه الله تعالى فأصبح محافظًا على الصلاة فيظل يقضي الصلوات التي فاتته في عمره كله قبل ذلك فيقول عن هؤلاء: فكيف يتصور متصور أن رجلًا أضاع صلاة الأمس وحرم قلبه من هذا الاغتسال وحرم نفسه من هذا الغذاء، لا غذاء لها سواه، وقطع عن القلب مادة حياته من ذكر الله وتراكم عليه من الظلم ماران عليه بما كسب - كيف يستطيع أن يصليها اليوم، بل كيف يستطيع أن يقضي صلاة العام الفائت في هذا العام وهكذا؟ إن من يقول هذا ويتصوره لم يعرف حقيقة الصلاة، ولم يقدر قدر الصلاة(١).

ثم يقول في نفس المقالة:

ألا إنه لا دين، لا إيمان، لا إسلام، لا فقه، لا توحيد، لا أصول، لا فروع، لا عبادات، لا طهارات، لا أحكام، لا أخلاق، لا آداب، لا صلاح، لا إصلاح، لا شيء من كل ذلك إلا من منبع قال الله وقال الرسول ﷺ، ومن طلب شيئًا من ذلك من غير قال الله وقال الرسول، فطلبه ضائع، وسعيه في تباب، ومن ظن أن كتابًا أو كتبًا تغني في التوحيد أو في الفروع أو في الأحكام عن قال الله وقال الرسول، فقد ضل كل الضلال، وإن زعم أنه خير المهتدين، فهو من أجهل الجاهلين وأخسر الخاسرين(٢).

***

(١) مجلة الهدي النبوي - السنة الأولى - ربيع الأول ١٣٥٧ - العدد ١٢ - ص٨ .

(٢) المصدر السابق - ص٩ .

ذم التقليد عند الفقي :

ونراه يربط بين الآيات القرآنية وبين الواقع، فيأخذ من الآيات التي قيلت في بني إسرائيل – مثل الآية ٩١ من سورة البقرة – يأخذ منها ذم التقليد والعصبية للمذاهب، فربنا تبارك وتعالى يقول :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩١].

فاليهود كانوا إذا دعوا للإيمان بما أنزل الله تعالى على رسوله محمد ﷺ قالوا : لا نستطيع أن نترك ما أنزله الله علينا ونؤمن بغيره، ففيما أنزل علينا من التوراة كفاية لنا، مع أنهم كفروا قبل ذلك بجميع الأنبياء الذين أرسلهم الله إليهم، بل قتلوهم أو حاولوا قتلهم، ولقد جاءهم موسى عليه السلام بالحجج الواضحة والآيات البينات في التوراة، وفي الواقع تأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له فتركوها وعبدوا العجل الذي صنعوه بأيديهم بمجرد ترك موسى عليه السلام لهم وذهابه لميقات ربه عز وجل(١).

يقارن الشيخ حامد – رحمه الله – بين هذا الموقف وبين موقف المسلمين المقلدين لشيوخهم فقط مع نبذ الكتاب والسنة جانبًا، فيقول :

ولقد خلف خلف اتبعوا سنن أولئك الذين ذمهم الله في كتابه، وفرقوا دينهم شيعًا ومذاهب، كل واحد يقول: لا آخذ إلا بما في كتب مذهبي وما اختارته شيعتي وأهل طريقتي؛ لأن مذهبي حق لا يحتمل الخطأ، ومذهب غيري حق يحتمل

---

(١) مجلة الهدى النبوي – العددان ٨، ٩ – أول جمادى الأولى – عام ١٣٦٠هـ – السنة الخامسة – ص٦.

الخطأ، وتجارى بهم ذلك حتى ردوا لأجله ما أنزل الله من الكتاب والحكمة وقالوا: هذه الآية لمذهب فلان وليست على مذهبنا، وهذا الحديث أخذ به فلان ولم يأخذ به إمامنا. وتجارى بهم سلطان الهوى إلى العصبية الجاهلية التي أفضت في بعض البلاد والأزمنة إلى إراقة الدماء وقتل النفس التي حرم الله قتلها، فضلًا عن التكفير والتضليل.

ولا حول ولا قوة إلا بالله[1].

وينقل من كتاب إيقاظ همم أولي الأبصار للشيخ صالح الفلاني[2] ما يؤيد هذا الرأي فيقول: قال الشيخ صالح الفلاني بعد أن ساق كلام كثير من علماء السلف والأئمة في ذم التقليد والعصبية للمذاهب: قد فهمنا من كلام هؤلاء الأئمة أن كل من قلد واحدًا من العلماء المجتهدين في نازلة من النوازل بعد ظهور كون رأى ذلك الإمام مخالفًا لنص كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس جلي – عند القائل به – وعلم المقلد النص المذكور، فصمم على التقليد فهو كاذب في دعواه الاقتداء بالإمام المذكور، وكاذب في تقليده، بل هو متبع لهواه وعصبيته، والأئمة كلهم بريئون منه؛ فهو مع الأئمة بمنزلة أحبار أهل الكتاب مع أنبيائهم، فإنهم يدعون اتباع الأنبياء مع أن الأنبياء قد أمروهم باتباع محمد ﷺ والإيمان به ونصره، وهم يكذبون محمدًا ﷺ ويؤذونه. ويلزم من تكذيبهم للنبي ﷺ تكذيبهم جميع

---

(١) مجلة الهدي النبوي – العدد ٨، ٩، أول جمادى الأولى – عام ١٣٦٠ – السنة الخامسة – ص٦.

(٢) في الأعلام للزركلي ج٣ ص١٩٥ ط. دار العلم للملايين – بيروت: صالح بن محمد بن نوح بن عبدالله العمري المعروف بالفلاني (١١٦٦ – ١٢١٨هـ = ١٧٥٣ – ١٨٠٣م) عالم بالحديث، مجتهد، من فقهاء المالكية، من أهل المدينة ووفاته بها، نسبته إلى فلان أو فلانة (كرمانة) من قبائل السودان، نزلها بعض أسلافه، وولد صالح ونشأ بها، وتنقل في طلب العلم فقرأ بشنقيط ومراكش وتونس ومصر ثم استقر بالمدينة إلى أن توفي.

الأنبياء. اهـ[1].

وفي الآية رقم ٩٣ من سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣].

يقول الشيخ حامد مفسرًا للآية وموجهًا لكلامه ليقترن بالواقع الذي يعيش فيه:

فلما رأيتم من آيات الله بتهديدكم برفع الطور وغيرها ما أخافكم من وقوع العذاب العاجل بكم أظهرتم الاستماع إلى التوراة وأعطيتموها من ظواهر الإكرام والاحترام بالاعتناء بورقها وغلافها ووضعها على كراسي الخشب المنقوش بأنواع الزخرف ثم بتجويد ألفاظها والتكلف في النطق بحروفها والاهتزاز المنظم عند ذلك

بطريقة خاصة؛ ثم بتخصيص طائفة للقيام بتلك الخدع التي تزعمونها إكرامًا واحترامًا للتوراة؛ لتلك الطائفة زي خاص بهم في الثياب وسمة يعرفون بها، تتخذ تلك الطائفة كتاب الله صناعة وحرفة ومرتزقًا...

إلى أن قال: وهل يبقى في قلب أشرب حب الدنيا ومالها وجاهها ورياستها ومراكزها عند العامة والدهماء، هل يبقى ذلك من حظ لله به في قلب أشرب هذا؟ إنه لن يبقى فيه إلا مثل ما يبقى ذئبان جائعان أطلقا في غنم.

روى الإمام أحمد والنسائي وابن حبان في صحيحه والترمذي عن كعب بن

---

(١) العدد السابق – ص٦. وفي إيقاظ همم أولي الأبصار ص٩٠، ٩١ ط. دار المعرفة – بيروت.

مالك أن النبي ﷺ قال: «ما ذئبان جائعان أطلقا في غنم بأفسد لهما من حرص المرء على المال والشرف لدينه».

قال الترمذي: حسن صحيح. وقد روى من طريق ابن عباس وأبي هريرة وأسامة بن زيد وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري وغيرهم. وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله في شرح هذا الحديث: قال أبو بكر الآجري – وكان من العلماء الربانيين في أوائل المائة الرابعة – في كتابه «أخلاق العلماء وآدابهم» في وصف عالم السوء «قد فتنه حب الثناء والشرف والمنزلة عند أهل الدنيا، يتجمل بالعلم كما يتجمل بالحلة الحسناء للدنيا، ولا يجمل علمه بالعمل به... وذكر كلامًا طويلًا...» (١).

وفي تفسير الآية ٩٩ من سورة البقرة وهي قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [البقرة: ٩٩].

يلفت الشيخ حامد النظر إلى تدبر القرآن والاستهداء بهداه وأن ذلك سلوك المؤمنين بكتاب الله عز وجل، وفي المقابل هناك من لا يهتم بذلك ويتبع الهوى فيضله الشيطان، ويؤكد على أهمية التوحيد في سياق كلامه. فيقول:

وهكذا تجد القرآن الكريم ذكر كل أعذارهم فأبطلها وبسط حججهم الواهية فدحضها، وأخبر عن عاقبة أمرهم في الآخرة وما سيؤولون إليه من العذاب المهين، وأنهم إنما ينالهم من ذلك العذاب بما جنوا على أنفسهم من إعراضهم عن تدبر آيات الله وإقفال قلوبهم بمغاليق التقليد الأعمى الذي أصمهم وأعمى

(١) مجلة الهدي النبوي – أول جمادى الثانية ١٣٦٠هـ – العددان ١٠، ١١ – السنة الخامسة ص٣-٦.

أبصارهم وردهم إلى أسفل سافلين، وحكموا على أنفسهم بأنهم:

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢].

ووبخهم الله أشد التوبيخ، بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

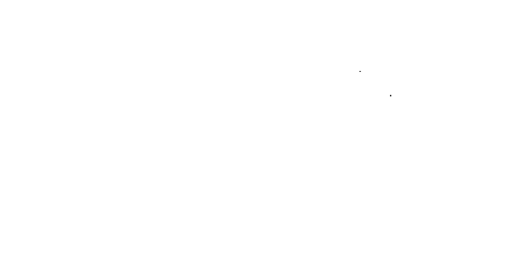
ووصمهم بوصمة الخزي في الدنيا والآخرة، فقال سبحانه وقوله الحق: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابًا مَّسۡتُورًا ۝٤٥ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرًاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥، ٤٦].

أي وربك، إنهم إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوبهم، واربدت وجوههم وعلتها غبرة ترهقها قترة، وإذا ذكر الذي من دونه من أندادهم ومشرعيهم الذين اتخذوا أربابًا من دون الله، أو أوليائهم الذين اتخذوهم آلهة يدعون من دون الله ويصاح بهم في إجابة الرغبات وتفريج الكربات، مالوا طربًا وانبسطت أسارير وجوههم فرحًا، وأخذهم من السرور والوجد لذلك ما يرضى الشيطان وليهم شر الولي وبئس الخاذل ويغضب الله مولانا نعم المولى ونعم النصير(١).

* * *

(١) مجلة الهدي النبوي – رمضان سنة ١٣٦٠ – العددان ١٦، ١٧، السنة الخامسة – ص٦.





الفصل الثالث

قضايا - عرض ونقد





المبحث الأول : الملائكة

رأي الشيخ محمد عبده في الملائكة :

يقول الشيخ محمد عبده في تفسير جزء عم عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ: ٢٨].

و﴿الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ﴾: من مخلوقات الله المغيبة عنا التي لا نكلف البحث عن حقائقها، وقيامها واصطفائها على النحو الذي يليق بها، والذي تفيده هذه الآية الكريمة أنهم مع قربهم من الله لا يستطيع أحد منهم أن يشفع لأحد أو يستمنح منحة إلا إذا أذن الله له، ولا يأذن إلا لمن علم أنه سيجاب، وإنما يكون الكلام ضربًا من التكريم لمن يأذن الله له به يختص به من يشاء ولا أثر له فيما أراد الله ألبتة[1].

ويقول في قوله تعالى في سورة «القدر»: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴾ [القدر: ٤].

يخبر جل شأنه أن أول عهد للنبي ﷺ بشهود الملائكة كان في تلك الليلة، تنزلت من عالمها الروحاني الذي لا يحده حد ولا يحيط به مقدار حتى تمثلت لبصره ﷺ. والروح هو الذي يتمثل له مبلغًا للوحي وهو الذي سمي في القرآن بجبريل، وإنما تظهر الملائكة والروح ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ أي إنما تتجلى الملائكة على تلك النفس الكاملة بعد أن هيأها الله لقبول تجليها، وليست تتجلى الملائكة لجميع النفوس كما هو معلوم، فذلك فضل الله يختص به من يشاء[2].

---

(١) تفسير جزء عم – الشيخ محمد عبده – ط . مطبعة مجلة المنار – ١٣٢٩هـ – الطبعة الثانية – ص٧، ٨، وقد ألفه الإمام في آخر حياته عام ١٣٢١، وقد مات عام ١٣٢٣ .

(٢) المصدر السابق – ص١٣٣ .

وهذا كلام لا قدح فيه وهو كلام الشيخ محمد عبده بنفسه وأولى من أي كلام آخر نقل عنه وهو يعتبر آخر كلام قاله في هذا الأمر حيث كان تأليفه له في أخريات حياته.

كما قال في أول تفسير جزء عم:

وكنت أطلب أوقات الفراغ من حين إلى حين وقلما كنت أجدها حتى يسر لي الله السفر إلى البلاد المغربية هذه السنة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة فوجدت من الوقت في السفر، ما لم أجده في الحضر، وقد وفقت إلى تتميمه في تلك البلاد[١].

مع ملاحظة أنه توفي عام ١٣٢٣هـ[٢]، وقد انتهى من تفسير جزء عم ١٣٢٢هـ.

وقد صرح الشيخ رحمه الله بالقول الشائع عن هذه المدرسة بعد ذلك بأن الملائكة قوى طبيعية[٣] فكيف إذن يقول عنهم في تفسيره لسورة النبأ: والذي تفيده هذه الآية الكريمة أنهم مع قربهم من الله لا يستطيع أحد منهم أن يشفع لأحد أو يستمنح منحة إلا إذا أذن الله له، ويقول عنهم في تفسير سورة القدر: والروح هو الذي يتمثل له مبلغًا للوحي وهو الذي سمي في القرآن بجبريل، وإنما تظهر الملائكة والروح بإذن ربهم فكيف يقال هذا الكلام عن مخلوقات يقال أنها قوى طبيعية.

---

(١) تفسير جزء عم - الشيخ محمد عبده - ط. مطبعة مجلة المنار - ص٢ .

(٢) الإعلام - للزركلي - ط دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ج٦ - ص٢٥٢ .

(٣) انظر تفسير المنار ج١ ص٢٢٤ - ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، وانظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د. فهد الرومي- ط. مكتبة الرشد- الرياض- ص٦١٦- ٦٣٠ .

وقد دافع عنه تلميذه الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار فقال: هذا ما كتبه شيخنا في توضيح كلامه في تقريب ما يفهمه علماء الكائنات من لفظ القوى - إلى ما يفهمه علماء الشرع من لفظ الملائكة... وهو بمثل هذه الأساليب في الإقناع بحقيقة الدين كان حجة لله في هذا العصر، حتى قال له أحد نوابغ رجال القضاء الأذكياء إنك بتفسيرك للقرآن بالبيان الذي يقبله العقل ولا يأباه العلم قد قطعت الطريق على الذين يظنون أنه قد اقترب الوقت الذي يهدمون فيه الدين ويستريحون من قيوده وجهل رجاله وجمودهم وإنني أنا قد جربت هذه الطريقة التي استنكروها عليه في إقامة الحجة على بعض المنكرين لوجود الله تعالى فلم يستطيعوا لها دحضًا، ذلك بأن علماءهم إنما ينكرون إله اللاهوتيين وكذا إله المتكلمين لا إله الخليقة. فإذا قلت لهم: هل تعقلون أن هذا النظام الدقيق في كل نوع المخلوقات ووحدة النظام العام في مجموعها كلها قد وجدا بالمصادفة وليس لهما مصدر وجودي؟ يقولون: لا بل لابد لذلك من مصدر لكننا نجهل حقيقته، حينئذ كنت أقول لهم، وهذا أس عقيدة الإسلام وهو أننا نجهل كنه رب العالمين، وإنما نعرفه بآثاره في خلقه فالفرق بيننا لفظي(١).

وهذه هي نفس الطريقة التي لجأ إليها كثير من العلماء في مناظرة غير المؤمنين وهي مستنبطة من القرآن فقد قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]، وفي آيات كثيرة على هذا المثال.

---

(١) تفسير المنار - للشيخ رشيد رضا - ط. دار الكتب العلمية - بيروت - ج١ - ص٢٢٦ - ٢٢٧ .

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية:

وهذه الآية دالة على توحيده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، وقد استدل بها كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع تعالى وهي دالة على ذلك بطريق الأولي فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها ومنافعها ووضعها مواضع النفع بها محكمة علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه كما قال بعض الأعراب وقد سئل ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فقال سبحان الله إن البعر يدل على البعير، وأن أثر الأقدام لتدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج. وبحار ذات أمواج؟ ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟

وحكى الرازي عن الإمام مالك أن الرشيد سأله عن ذلك فاستدل له باختلاف اللغات والأصوات والنغمات وعن أبي حنيفة أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى فقال لهم دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه، ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد. فقالوا هذا شيء لا يقوله عاقل، فقال ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع؟ فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه[١].

فانظر إلى كلام أبي حنيفة وتصور أن شخصًا حاول أن يفصله عن سائر

---

(١) تفسير ابن كثير – ط. دار الفكر – بيروت – لبنان – ج١ – ص٥٩ .

الكلام لخرج منه بأن أبا حنيفة يتكلم بكلام الماديين، ولكن الكلام لا يفهم إلا إذا وضعته في سياقه وربطت بين أول الكلام وآخره والكلام الذي قاله قبل ذلك وبعد ذلك.

وقد استكمل ابن كثير ذكر هذه الطريقة فذكرها عن غير هؤلاء من العلماء، فقال:

وعن الشافعي أنه سئل عن وجود الصانع فقال: هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم وتأكله النحل فيخرج منه العسل وتأكله الشاه والبقر والأنعام فتلقيه بعرًا وروثًا وتأكله الظباء فيخرج منها المسك وهو شيء واحد، وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه سئل عن ذلك فقال ههنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ ظاهره كالفضة البيضاء وباطنه كالذهب الإبريز فبينما هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح يعني بذلك البيضة إذا خرجت منها الدجاجة.

وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد:

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليكُ

عيون من لجين شاخصات بأحـ ... ـداق هي الذهب السبيكُ

على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن اللّه ليس له شريكُ

وقال ابن المعتز:

فيا عجبًا كيف يعصي الإله ... أم كيف يجحده الجاحدُ

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحدُ[1]

---

(١) المصدر السابق ص٥٩، ٦٠.

وعن عقيدة الملائكة يتكلم الشيخ رشيد رضا فيرد زعم الذين يدعون أن هؤلاء الشيوخ كانوا يعتقدون أن الملائكة قوى طبيعية فيقول في تفسير الآية ٤ من سورة البقرة أيضًا: فملك الوحي كان يتلقى الوحي منه عز وجل وينزل به من السماء إلى الأرض فيتلقاه منه النبي ﷺ، ولا نعلم صفة تلقي الملك عن الله تعالى لأنه من الغيب الذي نؤمن به مجملًا كما بلغنا، ولا صفة تلقي النبي ﷺ من جبريل لأنه من شأن النبوة ولسنا بأنبياء، وهو من الصلة بين عالم الغيب والشهادة. ولكن الله وصف لنا تكليمه للبشر بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ [الشورى: ٥١].

وقوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥].

ووصفه لنا رسوله ﷺ في جوابه لمن سأله عنه وهو الحارث ابن هاشم المخزومي فقال: «أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلًا فيكلمني فأعي ما يقول» رواه الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها[1].

***

(١) تفسير المنار - ط دار الكتب العلمية بيروت - ج١ - ص١١٤، ١١٥ .

وبينما وقع الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا فى أشياء منتقدة فيما يخص عقيدة الإيمان بالملائكة بسبب تقريب هذه العقيدة من أذهان الماديين واضطر الشيخ رشيد للدفاع عن شيخه محمد عبده فى هذا الأمر(١)، نرى أن الشيخ حامد يبتعد عن هذا المزلق فيقول فى تفسير قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠] ليس المقصود من سياق ذلك القصص فى خلق آدم وخلق إبليس، وسياق تلك الأخبار عن الملائكة وقول الله لهم وقولهم لله: أن نعلم كيفية الخلق لهؤلاء وحقيقته، وأن يقتصر علمنا على ذلك فحسب، فنقصر بحثنا ونقاشنا عليه، ونبذل كل مجهودنا الفكرى فى تلك الناحية فقط، وإنما القصد الأول فى هذه القصص وغيرها من قصص القرآن كله أن نعتبر بالعواقب، ونعلم النتائج، ونستفيد من مصائر ذلك، ونعرف العدو كل العداوة فنتقيه كل التقوى، ونتجنبه كل التجنب وكل ما يتصل به بأى سبب، ونعرف الحبيب كل المحبة ونصل أنفسنا به كل الاتصال، ونتعلق منه بكل سبب(٢). وينتقل الشيخ حامد إلى الآيات الأخرى فى غير سورة البقرة فى هذا الموضوع مثل سورة الأعراف حيث الآيات التى تبدأ بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١] إلى قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ

(١) انظر تفسير المنار- للشيخ رشيد رضا- ط- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان جـ صـ ٢٢٢ وما بعدها.

(٢) مجلة الهدى النبوى - العدد ٢٩ -شعبان ١٣٥٨ - صـ ٣، ٤.

﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٢٧].

وسورة الكهف ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف:٥٠-٥١] فيقول:

أى ما أسوق لكم على طريقة المؤرخين الذين يقصدون الإعلام بالحوادث وتواريخها وكيف وقعت. وإنما أسوق لكم ذلك لأكشف لكم عن عدوكم وعدوى، فلا تتخذوه وحزبه أولياء من دونى، وبئس لكم بدلا إذا ظلمتم أنفسكم بذلك، فإنك إن تدبرت ذلك وعقلته اتضح لك الحكمة فى سوق الله لقصص خلق آدم وزوجه وما إلى ذلك مما يقصد إليه من التحذير والتخويف من العدو القديم إبليس عليه لعائن الله. فاعلم ذلك واشتغل به كل الاشتغال. ولا يخدعنك إبليس عنه بالبحث فيما عداه، والجرى وراء ما لم تحط به علمًا.وليس هو من شأنك، وإنما هو من شأن الحكيم الخبير(١).

قوله بأن الملائكة غير عقلاء (أى لا يتصفون بالعقل):

يقول الشيخ الفقى فى تفسير الآية ٣٠ من سورة البقرة:

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أى عرض هذه المخلوقات. وغلب الكامل- وهم العقلاء- على غير العقلاء على الملائكة فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فى دعواكم العلم بما يؤول إليه أمر آدم وبنيه من الإنسان فى الأرض وسفك الدماء؛

---

(١) مجلة الهدى النبوى - العدد-٢٩- شعبان ١٣٥٨- صـ ٤.

وأنكم أحق بهذه الخلافة، وأولى بهذه الفضيلة منه، لأنكم ظننتم أن ذلك ينال بالعبادة والتسبيح والتحميد والتقديس فقط بدون حاجة إلى العلم الذى يسدد الخليفة فى خلافته؛ ويهديه السبيل القويم فيما خوله الله وأعطاه؛ فلا يكونن من الزائغين الهالكين بما أنعم عليه رب العالمين.

ومن هذا تعلم أن العباد المنقطعين للعبادة، المنقطعين في خلواتهم عن مجالس الناس وما فيها من علم وحوادث، الذين لا تهمهم إلا أنفسهم فلا يفكرون فى أمر بمعروف ولا نهى عن منكر، أولئك لا يصلحون لعمارة الأرض ولا للخلافة فيها، وتعلم أيضًا أن العبادة بدون علم لا تصلح. بل قد تكون وبالا على صاحبها، فإن الشيطان يقوده بزمام الجهل إلى أعمال لا يحبها الله ولا يرضاها، يزينها له، ويحسنها، بأسماء خلابة لكنها لا تروج عند الله لأنه لم يأمر بها ولم يعلمها أنبياءه ولم يدلهم على سبيلها فيكون بذلك من ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف:١٠٤](١).

وقال فى تفسير نفس الآية عند قوله تعالى ﴿يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾:

قال الله تعالى بعد ما تبين للملائكة قصور علمهم وعدم استحقاقهم لما أعطى الله آدم، واعترافهم بذلك وأنابتهم إلى ربهم ﴿يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ ليعلموا بذلك أنك أهل لما أعطيتك ومنحتك ﴿فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ وتبينت لهم منزلة آدم التى رفعه الله إليها بالعلم(٢).

ويبدو واضحًا من هذا الكلام أخذ الشيخ حامد الفقى بقول تفضيل الأنبياء وصالحي البشر على الملائكة، فهو يقول: وغلب الكامل- وهم العقلاء- على

---

(١) مجلة الهدى النبوى-العدد-٢٩- شعبان سنة ١٣٥٨- الجزء الخامس من السنة الثالثة- صـ ٩

(٢) المصدر السابق- نفس العدد- صـ ١١

غير العقلاء (على الملائكة فقال أنبئونى... الآية).

وهذه المسألة قد تكلّم عليها شارح العقيدة الطحاوية وهو ابن أبى العز الحنفى على أرجح الأقوال فقال:

وقد تكلم الناس فى المفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحى البشر والأنبياء فقط على الملائكة، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة، واتباع الأشعري على قولين: فمنهم من يفضل الأنبياء والأولياء، ومنهم من يقف ولا يقطع فى ذلك قولًا. وحكى عن بعضهم ميلهم إلى الملائكة وحكى ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية. وقالت الشيعة: إن جميع الأئمة أفضل من. جميع الملائكة. ومن الناس من فضل تفضيلًا آخر. ولم يقل أحد ممن له قول يؤثر بأن الملائكة أفضل من بعض الأنبياء دون بعض. وكنت ترددت فى الكلام على هذه المسألة لقلة ثمرتها، وأنها قريب مما لا يعني و(من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)[1].

وكذلك قال: فإن الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيين، وليس علينا أن نعتقد أي الفريقين أفضل[2] .

وبعد أن ساق أدلة كل الفريقين، أي الذين يفضلون الأنبياء وصالحي البشر على الملائكة والفريق الآخر الذي يفضل الملائكة قال: وحاصل الكلام: أن هذه المسألة من فضول المسائل، ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول، وتوقف

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ط المكتب الإسلامى - ص ٣٣٧، والحديث رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) المصدر السابق ص٣٣٨.

أبي حنيفة رضي الله عنه في الجواب عنها، كما تقدم، والله أعلم بالصواب[1].

ولكن الشيخ حامد رحمه الله رجع عن وصف الملائكة بأنهم غير عقلاء إلى عدم وصفهم بالعقل لأن وصفهم بالعقل لم يرد في الكتاب والسنة ولكنه ورد مع الإنسان فقط، فقال بعد ذكر الكلام السابق بعشر سنين ما يلي:

ذلك أني نشرت في العدد السادس الصادر في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٦٨هـ من الهدي النبوي صفحة ٤٩ ما نصه: «أما قوله: الملائكة عقلاء، فإنه قول بلا دليل؛ لأن العقل لا يوصف به إلا الإنسان الذي أعطاه الله السمع والبصر والفؤاد، وأسباب العلم الصحيح وآلاته، تؤدي إلى عقله فيعقلها، أي يحفظها ويعيها، ويحتفظ بها ليتصرف فيها عند حاجته إليه، ولذلك سمي عقلًا، من عقل البعير، أي منعه من السير، ولم يقل أحد: إن خلق الملائكة كخلق الإنسان، بل إنها خلق لا يعلم حقيقته إلا الله، مغاير كل المغايرة لخلق الإنسان، فوصفها بالعقل غير صواب[2].

وهو لا ينكر أن الله تعالى قد أعطى الملائكة ما تدرك به عن ربها، وما تنفذ به أمر ربها كما أمرها، أما أن نسمي هذا الذي تدرك به وتنفذ عقلًا، فذلك لا دليل عليه.

وفي مسألة سجود الملائكة لآدم يقول الشيخ حامد: إنه ليس بالسجود الشرعي ويستدل بالآيات في سورة الأعراف والحجر والإسراء والكهف وطه وص، وهي المواضع التي ذكر فيها قصة سجود الملائكة لآدم ثم يستدل بالآيات

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤٨.

(٢) تفسير سورة الحجر للشيخ حامد الفقي ط. مركز التراث والبحث العلمي بالمركز العام لجمعية أنصار السنة المحمدية ص ٢٢٣.

التي فيها السجود بمعنى الخضوع والانقياد مثل سورة الرعد ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [الرعد: ١٥]، وفي سورة النحل: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [النحل: ٤٩]، وفي سورة الحج: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ﴾ [الحج: ١٨]، وفي سورة الرحمن: ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [الرحمن: ٦]، وفي سورة البقرة والنساء والأعراف عندما أمر الله تعالى بني إسرائيل ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾، ثم قال: فالسجود في كل هذه الآيات ليس هو المعروف بالاصطلاح الشرعي من وضع الجبهة على الأرض، فإنه ليس لكل ما في السموات والأرض، والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب، أعضاء كأعضاء الإنسان منها الوجه الذي تسجد به وتضعه على الأرض لربها، كما أنه لا يمكن أن يكون المراد منه فيما أمر الله به بني إسرائيل عند دخول قرية بيت المقدس: وضع جباههم، لأن ذلك لا يتأتى معه دخول القرية والمشي، وكذلك ما في الصحيحين من حديث أبي ذر: «إن الشمس تذهب كل يوم فتسجد تحت العرش» لا يفهم منه السجود الذي يكون من الإنسان على وجهه، فليس للشمس ما للإنسان من أعضاء يكون منها الوجه، فكذلك -والله أعلم- نفهم السجود للملائكة، التي نعلم يقينًا أن خلقها ليس كخلق الإنسان، وأنها ليس لها أعضاء كأعضاء الإنسان، أنه ليس كسجود الإنسان على وجهه، وإنما هو من جنس سجود الشمس والقمر والنجوم والجبال، والشجر والدواب وغيرها مما في الأرض والسموات يسجد لله طوعًا وكرهًا وظلالهم بالغدو والآصال.

فهو إما سجود بالمعنى اللغوي: التطامن والذل والخضوع وتمام الاستسلام

والانقياد والطاعة، وإما من الأشياء التي جاء الخبر الصادق بها من المغيبات التي لا تدركها حواسنا، ولا تقع تحت بصرنا ومشاهداتنا، ونؤمن بها على ما وردت، ونسلم حقيقة معناها وكيفياتها إلى الله سبحانه علام الغيوب القادر على كل شيء، وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا.

فيكون ما فرعوا به من أن السجود كان لله وآدم قبله، أو كان لآدم للتحية والإكرام، والعبادة لله بطاعة أمره لا لآدم، وغير ذلك مما فرعوه على فهم معنى سجود الملائكة أنه كسجود الإنسان يخر لوجهه وذقنه، ويضع جبهته على الأرض، يكون كل ذلك –والله أعلم- لا محل له، وإطالة للقول في غير مجاله[1].

وهذا الفهم رد عليه أحد رفاق الشيخ حامد الفقي، وهو الشيخ عبد العزيز بن راشد وذكر ذلك الشيخ حامد في مجلة الهدي النبوي في جمادى الثانية عام ١٣٦٨هـ فقال:

وبعد فقد جاءتني كلمة من أخي الحبيب وخليلي على محبة الله ورسوله: الأخ الصالح العلامة الشيخ عبد العزيز بن راشد، وفقني الله وإياه لما يحب ويرضى وسددنا في العقيدة والقول والعمل –ناقش فيها ما كتبت في عدد ربيع الآخر عن سجود الملائكة، وذكر أنه كان سجود عبادة شرعيًّا تعبديًّا، ونفى أن يكون كسجود الشمس والقمر والنباتات والشجر والدواب، مع تسليمه أنه سجود مغاير لسجودنا، وذكر أن السجود على الجبهة وبقية الأعضاء: هو الأصل اللغوى المتبادر فى معنى السجود وأن حمله على السجود الكونى بمعنى نهاية الخضوع والذل تأويل من جنس تأويل الباطنية، الذى يعرف مني محاربته بأشد عنف. وذكر

---

(١) مجلة الهدى النبوى-العدد-٣٠- رمضان سنة ١٣٥٨ - الجزء السادس من السنة الثالثة- صـ٢، ٣.

أن اللائق بالملائكة: هو السجود الشرعى التعبدى، لأنهم عقلاء، فكيف يسوون بغير العقلاء من النباتات والشجر، والشمس والقمر، وذكر حديث الشفاعة مستدلًا منه بقول أهل المحشر لآدم «أنت أبو البشر، الذى خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته» وأقرهم آدم على تقرير هذه الخصوصة والميزة له دونهم، ولو كانت الملائكة ساجدة لبنى آدم لما كان لآدم مزية ولا خصوصية يذكره بها بنوه فى هذا الموطن.

واستدل بسجود الرسول ﷺ لما فهم أن معنى السجود هو وضع الجبهة وبقية الأعضاء على الأرض، لا مطلق الخضوع.

وذكر أن السجود الاصطلاحي بوضع الجبهة على الأرض كان معروفًا عند الأنبياء والأمم السابقة، مستدلًا بقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء:١٠٧] وبقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم:٥٨]، وذكر سجود إخوة يوسف وأنهم وضعوا جباههم على الأرض بين يديه، وكان عبادة لله أوحى الله بها إليهم كما أقرهم عليها النبيان يوسف ويعقوب عليهما السلام-وكان ذلك ابتلاء من الله وتأديبًا لهم لحقدهم على يوسف كما أدب الملائكة بالسجود لآدم لما قالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[البقرة:٣٠]؟ (١).

كان هذا رد الشيخ عبد العزيز بن راشد وكان من أقران الشيخ حامد الفقى فى العلم والدعوة نقلناه بكماله مع ملاحظة أن الشيخ حامد هو الذى نقله عنه وفيه

---

(١) تفسير سورة الحجر للشيخ محمد حامد الفقى-ط- مركز التراث والبحث العلمى بالمركز العام لجماعة أنصار السنة- صـ ١٨٤ - ١٨٥

الرد على هذا الرأي، وقد رد عليه الشيخ حامد بما ذكره قبل ذلك وأصر على رأيه أن سجود الملائكة كسجود الشمس والقمر وغيره: سجود قهر وذل وخضوع[1].

ونحن مع رد الشيخ عبد العزيز بن راشد ونرى أن الشيخ حامد قد خالفه الصواب فى هذا الرأى، وكما قيل (كل امرئ يخطئ ويصيب إلا صاحب هذا القبر) وأشار إلى قبر رسول الله ﷺ، ونحن أيضًا نكبر فى الشيخ حامد نقله للرأى المخالف بكل تفصيل وبكل وضوح ولسان حاله يردد مقولة الإمام الشافعى رحمه الله تعالى: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيري خطأ يحتمل الصواب.

* * *

(١) انظر رد الشيخ حامد فى تفسير سورة الحجر- المصدر السابق- صـ ١٨٥- ١٨٦



المبحث الثاني : السحر :

حديث سحر النبي ﷺ:

في صحيح البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: سُحر النبي ﷺ حتى أنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال: أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجليَّ، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال مطبوب: قال: ومن طبه؟ قال: لَبيد بن الأعصم اليهودي من بني زُرَيق. قال: فيما ذا، قال: في مُشط ومشاطة وجف طلعة ذكر. قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان. قال: فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخل ثم رجع إلى عائشة فقال: والله لكان ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين. قلت: يا رسول الله، أفأخرجته؟ قال: لا، أما أنا فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أثوِّر على الناس منه شرًّا. وأمر بها فدفنت(١).

وهذا العموم في أول الحديث (حتى أنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله) مفصل في الحديث الذي قبله أي رقم ٥٧٦٥:

كان رسول الله ﷺ سُحر، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن. قال سفيان (أي ابن عيينة): وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا.

ونفس الحديث أيضًا جاء برقم ٥٧٦٣ في فتح الباري بشرح صحيح البخاري

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري – كتاب الطب – جـ١٠، ص٢٤٦، ط. دار الريان للتراث – ورقم الحديث (٥٧٦٦).

والأحاديث كلها عن عائشة بألفاظ متقاربة ولكن كل موضع فيه فائدة زائدة إما في المتن وإما في السند.

وروى الحديث أيضًا مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها برقم ٢١٨٩ في صحيح مسلم بشرح النووي.

وقال النووي في الشرح: قال الإمام المازري - رحمه الله - (في المعلم) (٢ / ٢٥٦) (بتصرف): وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر فزعم أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع، وهذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل، لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته ﷺ فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل(١).

والحديث أيضًا في مسند أحمد عن زيد بن أرقم قال:

سحر النبي ﷺ رجلٌ من اليهود قال فاشتكى لذلك أيامًا قال فجاءه جبريل عليه السلام فقال إن رجلًا من اليهود سحرك عقد لك عُقدًا عُقدًا في بئر كذا وكذا فأرسل إليها من يجيئ بها فبعث رسول الله ﷺ عليًا رضي الله تعالى عنه فاستخرجها فجاء بها فحللها، قال: فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط عن عقال فما ذكر لذلك اليهودي ولا رآه في وجهه قط حتى مات(٢).

وقد صحح الشيخ الألباني حديث مسند أحمد فقال في التعليق على مختصر صحيح مسلم للمنذري:

اعلم أن هذا الحديث صحيح الإسناد بلا ريب، أخرجه الشيخان وغيرهما من

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - ط. المكتب الثقافي - القاهرة جـ١٤ ص١٨١، ١٨٢ .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل - ط. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - بيروت - جـ٤ ص٣٦٧ .

طرق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها وله شاهد من حديث زيد بن أرقم عند أحمد (٤/ ٣٦٧) بإسناد صحيح وابن سعد في الطبقات (٢ / ٢ / ٦) بإسناد آخر صحيح أيضًا رواه أيضًا عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وعكرمة، ولقد أخطأ السيد رشيد رضا - رحمه الله - ومن قلده في تضعيفه لهذا الحديث وأثاروا حوله شبهات عقلية هي في الحقيقة (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) وليس في الحديث سوى أنه مرض ﷺ وأنه يرى أنه يأتي النساء وما يأتيهن. والله سبحانه الذي حفظه من أن يخطئ في التشريع - وهو كبشر يمكن أن يخطئ، ولكن الله عصمه، فكذلك الله حفظه وهو بشر قد سحر، ومن شأن البشر أن يسحر، فأي شيء في هذا السحر الذي أصابه ﷺ، وقد أصاب مثله موسى عليه السلام بنص القرآن ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] فهل مس ذلك من مقام موسى عليه السلام. كلا ثم كلا. وكذلك الشأن في هذا الحديث، فتأمل منصفا[١].

وحول جواز وقوع السحر على النبي ﷺ قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري:

(تكميل): قال ابن القيم من أنفع الأدوية وأقوى ما يوجد من النُشْرة مقاومة السحر الذي هو من تأثيرات الأرواح الخبيثة بالأدوية الإلهية من الذكر والدعاء والقراءة، فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله، معمورًا بذكره وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يخل به كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من إصابة السحر له. قال: وسلطان تأثير السحر هو في القلوب الضعيفة، ولهذا غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال، لأن الأرواح الخبيثة إنما تنشط على أرواح تلقاها مستعدة لما

---

(١) مختصر صحيح مسلم - للحافظ المنذري - تحقيق محمد ناصر الدين الألباني - ط. المكتب الإسلامي - بيروت ص٣٨٠، ٣٨١.

يناسبها. انتهى ملخصًا. ويعكر عليه حديث الباب، وجواز السحر على النبي ﷺ مع عظيم مقامه وصدق توجهه وملازمة ورده، ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بأن الذي ذكره محمول على الغالب، وأن ما وقع به ﷺ لبيان تجويز ذلك، والله أعلم(١).

❊❊❊

وكان موقف هذه المدرسة كلها إنكار وقوع السحر على رسول الله ﷺ وإنكار تأثره ﷺ بالسحر،، كان هذا موقف الشيخ محمد عبده ثم الشيخ رشيد رضا ثم الشيخ محمد حامد الفقي ثم الشيخ عبد الرحمن الوكيل ثم الدكتور سيد رزق الطويل رحمهم الله جميعًا مع شيء من الاختلاف بين مواقفهم فالشيخ محمد عبده يقول في تفسير جزء عم عند تفسير النفاثات في العقد من سورة الفلق:

وقد رووا ههنا أحاديث في أن النبي ﷺ سحره لبيد بين الأعصم وأثر سحره فيه حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله أو يأتي شيئًا وهو لا يأتيه وأن الله أنبأه بذلك وأخرجت مواد السحر من بئر وعوفي ﷺ مما كان نزل به من ذلك ونزلت هذه السورة ولا يخفى أن تأثير السحر في نفسه عليه السلام حتى يصل به الأمر إلى أن يظن أنه يفعل شيئًا وهو لا يفعله ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الأمور العادية بل هو ماس بالعقل آخذ بالروح وهو مما يصدق قول المشركين فيه ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾... [الإسراء: ٤٧، الفرقان: ٨] إلى أن قال فإذن هو ليس بمسحور قطعًا وأما الحديث فعلى فرض صحته هو آحاد والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني - ط. دار الريان للتراث - القاهرة جـ١٠ ص٢٤٦.

وعصمة النبي من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد ولا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين[1].

فموقف الشيخ محمد عبده - رحمه الله -:

أنه لم يضعف الحديث ولكنه لجأ إلى قاعدة أن أحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد والحديث حديث آحاد.

ولا شك أن هذه القاعدة غير صحيحة فمعظم الأحاديث التي يؤخذ بها في العقيدة أحاديث آحاد، والمتواتر منها قليل وخاصة إذا كانت أحاديث الآحاد هذه مروية في الصحيحين كما هو الحال في الحديث الذي نحن بصدده[2].

أما الشيخ رشيد رضا - رحمه الله -:

فقد نقل رأي الجصاص في كتابه أحكام القرآن في رد حديث سحر النبي ﷺ وكذلك رأي الشيخ محمد عبده السابق ورأي الذين يقولون بحقيقة السحر ولا ينكرون تأثير السحر في النبي ﷺ في أمور جسدية مرضية لا علاقة لها بعصمة النبي ﷺ في تبليغ الرسالة ثم وقف على الحياد فلم يرجح أيًا من الرأيين وكان الجصاص في تفسيره يقول أن الذي سحر النبي ﷺ امرأة من اليهود فرد عليه بأن الظاهر أنه لم يطلع على حديث الصحيحين وفيهما أن الذي سحر النبي ﷺ هو رجل من اليهود اسمه لبيد بن الأعصم وقد أطال في نقل كلام الجصاص عن السحر وعن هذا الحديث فيما يقرب من عشر صفحات ثم علق عليه بما ذكرناه،

---

(١) تفسير جزء عم - للشيخ محمد عبده - ط. مطبعة مجلة المنار - القاهرة ص١٨٣، ١٨٤ .

(٢) انظر كتب علوم الحديث مثل الباعث الحثيث للشيخ أحمد شاكر وقواعد التحديث للقاسمي - ومعرفة علوم الحديث لأبي عبد الله الحاكم - وتيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان وغير ذلك وانظر كتب أصول الفقه لخلاف وزيدان والخضري وحسب الله وغيرهم.

كان هذا في تفسير السيد رشيد رضا للآية ١٠٩ من سورة الأعراف وهي قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٠٩](١).

موقف الشيخ حامد الفقي - رحمه الله - من تأثر النبي ﷺ بالسحر:

أما الشيخ محمد حامد الفقي فلم يناقش هذا الموضوع في تفسيره ولم يتطرق للكلام عن السحر عمومًا إلا في آية واحدة وهي الآية رقم ١٥ من سورة الحجر قوله تعالى: ﴿ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ [الحجر: ١٥] وكأنه اقتدى في ذلك بأستاذه السيد رشيد رضا حيث لم يرجح أحد الرأيين مع ذكره لهما، فتحاشى الشيخ حامد الفقي من الولوج في هذا الموضوع أو مناقشته باستفاضة كما يستفيض في تفسيره في أمور كثيرة فقد توقف في تفسير سورة البقرة كما ذكرنا سابقًا في المقدمة عند الآية رقم ١٠٠ (مائة) وكان ما بعدها مباشرة قصة هاروت وماروت وتعليمهما السحر للناس وهي الآية رقم ١٠٢ من سورة البقرة، فهل توقف الشيخ رحمه الله عند هذا الموضوع تحاشيًا من الكلام عن السحر وهو كما سنرى يرجح رأي الفريق الذي يقول بأن السحر تخييل وليس بحقيقة بل ويؤول حديث الصحيحين عن تأثر النبي ﷺ بالسحر لأنه يعارض في رأيه القرآن مع تسليمه بصحته، لم يصرح الشيخ بذلك ولكنه قال كما نقلناه عنه في المقدمة بأنه نزل على رأي إخوانه الموحدين من مختلف الأقطار الإسلامية بأن يكتفي بتفسير أستاذه الشيخ رشيد رضا ويبدأ هو بعد توقف أستاذه فبدأ التفسير من أول سورة الرعد.

ففي آية سورة الحجر رقم ١٥ قال: والمسحور المخدوع بالأمور الخفية

---

(١) تفسير المنار - للشيخ رشيد رضا - ط. دار الكتب العلمية - بيروت جـ٩ ص٣٩ - ٥١ باختصار.

والحركات التي يعتقدها غير اعتيادية حتى يتخيل الأشياء على غير حقيقتها(1).

هذا ما كتبه عن السحر في تفسيره للقرآن وهو كما نرى في منتهى الاختصار ولكنه مع هذا الاختصار يوضح رأيه في موضوع السحر فهو يرى أنه أمور خفية وحركات غير اعتيادية وتخيل أشياء على غير حقيقتها أي أنه لا يؤثر في الأشياء ولا في الأبدان تأثيرًا حقيقيًا وهذا رأي المعتزلة قديمًا ومن وافقهم من بعدهم وقال به الشيخ محمد عبده ووقف الشيخ رشيد رضا على الحياد بين الرأيين ومما يؤيد أن هذا الرأي هو رأي الشيخ حامد الفقي ما قاله في تحقيقه لكتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت ١٢٥٨هـ) عندما قال الشارح في المتن: قوله: (قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان، حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان إلى آخره).

ومما جاء في صفة النشرة الجائزة: ما رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ليث بن أبي سليم قال: (بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله، تقرأ في إناء فيه ماء، ثم يصب على رأس المسحور: الآية التي في سورة يونس ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس: ٨١، ٨٢].

وقوله: ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٨] إلى آخر الآيات الأربع، وقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه: ٦٩].

وقال ابن بطال في كتاب وهب بن منبه: أنه يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل ثم يحسو منه

---

(1) تفسير سورة الحجر - للشيخ محمد حامد الفقي - ط. مركز التراث والبحث العلمي - المركز العام لجمعية أنصار السنة المحمدية - القاهرة ص٧٥.

ثلاث حسوات ثم يغتسل به يذهب عنه كل ما به، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله.

قلت: قول العلامة ابن القيم (والثاني النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة فهذا جائز) يشير رحمه الله إلى مثل هذا، وعليه يحمل كلام من أجاز النشرة من العلماء، والحاصل: أن ما كان منه بالسحر فيحرم، وما كان بالقرآن والدعوات والأدوية المباحة فجائز. والله أعلم.

علق الشيخ حامد الفقي على هذا الكلام في تحقيقه فقال:

مثل هذا لا يعمل فيه برأي ليث بن سليم ولا برأي ابن القيم ولا غيرهما؛ وإنما يعمل بالسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ، ولم يجيئ عنه ﷺ شيء مما يقول ابن أبي سليم ولا ابن القيم.

وما ينقل عن وهب بن منبه فعلى سنة الإسرائيليين لا على هدي خير المرسلين، ومن باب هذا التساهل دخلت البدع ثم الشرك الأكبر، وعلى المؤمن الناصح لنفسه أن يعض بالنواجذ على هدي رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ويتجنب المحدثات وإن كانت عمن يكون فكل أحد يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا رسول الله ﷺ(١).

وأصرح من ذلك ما جاء في تحقيق الشيخ حامد الفقي لكتاب زاد المعاد لابن القيم حيث قال ابن القيم تحت عنوان (فصل في هديه ﷺ في علاج السحر الذي سحرته اليهود به):

قد أنكر هذا طائفة من الناس، وقالوا: لا يجوز هذا عليه، وظنوه نقصًا وعيبًا،

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ - تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي - ط. أنصار السنة المحمدية بمصر سنة ١٣٦٢ - ص٢٩٧، ٢٩٨.

وليس الأمر كما زعموا، بل هو بن جنس ما كان يعتريه ﷺ من الأسقام والأوجاع، وهو مرض من الأمراض، وإصابته به كإصابته بالسم لا فرق بينهما، وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: سحر رسول الله ﷺ حتى إن كان ليخيل إليه أنه يأتي النساء، ولم يأتهن، وذلك أشد ما يكون من السحر.

قال القاضي عياض: والسحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل يجوز عليه ﷺ، كأنواع الأمراض ما لا ينكر، ولا يقدح في نبوته، وأما كونه يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله، فليس في هذا ما يدخل عليه داخله في شيء من صدقه ،لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث لسببها، ولا فضل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أنه يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له، ثم ينجلي عنه كما كان.

والمقصود ذكر هديه في علاج هذا المرض، وقد روي عنه فيه نوعان:

أحدهما - وهو أبلغهما: استخراجه وإبطاله، كما صح عنه ﷺ أنه سأل ربه سبحانه في ذلك، فدل عليه، فاستخرجه من بئر، فكان في مشط ومشاطه، وجف طلعة ذكر، فلما استخرجه، ذهب ما به، حتى كأنما أنشط من عقال... إلى أن قال:

ومن أنفع علاجات السحر الأدوية الإلهية، بل هي أدويته النافعة بالذات، فإنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السفلية، ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها من الأذكار، والآيات، والدعوات التي تبطل فعلها وتأثيرها، وكلما كانت أقوى وأشد، كانت أبلغ في النشرة، وذلك بمنزلة التقاء جيشين مع كل واحد منهما عدته وسلاحه، فأيهما غلب الآخر قهره، وكان الحكم له، فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله معمورًا بذكره، وله من التوجهات والدعوات والأذكار والتعوذات ورد لا يخل به يطابق فيه قلبه لسانه، كان هذا من أعظم الأسباب التي تمنع إصابة السحر له، ومن

أعظم العلاجات له بعدما يصيبه.

وعند السحرة: أن سحرهم إنما يتم تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة، والنفوس الشهوانية التي هي معلقة بالسفليات، ولهذا فإن غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال وأهل البوادي، ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد، ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية والدعوات والتعوذات النبوية.

وبالجملة: فسلطان تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة التي يكون ميلها إلى السفليات، قالوا: والمسحور هو الذي يعين على نفسه، فإنا نجد قلبه متعلقًا بشيء كثير الالتفات إليه، فيتسلط على قلبه بما فيه من الميل والالتفات، والأرواح الخبيثة إنما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لتسلطها عليها بميلها إلى ما يناسب تلك الأرواح الخبيثة، وبفراغها من القوة الإلهية، وعدم أخذها للعدة التي تحاربها بها، فتجدها فارغة لا عبرة معها، وفيها ميل إلى ما يناسبها، فتتسلط عليها، ويتمكن تأثيرها فيها بالسحر وغيره، والله أعلم.

وفي التحقيق قال الشيخ محمد حامد الفقي:

فكيف تأثر به النبي ﷺ حتى يخيل إليه أنه فعل شيئًا ولم يفعله، كما قالت عائشة؟ لقد كانت روح الرسول وعقله ونفسه أقوى الأرواح والعقول والنفوس، وأزكاها، وأشدها قربًا من الله واتصالًا به، ولذا كان دائمًا بعين الله ووقايته، ولم يقل هو ﷺ إنه كان يخيل له فلعل عائشة هي التي توهمت ذلك وظنته، وواقعة السحر صحيحة من محاولات أعداء الله اليهود الذين حاولوا قتله برمي الحجر تارة وبالسم تارة. ولكن الرسول لم يصبه من السحر أي سوء ولا تغير في صحته

العامة ولا في رأسه ولا في جسده. والله أعلم. اهـ[1].

وواضح من المتن وتحقيقه في الكتابين أن المحقق - وهو الشيخ حامد الفقي - رأيه يخالف المؤلف سواء في كتاب فتح المجيد أم في زاد المعاد ويخالف رأي كل العلماء الذين نقل رأيهم في المتن والذين هم الأصوب في هذا الموضوع كما يتضح من شروح البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

***

رأي الشيخ عبد الرحمن الوكيل - رحمه الله -:

في تفسير الآيتين ٤٧، ٤٨ من سورة الإسراء، وهما قوله - عز من قائل -:

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾

[الإسراء: ٤٧، ٤٨].

قال الشيخ عبد الرحمن الوكيل في تفسيره لهاتين الآيتين:

شبهوه عليه الصلاة والسلام بالمجنون، وبالساحر، وبالكاهن، وبالشاعر، وغير ذلك مما أفكوه، هذا سر ما في الآية من جمع كلمة مثل ولن يكون أحد من هؤلاء الذين ذكروا نبيًّا لله، أما الساحر، فلأن الله وصف صنعته بأنها كفر وذلك في قوله جل شأنه: ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ولن يسيطر على الرسول كفر، ولا إرادة كافر، ولن يمس رسول الله سحر يجعله حلس التخيل، فيفقد المؤمنون ثقتهم الكبرى في رسولهم الهادي إلى الحق

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد - لابن القيم - تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي، ط. أنصار السنة - القاهرة جـ٣ ص٢١٨ - ٢٢١ باختصار.

بكتاب الله، وإنما هذه تهمة الشرك، وإفك الوثنية، إذ قالوا عن الرسول إنه رجل مسحور فالساحر شيطان من الإنس يستعين بشيطان من الجن، ومعاذ الله سبحانه أن يجعل لأحدها سبيلًا إلى عقل نبي من أنبيائه، أو فكره، تدبر الآية التي تقص قصة إبليس ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٣٩ - ٤٢].

ومس العقل من يجعل صاحبه رهن التخيل سلطان، والإمراض الذي ينتج الذهول سلطان، فهل يفهم الذين يظنون بالنبي أنه يسحر سحرًا يدفع به إلى التيه في أودية من التخيلات الوهمية، هل يفهم هؤلاء أن الله يخلف وعده ذلك المحكم مع الأنبياء؟ معاذ الله، فهم صفوة عباده، وأقدس أتقيائه(١).

فظاهر من كلامه أنه يشير تلميحًا لا تصريحًا إلى حديث الصحيحين في موضوع تأثر النبي ﷺ بالسحر الذي صنعه له لبيد بن الأعصم اليهودي، ويرد عليه أيضًا بمعارضته للقرآن.

* * *

رأي الدكتور سيد رزق الطويل - رحمه الله -:

في مجلة الهدي النبوي الجديدة والتي أصبحت تصدرها جماعة دعوة الحق الإسلامية بدلًا من جماعة أنصار السنة المحمدية يقول الدكتور سيد رزق الطويل رئيس مجلس الإدارة ورئيس تحرير المجلة في تفسيره لآيات سورة طه ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ

---

(١) سورة الإسراء - تفسير الشيخ عبد الرحمن الوكيل - إعداد ومراجعة مركز التراث والبحث العلمي - بالمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية - القاهرة ص٢٧٥، ٢٧٦.

مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴾ [طه: ٥٧، ٥٨].

بسحر : السحر هو الشيء المؤثر في خفية، مع احتيال، وتلطف فترى الأثر ولا تبصر الأسباب، وعدة الساحر في كل زمان ومكان أمران: مقدرة على الخداع وتضليل الحواس، وحيلة واسعة، ولذا نزه الله تعالى منه أنبيائه ورسله، فجعلهم أسمى من أن يسحروا (بفتح الياء) وأقوى من أن يُسحروا (بضم الياء) (١).

وحديث الصحيحين يدل على أن النبي ﷺ قد سُحر وأن هذا السحر قد استخرج من البئر فعوفي رسول الله ﷺ أي أن السحر كالأمراض كلها يمكن أن يصاب به الشخص ثم يعافى منه بالعلاج المناسب له.

ومما يؤكد رأي الدكتور سيد رزق الطويل في مسألة حديث سحر النبي ﷺ ما ذكره كتاب صواعق الحق المرسلة من فريق من علماء أنصار السنة المحمدية على الجنيين والكهان والسحرة للشيخ عبد المجيد محمد صالح حيث جمع فيه آراء كل من يعترض على هذا الحديث أو يؤوله، وقد نقل من الدكتور السيد رزق الطويل قوله:

فقد رغب الإخوة من أنصار السنة المحمدية بدمياط أن أكتب تقديمًا بين يدي هذه الرسالة، وهي الرسالة الثالثة التي تصدرها الجماعة بدمياط تتناول موضوعًا هامًّا كثر فيه القول بين القدماء والمحدثين، وهو سحر الرسول ﷺ وموقف الإسلام من السحر بعامته... إلى أن قال: ثم تؤكد الرسالة أن صحة الرواية لا تعني صحة المتن وعلماء السند لهم مقاييسهم التي يعولون عليها ومن هنا عندما تناقش علماء المتن هذا الحديث توقف في قبوله البعض لصريح آيات القرآن التي تنفي

---

(١) مجلة الهدي النبوي – جماعة دعوة الحق الإسلامية – رمضان ١٣٩٨هـ ص٤ .

وقوع السحر على رسل الله، ولأن السحر ليس ظاهرة مرضية تصيب الجسم، ولكنه يصيب العقل والتفكير وهما مناط العصمة التي اختص الله بها رسوله ورسله، وهناك آخرون حاولوا التوفيق بين السند الصحيح، والمتن المخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول.

وانتهت الرسالة على أن المسألة مسألة عقيدة والأخذ بالقرآن الكريم فيها مقدم بالإجماع على الأخذ بخبر الآحاد. اهـ.(١).

ونحن نقول لا يوجد تعارض بين القرآن وبين هذا الحديث الصحيح والجمع بين النصوص ممكن كما قال العلماء وكما نقلناه سابقًا وقد أصيب رسول الله ﷺ بالسحر ولكن هذا السحر لم يؤثر في عصمته ﷺ، وقد يكون الحكمة من ذلك التشريع لعموم الأمة بجواز وقوع السحر وجواز العلاج بالقرآن والرقي والأدعية الصحيحة.

وهذه مسألة طويلة ولا يحتمل المقام البسط أكثر من ذلك.

* * *

---

(١) صواعق الحق المرسلة من فريق من علماء أنصار السنة المحمدية على الجنيين والكهان والسحرة للشيخ عبد المجيد محمد صالح. ط. جماعة أنصار السنة المحمدية بحلوان ص١٤٦، ١٤٧.



المبحث الثالث

الحديث عن الجن

في تفسير الآية ٢٧ من سورة الحجر وهي قوله تعالى : ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾.

يقول الشيخ حامد :

والجن: يقال للروحانيات المستترة عن الحواس كلها بإزاء الإنس، فتدخل فيه الملائكة والشياطين، فكل ملائكة جن، وليس كل جن ملائكة.. وقوله من قبل أي من قبل خلق الإنسان...

فالملائكة والجن من لوازم حياة الإنسان في هذه الحياة الدنيا، لأنها كغيرها مما سخره الله له – من أسباب ابتلائه وامتحانه، فمن عرف حكمة الله ونعمته فيها، فأحسن الانتفاع بها ووضعها في موضعها فاز في الامتحان بالنجاح والفلاح، ومن أساء فهمها والانتفاع بها فوضعها في غير موضعها خسر الدنيا والآخرة.

«ونار السموم»: السم – بفتح السين وضمها- كل ثقب ضيق كخرق الأبرة وثقب الأنف، وجمعه: سموم- بضم السين – وقد سمه أي دخل فيه، ومنه السامة: وهم الخاصة الذين يتدخلون في بواطن الأمر. والسم القاتل: مصدر في معنى الفاعل؛ لأنه بلطفه في التأثير على البدن يدخل بواطن البدن ويتخلل مسامه ومجاريه الضيقة.

والسموم: الريح الحارة التي تؤثر تأثير السم. فتتخلل مسام الجسم ومجاريه الضيقة.

وقال الله: ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن: ١٥]، فالمارج: المختلط، أي من لهب مختلط، فهم كذلك من أخلاط من النار، كما أن الإنسان

من أمشاج من الأرض، وهؤلاء وأولئك بعضهم لبعض فتنة وبلاء[1].

* * *

(١) تفسير القرآن الحكيم – سورة الحجر – للشيخ محمد حامد الفقي – ط مركز التراث والبحث العلمي – جمعية أنصار السنة – ص١١٥-١١٦.



المبحث الرابع :

الحكم بغير ما أنزل الله

فتح المجيد – تحقيق محمد حامد الفقى – صـ ٣٩٦- مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م تعليقًا على تفسير قوله تعالى:

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

وهذا التحقيق فى أواخر حياة الشيخ حامد لأنه قال فيه أن الملك عبد العزيز آل سعود قد توفى عام ١٣٧٣ هـ فى ربيع الأول منها والشيخ حامد توفى ١٣٧٨ هـ.

قال ابن كثير رحمه الله: ونقل قصة الياسق.

ثم قال المحقق: ومثل هذا وشر منه من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال، ويقدمها على ما علم ويتبين له من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهو بلا شك كافر مرتد إذا أصر عليها ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله، ولا ينفعه أي اسم تسمى به، ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام والحج ونحوها(١).

وقال ص ٢٨٢ في تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء: ٥١] في التحقيق:

الذي يستخلص من كلام السلف رضي الله عنهم: أن الطاغوت كل ما صرف العبد وصده عن عبادة الله وإخلاص الدين والطاعة لله ولرسوله سواء في ذلك الشيطان من الجن والشيطان من الإنس، والأشجار والأحجار وغيرها، ويدخل في ذلك بلا شك الحكم بالقوانين الأجنبية عن الإسلام وشرائعه وغيرها من

(١) فتح المجيد- تحقيق محمد حامد الفقي- مطبعة السنة المحمدية- ص ٣٩٦.

كل ما وضعه الإنسان ليحكم به في الدماء والفروج والأموال، وليبطل بها شرائع الله، في إقامة الحدود وتحريم الربا والزنا والخمر ونحو ذلك، مما أخذت هذه القوانين تحللها وتحميها بنفوذها ومنفذيها، والقوانين نفسها طواغيت، وواضعوها ومروجوها طواغيت وأمثالها من كل كتاب وضعه العقل البشري ليصرف عن الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ إما قصدًا أو عن غير قصد من واضعه، فهو طاغوت(١).

ص ٤٣٣: باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك.

قال المحقق: في قرة العيون: وأما ما يحكم به الجهلة من الأعراب ونحوهم من سوالف آبائهم وأهوائهم فليس من هذا الباب لما فيه من النهي الشديد والخروج عن حكم الله ورسوله إلى ما يخالفه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وهذا كثير، فمن الناس من يحكم بين الخصمين برأيه وهواه، ومنهم من يتبع في ذلك سلفه ويحكم بما كانوا يحكمون به، وهذا كفر إذا استقر وغلب على من تصدى لذلك ممن يرجع إليه الناس إذا اختلفوا. اهـ.

والنص الصريح في إبطال حكم السوالف من حكام البدو غير المتدينين هو قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠](٢).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨٢.

(٢) المصدر السابق ص ٤٣٣.

تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

يقول عن الذين يحكمون بغير ما أنزل الله:

﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ الذين يستحبون العمى على الهدى، والباطل على الحق، وقول الآباء والشيوخ على قول الله وقول الرسول ﷺ وحكم نابليون وإخوانه ونظامهم وقوانينهم على حكم الله ورسوله والشرع الذي أنزله هدى للناس ليعيشوا عيشة راضية، ويحيوا به حياة طيبة(١).

***

القول الراجح في الحكم بغير ما أنزل الله.

والقول الراجح في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله أن الكفر كفران كفر اعتقادي وكفر عملي فمن جحد الحكم بما أنزل الله أو فضل حكمًا غير حكم الله تعالى على حكم الله أو ساوى بينهما فهذا كفر اعتقادي ومن لم يكن بهذا الوصف فالكفر كفر عملي لا يخرج عن الملة وهذا الذي قال فيه ابن عباس رضي الله عنهما: ليس كفرًا بالله وملائكته وكتبه ورسله وقال أيضًا: ليس كفرًا ينقل عن الملة كفر دون كفر وقد صحح الشيخ الألباني رحمه الله هذه الآثار عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، فقال في الحديث رقم ٢٥٥٢ من سلسلة الأحاديث الصحيحة:

١- روى ابن جرير الطبري (١٠ / ٣٥٥ / ١٢٠٥٣) بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾،

---

(١) مجلة الهدي النبوي- العدد ٢٤- ربيع أول ١٣٥٨هـ - السنة الثالثة.

قال: هي به كفر وليس كفرًا بالله وملائكته وكتبه ورسله.

٢- وفي رواية عنه في هذه الآية: إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، إنه ليس كفرًا ينقل عن الملة، كفر دون كفر.

أخرجه الحاكم (٢ / ٣١٣)، وقال (صحيح الإسناد) ووافقه الذهبي، وحقهما أن يقولا: على شرط الشيخين. فإن إسناده كذلك. ثم رأيت الحافظ ابن كثير نقل في تفسيره (٦ / ١٦٣) عن الحاكم أنه قال: (صحيح على شرط الشيخين)، فالظاهر أن في نسخة المستدرك المطبوعة سقطًا، وعزاه ابن كثير لابن أبي حاتم أيضًا ببعض الاختصار.

٣- وفي رواية أخرى عنه من رواية على بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم فهو ظالم فاسق. أخرجه ابن جرير (١٢٠٦٣).

قلت: وابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، لكنه جيد في الشواهد.

٤- ثم روى (١٢٠٤٧ - ١٢٠٥١) عن عطاء بن أبي رباح قوله:

(وذكر الآيات الثلاث): كفر دون كفر، وفسق دون فسق، وظلم دون ظلم. وإسناده صحيح.

٥- ثم روى (١٢٠٥٢) عن سعيد المكي عن طاووس (وذكر الآية)، قال: ليس بكفر ينقل عن الملة. وإسناده صحيح، وسعيد هذا هو ابن زياد الشيباني المكي، وثقه ابن معين والعجلي وابن حبان وغيرهم، وروى عنه جمع[1].

ثم يذكر الشيخ الألباني رحمه الله أثر أبي مجلز وهو من كبار التابعين واسمه

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة - للشيخ ناصر الدين الألباني - ط. مكتبة المعارف بالرياض - جـ٦ - القسم الأول - ح رقم ٢٥٥٢ - ص١١٣، ١١٤ .

لاحق بن حميد البصري السدوسي وهو يوضح فهم هذا الجيل الذي قال فيهم رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، فيقول:

٦- وروى (١٢٠٢٥ - ١٢٠٢٦) من طريقين عن عمران بن جرير قال: أتى أبا مجلز ناس من بني عمرو بن سدوس (وفي الطريق الأخرى: نفر من الإباضية (طائفة من الخوارج) فقالوا: أرأيت قول الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ أحق هو؟ قال: نعم. قالوا: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ أحق هو؟ قال: نعم. قالوا: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ أحق هو؟ قال: نعم. قال: فقالوا: يا أبا مجلز فيحكم هؤلاء بما أنزل الله؟ قال: هو دينهم الذي يدينون به، وبه يقولون وإليه يدعون - (يعني الأمراء) - فإن هم تركوا شيئًا منه عرفوا أنهم أصابوا ذنبًا. فقالوا: لا والله، ولكنك تفرق (أي تجزع وتخاف). قال: أنتم أولى بهذا مني: لا أرى، وإنكم أنتم ترون هذا ولا تحرجون، ولكنها أنزلت في اليهود والنصارى وأهل الشرك. أو نحوًا من هذا. وإسناده صحيح[١].

ثم يلخص الشيخ الألباني رحمه الله القول الراجح في هذه المسألة كما نقله عن تفسير الطبري فيقول:

وقد اختلف العلماء في تفسير الكفر في الآية الأولى على خمسة أقوال ساقها ابن جرير (١٠ / ٣٤٦ - ٣٥٧) بأسانيده إلى قائليها، ثم ختم ذلك بقوله (١٠ / ٣٥٨):

(١) المصدر السابق - ص١١٤ .

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب، لأن ما قبلها وما بعدها من الآيات فيهم نزلت، وهم المعنيون بها، وهذه الآيات في سياق الخبر عنهم، فكونها خبرًا عنهم أولى.

فإن قال قائل: فإن الله تعالى ذكره قد عم بالخبر بذلك عن جميع من لم يحكم بما أنزل الله، فكيف جعلته خاصًا؟ قيل: إن الله تعالى عم بالخبر بذلك عن قوم كانوا بحكم الله الذي حكم به في كتابه جاحدين، فأخبر عنهم أنهم بتركهم الحكم على سبيل ما تركوه - كافرون. وكذلك القول في كل من لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا به هو بالله كافر، كما قال ابن عباس، لأنه بجحوده حكم الله بعد علمه أنه أنزله في كتابه؛ نظير جحوده نبوة نبيه بعد علمه أنه نبي(١).

ثم يتبع ذلك بذكر رأيه هو - رحمه الله تعالى - في هذه المسألة أيضًا فيقول:

وجملة القول؛ أن الآية نزلت في اليهود الجاحدين لما أنزل الله، فمن شاركهم في الجحد، فهو كافر كفرًا اعتقاديًا، ومن لم يشاركهم في الجحد فكفره عملي لأنه عمل عملهم، فهو بذلك مجرم آثم، ولكن لا يخرج بذلك عن الملة كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنه: وقد شرح هذا وزاده بيانًا الإمام الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام في (كتاب الإيمان) (باب الخروج من الإيمان بالمعاصي) (ص ٨٤ - ٩٧ بتحقيقي)، فليراجعه من شاء المزيد من التحقيق.

وبعد كتابة ما سبق، رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يقول في تفسير آية الحكم المتقدمة في (مجموع الفتاوى) ٣ / ٢٦٨:

(أي هو المستحل للحكم بغير ما أنزل الله).

---

(١) المصدر السابق ص١١٤، ١١٥ .

ثم ذكر (٧ / ٢٥٤) أن الإمام أحمد سئل عن الكفر المذكور فيها؟ فقال: كفر لا ينقل عن الإيمان، مثل الإيمان بعضه دون بعض، فكذلك الكفر، حتى يجيء من ذلك أمر لا يختلف فيه.

وقال (٧ / ٣١٢):

وإذا كان من قول السلف أن الإنسان يكون فيه إيمان ونفاق، فكذلك في قولهم أنه يكون فيه إيمان وكفر؛ ليس هو الكفر الذي ينقل عن الملة، كما قال ابن عباس وأصحابه في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، قالوا: كفرًا لا ينقل عن الملة. وقد اتبعهم على ذلك أحمد وغيره من أئمة السنة[1]. اهـ.

وبالرجوع إلى تفسير ابن كثير وجدنا أنه ذكر الأقوال التي ذكرها ابن جرير الطبري، وذكر ترجيح ابن جرير المذكور سابقًا، ولم يذكر ترجيحه هو في هذه المسألة[2].

وفي تفسير القرطبي لهذه الآية قال:

قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، و﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ نزلت في الكفار كلها؛ ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث البراء، وقد تقدم. وعلى هذا المُعظم. فأما المسلم فلا يكفر وإن ارتكب كبيرة، وقيل: فيه إضمار؛ أي من لم يحكم بما أنزل الله ردًّا للقرآن، وجحدًا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام فهو كافر؛ قاله ابن عباس ومجاهد، فالآية عامة على هذا. قال ابن مسعود والحسن: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من

---

(١) المصدر السابق - ص١١٥، ١١٦ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير - ط. دار الفكر - لبنان - بيروت - ج٢ - ص٦٢ .

المسلمين واليهود والكفار أي معتقدًا ذلك ومستحلًّا له؛ فأما من فعل ذلك وهو معتقد أنه راكب محرم فهو من فساق المسلمين، وأمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له... وهذا يختلف إن حكم بما عنده على أنه من عند الله، فهو تبديل له يوجب الكفر؛ وإن حكم به هوى ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين(١).

وفي تفسير أضواء البيان للشيخ الشنقيطي قال في تفسيرها بعد أن أتى بقول ابن كثير وقول القرطبي:

قال مقيده عفا الله عنه: الظاهر المتبادر من سياق الآيات أن آية ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ نازلة في المسلمين، لأنه تعالى قال قبلها مخاطبًا لمسلمي هذه الأمة ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، ثم قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ فالخطاب للمسلمين كما هو ظاهر متبادر من سياق الآية، وعليه فالكفر إما كفر دون كفر، وإما أن يكون فعل ذلك مستحلًّا له، أو قاصدًا به جحد أحكام الله وردها مع العلم بها. أما من حكم بغير حكم الله، وهو عالم أنه مرتكب ذنبًا فاعل قبيحًا وإنما حمله على ذلك الهوى فهو من سائر عصاة المسلمين.

ثم ذكر أن الآية الثانية في اليهود والثالثة في النصارى وختم كلامه بتكرار ما ذكره وذكرناه عنه(٢).

وفي تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ذكر المأثور في تفسير الآيات فقال:

---

(١) تفسير القرطبي – ط. دار الشام للتراث – لبنان – ج٦ ص١٩٠، ١٩١ .

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – للشيخ محمد الأمين الشقنيطي – ط المدرسة السلفية – الإسكندرية – مصر – جـ٢ – ص٩٢، ٩٣ .

وإذا رجعنا إلى المأثور في تفسير الآيات نراهم تلوا عن ابن عباس رضي الله عنه أقوالًا منها قوله: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق...[1].

ثم يذكر رأيه الذي خرج به من هذا المأثور فيقول: والمراد أن عدم الحكم بما أنزل الله أو تركه إلى غيره وهو المراد - لا يعد كفرًا بمعنى الخروج من الدين، بل بمعنى أكبر المعاصي[2].

ثم يربط بين الواقع الذي عاش فيه وبين النصوص والتفسيرات المأثورة ويظهر في كلامه هذا التفصيل المذكور في الأقوال المأثورة فيقول: وقد استحدث كثير من المسلمين من الشرائع والأحكام نحو ما استحدث الذين من قبلهم. وتركوا بالحكم بها بعض ما أنزل الله عليهم.

فالذين يتركون ما أنزل الله في كتابه من الأحكام من غير تأويل يعتقدون صحته فإنه يصدق عليهم ما قاله الله تعالى في الآيات الثلاث أو في بعضها، كل بحسب حاله. فمن أعرض عن الحكم بحد السرقة أو القذف أو الزنى غير مذعن له لاستقباحه إياه وتفضيل غيره من أوضاع البشر عليه فهو كافر قطعًا. ومن لم يحكم به لعلة أخرى فهو ظالم إن كان في ذلك إضاعة الحق أو ترك العدل والمساواة فيه، وإلا فهو فاسق فقط، إذ لفظ الفسق أعم هذه الألفاظ، فكل كافر وكل ظالم فاسق وليس العكس[3].

وقد عقد الشيخ رشيد رضا بحثًا خاصًا في تفسيره في ست صفحات عن هذا الأمر سماه: بحث في عدم الحكم بما أنزل إليه وكونه كفرًا وظلمًا وفسقًا، ذكر فيه

---

(١) تفسير المنار - ط. دار الكتب العلمية - بيروت - جـ٦ - ص٣٣٤ .

(٢) المصدر السابق - ص٣٣٤ .

(٣) المصدر السابق ص٣٣٥ .

ما أوردناه عنه.

وفي تفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي قال عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ من الحق المبين، وحكم بالباطل الذي يعلمه، لغرض من أغراضه الفاسدة ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، وقد يكون كفرًا ينقل عن الملة. وذلك إذا اعتقد حله وجوازه. وقد يكون كبيرة من كبائر الذنوب، ومن أعمال الكفر، قد استحق من فعله، العذاب الشديد[1].

أما قول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

عندما ذكر الياسق وجنكيز خان ملك التتار الذي وضع لهم هذا الكتاب وهو عبارة عن مجموع أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعًا متبعًا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ثم قال:

فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير[2].

فهذا يوضحه ما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية عن جنكيز خان وإنه كان مشركًا بالله كان يعبد معه غيره، والأحوال الشيطانية التي كانت تحدث له مما يبين

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - ط جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت - جـ١ - ص٢٨٤ .

(٢) تفسير ابن كثير - ط . دار الفكر - بيروت - جـ٢ - ص٦٨ .

أن الياسق الذي وضعه كان إنكارًا لحكم الله تعالى وجحودًا له واستبدالًا لشرع الله تعالى وهذا لا يختلف أحد في أنه كفر أكبر مخرج من الملة[1].

أما تفسير الظلال - للأستاذ سيد قطب - فلم يلتفت إلى أقوال السلف في تفسير هذه الآيات ولم يورد أقوال ابن عباس أو عطاء أو طاوس أو الإمام أحمد أو أي من التفاسير السابقة ابن جرير أو القرطبي أو ابن كثير أو غيرهم ولذلك فقد خرج بفهم غريب لهذه الآيات حكم فيه بالكفر على الحكام والمحكومين وإخراج المجتمع المسلم كله إلى الجاهلية وهذا حكم خطير له آثار خطيرة في المجتمع، فنراه يقول: والله - سبحانه - يقول: إن المسألة - في هذا كله - مسألة إيمان أو كفر؛ أو إسلام أو جاهلية؛ وشرع أو هوى. وإنه لا وسط في هذا الأمر ولا هدنة ولا صلح فالمؤمنون هم الذين يحكمون بما أنزل الله – لا يحرفون منه حرفًا ولا يبدلون منه شيئًا - والكافرون الظالمون الفاسقون الذين لا يحكمون بما أنزل إليه.

وأنه إما أن يكون الحكام قائمين على شريعة الله كاملة فهم في نطاق الإيمان. وإما أن يكونوا قائمين على شريعة أخرى مما لم يأذن به الله، فهم الكافرون الظالمون الفاسقون. وإن الناس إما أن يقبلوا من الحكام والقضاة حكم الله وقضاءه في أمورهم فهم مؤمنون.. وإلا فما هم بالمؤمنين.. ولا وسط بين هذا الطريق وذاك[2].

ثم يقول عن الجاهلية:

والجاهلية ليست فترة تاريخية؛ إنما هي حالة توجد كلما وجدت مقوماتها في

---

(١) انظر : البداية والنهاية - لابن كثير - ط. دار الكتب العلمية - بيروت - جـ١٣ - ص١٢٨ .

(٢) في ظلال القرآن - للأستاذ سيد قطب - ط. دار الشروق - بيروت - جـ٢ - ص٨٨٨ .

وضع أو نظام.. وهي في صميمها الرجوع بالحكم والتشريع إلى أهواء البشر، لا إلى منهج الله وشريعته للحياة. ويستوي أن تكون هذه الأهواء أهواء فرد، أو أهواء طبقة، أو أهواء أمة، أو أهواء جيل كامل من الناس.. فكلها.. ما دامت لا ترجع إلى شريعة الله.. أهواء..[1].

لم يفرق الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - بين الكفر الاعتقادي والكفر العملي، ولا بين الجحود لما أنزل إليه وبين عدم الحكم به تهاونًا وكسلًا كما فعل جميع السلف الصالح فخرج إلى هذه الأحكام العامة بوصم الجميع بالكفر وبالجاهلية، وهذا - فيما نرى - وبحسب أقوال السلف الصالح الذين نقلناها خطأ وقع فيه، فغفر الله لنا وله.

حاكم يحكم بغير ما أنزل الله في عهد النبي ﷺ:

ثم إنه يوجد دليل قوي في حياة النبي ﷺ في عدم كفر الحاكم بغير ما أنزله الله بدون جحود.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في كتاب منهاج السنة:

وكذلك النجاشي هو وإن كان ملك النصارى فلم يطعه قومه في الدخول في الإسلام، بل إنما دخل معه نفر منهم، ولهذا لما مات لم يكن هناك من يصلي عليه فصلى عليه النبي ﷺ بالمدينة، خرج بالمسلمين إلى المصلى فصفهم صفوفًا وصلى عليه وأخبرهم بموته يوم مات، وقال: «إن أخًا لكم صالحًا من أهل الحبشة مات» وكثير من شرائع الإسلام - أو أكثرها - لم يكن دخل فيها لعجزة عن ذلك، فلم يهاجر ولم يجاهد ولا حج البيت، بل قد روى أنه لم يكن يصلي الصلوات

---

(١) المصدر السابق - ص٨٩١ .

الخمس، ولا يصوم شهر رمضان، ولا يؤدي الزكاة الشرعية، لأن ذلك كان يظهر عند قومه فينكرونه عليه، وهو لا يمكنه مخالفتهم.

ونحن نعلم قطعًا أنه لم يكن يمكنه أن يحكم بينهم بحكم القرآن، والله قد فرض على نبيه ﷺ بالمدينة أنه إذا جاءه أهل الكتاب لم يحكم بينهم إلا بما أنزل الله إليه وحذره أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله إليه، وهذا مثل الحكم في الزنا للمحصن بحد الرجم، وفي الديات بالعدل والتسوية في الدماء بين الشريف والوضيع، النفس بالنفس، والعين بالعين، وغير ذلك، والنجاشي ما كان يمكنه أن يحكم بحكم القرآن، فإن قومه لا يقرونه على ذلك(١).

* * *

---

(١) منهاج السنة - لابن تيمية - ط دار الكتب العلمية - جـ٥ - ص١١٢، ١١٣ .

* وهذا حكمه حكم المُكره ، فإنه لا يستطيع الحكم بالقرآن؛ لأن قومه لا يقرونه على ذلك. والله المستعان. [الناشر].



المبحث الخامس :

موقفه من حكام المسلمين

في عدد شعبان- شوال سنة ١٣٧٧ - ٨ - ١٠ المجلد ٢٢ ص ٢٣ وهو أول تفسير سورة الإسراء يقول رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى في صفة المسجد الأقصى ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ البركة هي زيادة الخير ودوام النفع به، والمراد بها هنا: خصب الأرض وطيبها، وطيب جوها ومناخها، وكثرة المياه والأنهار التي تجري بها، والتي يمكن أن تستغل أحسن استغلال، فيعود منها أكثر النفع وأوسع العيش وأرغده إذا عقل الناس وعملوا بسنن الله في تكثير بركات الأرض بحسن استغلالها وتقدير نعم الله عليهم فيها، وشكرها، ولكن -مع الأسف- غفلوا عن ذلك، وعموا عن سنن الله وعن شرائعه بما أوحى إليهم أعداؤهم -الصهيونيون المغضوب عليهم، والمخربون من الصليبيين، ومن الصوفية الجاهلية فزعموها بركة يتمسحون بترابها وجدرانها ومياهها وتمادت بهم هذه الغفلة حتى كاد أولئك الخبثاء الصهيونيون ينتزعونها من أيديهم مرة، بلى قد نجسوا بعضها بمحاولة اتخاذها وطنًا قوميًا، ومعقلًا للشر والسعي بالفساد في الأرض، ومعاونة كل مجرم وفاجر وشرير ومتوحش، ولكن قريبًا جدًا إن شاء الله سيردهم الله خائبين خاسرين، مرتكسين في حظيرة الذلة والصغار الذي ضربه الله عليهم بأيدي عباده المؤمنين اليقظين الذين يؤمنون بسنن الله وآياته وكتبه ورسالاته، ويأخذون سبيلهم في الحياة على هدى وبصيرة لا على تقليد أعمى وغفلة.

والله المرجو والمسئول من فضله أن يعجل بسرادق الذلة والصغار والمسكنة تضرب على اليهود الإسرائيليين وأعوانهم بكل اسم ولون - بيد وجند رئيسنا القوي الحازم الرئيس جمال عبد الناصر.

مكن الله له من رقابهم ومن رقاب كل عدو للمسلمين ولنبيهم ورسالة نبيهم، وجعلنا الله من جنده المجاهدين الصابرين لإعلاء كلمة الله، وإرغام أنوف أعدائه، وصلى الله وسلم وبارك على عبده الكريم ورسوله الأمين محمد وعلى آله أجمعين.

وقال في عدد ربيع الأول سنة ١٣٧٨ – عدد ٣ مجلد ٢٣ ص ٢٣، ٢٤: وقد بعث الله للعرب والمسلمين عبده (جمال عبد الناصر) أدام الله توفيقه وتأييده ونصره وتسديده، فأيقظه بصوت هذه الصدمة العنيفة في فلسطين الجريحة، ونفخ فيه روح العزة الإسلامية والحمية العربية، فصرخ صرخته بالقومية العربية، التي هي أساس الجامعة الإسلامية التي هزت صروح الصهيونية ومن وصلوا بها حبالهم من الأئمة الفجرة، وحوش البشرية، لا بل حشراتها السامة، وها هي الأحداث هنا وهناك تؤكد أن حبلهم قد رسّ، وأن يد عبد الله (جمال عبد الناصر) تشتد وتشتد وتمتد وتمتد ومن ورائها الأمة العربية الإسلامية، وقد ربطها الله برباط القومية العربية، ووثقه بأواصر الجامعة العربية الإسلامية القوية، وقد ملأ كلتا يديه مما صنع من الحديد الذي جعل الله فيه البأس الشديد والمنافع للناس، ومن أبرز وأهم منافعه: تحطيم كل عناصر الصهيونية الخبيثة المجرمة، الساعية في الأرض فسادًا والموقدة نيران العداوة والبغضاء بين بني الإنسان في كل زمان ومكان والمؤججة لحرائق الحروب.

وما أقرب ما ستحقق منافع الحديد التي كان من أهم ما عنى به الرئيس (جمال عبد الناصر) نصره الله وأعزه أن أقام له مصانع صنعت، وتصنع ما سيقطع الله به حبل أمريكا وإنكلترا وفرنسا وشيعتهم، ويقطع به دابر الصهيونية من الأرض، ليستطيع الإنسان أن يهنأ بالعيش الآمن في سلام، ويطمئن في سربه، وينام

آمنًا في أهله، وتعود العرب خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، والله غالب على أمره، وإن جند الله لهم الغالبون وإن حزب الله لهم المفلحون، وإن حزب الصهيونية حزب الشيطان لهم الخاسرون، وما هي إلا أيام معدودات ورايات النصر ترفرف على ربوع العالم العربي كله، وراية القرآن تظلل القلوب بهداها، وتبعث من آياته وشرائعه في النفوس والقلوب، حياة جديدة مثل ما كان في نفوس وقلوب الذين صبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله، فكان ويكون الفلاح،وصلى الله على وسلم وبارك على إمام المهتدين، وأصدق الصادقين عبد الله ورسوله الخاتم محمد وعلى وآله أجمعين.

وفي عدد جمادى الأولى وجمادى الثانية سنة ١٣٧٨ العدد ٥، ٦ – مجلد ٢٣، وهو آخر عدد كتب فيه قبل وفاته قال في ص ٢٢: وأسأل الله سبحانه وهو القادر على أن يعجل بالإجابة –أن يعجل الدمار على أعداء الإنسانية الطغاة الغواة في كل مكان، وأن يجمع العرب المسلمين شعوبًا ورؤساء على ما يحب ويرضى لهم من الخير والرشد والسداد والنصر العاجل على جميع الأعداء، وأن يجعل الخير والحق والرشد والحكمة على قلب ولسان عبده الرئيس جمال عبد الناصر، وأن يشد سلطانه، ويؤتيه الحكمة وفصل الخطاب، وأن يرفع على يده الموفقة راية الإسلام، ويعلي بقوة ساعده رءوس العرب والمسلمين، وأن يجعلنا من جنده المجاهدين في سبيله وابتغاء مرضاته لإعلاء كلمته ويعيذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ويتوفانا على صادق الإيمان وصالح الأعمال.

وفي العدد السابع – السنة الأولى – شوال ١٣٥٦ – العنوان: جلالة الملك الصالح فاروق الأول أيده الله بنصره (يسن سنة إسلامية يحيى بها من آثار الإسلام والسلف الصالح ما نسيه الناس):

شهدت مصر من الملك العادل، الناشئ في عبادة الله، المعلق قلبه بالمساجد -من آيات حرصه على الإسلام وتمسكه بشرائعه، ومحافظته على أحكامه، ما لم تشهد من زمن بعيد، فلا يفتأ الناس يرون من تواضعه العمري، وتنزله لمخالطة رعيته وشعبه، ومساواته لهم في مسيره ومركبه، وتنقله بينهم من مسجد إلى مسجد، ومن حي إلى حي، ويبدو لهم بوجهه السمح، وطلعته المشرقة، ويقوم في صلاته وعبادته مقامهم، لا ميزة له بفراش خاص، ولا مجلس خاص، وإنما ميزته بهذا التواضع الإسلامي، وبتلك النفس الناشئة في طاعة الله، المكتسبة من ذلك روح الرحمة، ومثال الشفقة، وصفو الإخلاص، ضاربًا في كل ذلك أحسن مثل للرجل المسلم الذي امتزجت حلاوة الإسلام ببشاشة قلبه، وسرت روحه مع الدين في مجاري الروح والدم منه.

لم يقف ذلك الفاروق العادل الصالح عند أداء الجمعة في المساجد بين شعبه ورعيته، بل وجد أن أكثر الناس -خصوصًا الطبقة العليا في شئون الدنيا من الأمة- لا أثر للإسلام الحق في آدابه وخلقه وهدايته، عندهم، وأنهم قد غلبتهم التقاليد الإفرنجية، وجرفتهم مفاتن المدنية الحديثة، حتى نسوا شرقيتهم وإسلامهم، وعكست نظرهم للإسلام، فأصبحوا يرونه بالعين الأوربية: علة التأخر، ومصدر الانحطاط، فزادهم ذلك من الإسلام نفورًا، وعن هدايته بعدًا، ذلك لأن أكثرهم لا يشهد من مجامع الإسلام جماعة ولا جمعة ولا عيدًا، ولا يطرق سمعه من شرائع الإسلام وآياته شيء، والقليل منهم إذا شهد شيئًا من ذلك تمثله في صورة الخطيب أو القارئ الذي هو عند هذا السامع صغيرًا...

***



المبحث السادس

علاقته بالأزهر وشيوخه

في العدد – شوال سنة ١٣٥٦ – العدد السابع – السنة الأولى:

العنوان: وفد جماعة أنصار السنة المحمدية يهنئ فضيلة الأستاذ الأكبر:

توجه يوم الأحد ٢ شوال وفد عظيم من جماعة أنصار السنة المحمدية من المركز العام للجماعة بعابدين إلى حلوان، وتشرفوا بمقابلة فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، وناصر السنة المحمدية، الشيخ محمد مصطفى المراغي، وألقى فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي رئيس الجماعة كلمة شرح فيها ما تكنه قلوب تلك الجماعة من إجلال وإكبار لفضيلة الأستاذ الأكبر، وأنهم جميعًا يتشرفون بتقديم خالص التهنئة بالعيد المبارك، والتهنئة على ما وفق الله الشيخ الأكبر في هذه الدروس الدينية التي يرفع الله بها شأن الإسلام ويعلي قدره، ويسألون الله أن يحقق للمسلمين ما يدعو إليه الشيخ الأكبر من وحدة في العقيدة، ووحدة في العلم، ووحدة في العمل، ووحدة في القلوب، وأن يوفق مولانا الشيخ لتكون هذه الدروس عامة في غير رمضان، لما لها من النفع العميم الذي ملأ قلوب المسلمين كافة غبطة وسرورًا.

وأنطق ألسنتهم بالشكر وخالص الدعاء.

ثم ختم كلمته بالدعاء الخالص لله أن يمد في حياة جلالة الملك الصالح، وأن ينيل مصر في عهده ما تصبو إليه من سعادة ورخاء، وأن يبارك في فضيلة الأستاذ الأكبر، وأن يزيد في صلته بجلالة الفاروق توثقًا، وأن يشد من عرى هذه الصلة ليجتمع الملك الصالح والعلم الصالح، فيفوز الناس من ثمراتها بأطيب الخيرات والنعم.



المبحث السابع :

حكم تارك الصلاة

وفي مسألة حكم تارك الصلاة يختار الرأي القائل بأنه مشرك وكافر، لا حظ له في الإسلام فيقول:

وقد حكم الله ورسوله على مضيع الصلاة بأنه مشرك وكافر، لا حظ له في الإسلام. قال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٧، ٤٨]، وقال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٤]، وقال ﷺ: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله» رواه البخاري ومسلم عن بريرة. وقال: «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة» رواه أحمد ومسلم عن جابر بن عبد الله. وقال: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» رواه أبو داود والنسائي والترمذي، وقال حسن صحيح.

وقال ابن حزم: وقد جاء عن عمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم: أن من ترك صلاة فرض واحد متعمدًا حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد، ولا نعلم لهؤلاء مخالفًا. اهـ.

والمروي عن السلف جميعًا أن تارك الصلاة يقتل إن لم يتب ويبادر إلى إقامتها[1].

والشيخ رحمه الله رجح رأي أحمد بن حنبل وترك رأي الجمهور المخالف

---

(١) مجلة الهدي النبوي - العدد ١٧ - شعبان سنة ١٣٥٧ - السنة الثانية - ص٥ .

لهذا الرأي فقد نقل الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة حديث رقم ٨٧ عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ (يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسري على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله، فنحن نقولها).

أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩) والحاكم (٤/ ٤٧٣) من طريق أبي معاوية عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان مرفوعًا به وزاد: (قال صلة بن زفر لحذيفة: ما تغنى عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟ فاعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثًا، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: يا صلة، تنجيهم من النار ثلاثًا) قال الحاكم: (صحيح على شرط مسلم) ووافقه الذهبي. قلت: وهو كما قالا. وقال البوصيري في الزوائد (ق ٢٤٨/ ١) (إسناده صحيح، رجاله ثقات)(١).

وفي شرح الحديث يقول الشيخ الألباني رحمه الله تحت عنوان حكم تارك الصلاة:

وفي الحديث فائدة فقهية هامة، وهي أن شهادة أن لا إله إلا الله تنجي قائلها من الخلود في النار يوم القيامة ولو كان لا يقوم بشيء من أركان الإسلام الخمسة الأخرى كالصلاة وغيرها، ومن المعلوم أن العلماء اختلفوا في حكم تارك الصلاة خاصة، مع إيمانه بمشروعيتها، فالجمهور على أنه لا يكفر بذلك، بل يفسق،

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة - ناصر الدين الألباني - ط المكتب الإسلامي - ج١ - ص١٢٧ .

وذهب أحمد إلى أنه يكفر وأنه يقتل ردة لا حدًا، وقد صح عن الصحابة أنهم كانوا لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة. رواه الترمذي والحاكم، وأنا أرى أن الصواب رأي الجمهور، وأن ما ورد عن الصحابة ليس نصًا على أنهم كانوا يريدون بـ(الكفر) هنا الكفر الذي يخلد صاحبه في النار ولا يحتمل أن يغفره الله له، كيف ذلك وهذا حذيفة بن اليمان - وهو من كبار أولئك الصحابة - يرد على صلة بن زفر وهو يكاد يفهم الأمر على نحو فهم أحمد له، فيقول: ما تغني عنهم لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صلاة...). فيجيبه حذيفة بعد إعراضه عنه: (يا صلة، تنجيهم من النار ثلاثًا). فهذا نص من حذيفة رضي الله عنه على أن تارك الصلاة، ومثلها بقية الأركان ليس بكافر، بل هو مسلم ناج من الخلود في النار يوم القيامة[١].

ثم ينقل الشيخ الألباني من الفتاوى الحديثية للحافظ السخاوي ما يؤيد رأي الجمهور ويستدل السخاوي بالحديث: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن، ولم يضيع منهن شيئًا استخفافًا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة»، أورده الألباني برقم ٣٢٣٨ في صحيح الجامع وقال صحيح.

ونقل أيضًا كلام الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله في حاشيته على المقنع (١/ ٩٥ - ٩٦) وهو من الحنابلة والذي نقل بدوره كلام الموفق ابن قدامة المقدسي وقال مؤيدًا لرأي الجمهور: وهذا أصوب القولين[٢].

وبالرجوع إلى كتاب المغني لابن قدامة نجد أنه عرض الرأيين في حكم تارك

---

(١) المصدر السابق ص١٣٠ .

(٢) المصدر السابق - ص١٣١ - ١٣٢ بتصرف .

الصلاة كسلًا أو تهاونًا رأي من قال بكفره ورأي من نفي عنه الكفر ورجح الأخير وقال إنه رأى الجمهور وقال في نهاية بحثه مؤيدًا للرأي الذي نفى الكفر عنه: ولأن ذلك إجماع المسلمين، فإننا لا نعلم في عصر من الأعصار أحدًا من تاركي الصلاة ترك تغسيله والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين ولا منع ورثته ميراثه ولا منع هو ميراث مورثه ولا فرق بين زوجين لترك الصلاة من أحدهما مع كثرة تاركي الصلاة، ولو كان كافرًا لثبتت هذه الأحكام كلها ولا نعلم بين المسلمين خلافًا في أن تارك الصلاة يجب عليه قضاؤها، ولو كان مرتدًا لم يجب عليه قضاء صلاة ولا صيام وأما الأحاديث المتقدمة فهي على سبيل التغليظ، والتشبيه له بالكفار لا على الحقيقة... كقوله عليه الصلاة والسلام: «من حلف بغير الله فقد أشرك»[1].. وأشباه هذا مما أريد به التشديد في الوعيد وهو أصوب القولين والله أعلم[2].

* * *

(١) الحديث رواه أحمد والترمذي والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما. وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٦٠٨٠، وفي السلسلة الصحيحة برقم ٢٠٤٢ .

(٢) المغني - لابن قدامة - ط. مكتبة الرياض الحديثة بالرياض - ج٢ - ص٤٤٦، ٤٤٧ .

المبحث الثامن

الفقي والمعجزات

وفي موضوع المعجزات، نجد أنه يقر بوجود المعجزات وأنها لا بد أن تخالف السنن الكونية وإلا لما كانت معجزات فيقول في تفسير قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٦٣].

ويوضح كيفية هذا الرفع قول الله تعالى في سورة الأعراف ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٧١].

والنتق: الجذب بشدة. وفسر بغايته وهو القلع. ومعناه: جذبنا الجبل بشدة ورفعناه فوق رءوسهم حتى صار كأنه ظله، وهي ما أظل من سقيفة أو سحاب. ويدل على ذلك قوله في آية النساء: ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ ﴾ [النساء: ١٥٤] حتى ظنوا أنه واقع بهم. والظن في القرآن يكون لنوع من اليقين كما تقدم في ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة: ٤٦] وكل هذه السياقات لهذا الحادث العظيم تدل على أنه كان أمرًا خارقًا للسنن الكونية معجزة لموسى عليه السلام، كما خرق الله له السنن في فلق البحر وتفجير الحجر باثنتي عشرة عينًا من الماء وأمثالها. وقد حاول بعض محققي المتأخرين وفضلائهم أن يجعل ذلك من قبيل الزلزال العادي الذي ليس فيه ما يخالف السنة الكونية، وهذا خطأ يغفره الله له(١).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ الآيات إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ

---

(١) مجلة الهدي النبوي – العدد ٥١ – لسنة ١٣٥٩ – ص٣ .

تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٦٧ - ٧٣].

يقر بتلك المعجزة وفحوى القصة أنه قد قتل قتيل في بني إسرائيل فذهبوا إلى موسى عليه السلام ليعرفوا القاتل فأوحى الله تعالى إلى موسى بذبح البقرة ثم أخذ جزءًا منها وضرب المقتول به فأحياه الله وقال لهم دمي عند فلان أي أخبرهم بقاتله ثم عاد ميتًا فقتل موسى عليه السلام القاتل، ونقل كلام الإمام أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن:

الرابعة: لما ضرب بنو إسرائيل الميت بتلك القطعة من البقرة قال: دمي عند فلان، فتعين قتله. وقد استدل مالك - في رواية ابن القاسم وابن وهب عنه - على صحية القول بالقسامة بقول المقتول دمي عند فلان هذا. وقال مالك: هذا ما يبين أن قول المقتول دمي عند فلان، مقبول ويقسم عليه، فإن قيل: كان هذا آية ومعجزة على يد موسى لبني إسرائيل، قلنا: الآية والمعجزة إنما كانت في إحياء الميت، فلما صار حيًّا كان كلامه كسائر كلام الآدميين كلهم في القبول والرد. وهذا فن دقيق من العلم لا يتفطن له إلا مالك، فإن قيل: فإنما قتله موسى بالآية، قلنا: ليس في القرآن أنه إذا أخبر وجب صدقه فلعله أمرهم بالقسامة معه، أو صدقه جبريل فقتله موسى، كما قتل النبي ﷺ الحارث بن سويد بالمجزر بن زياد بإخبار جبريل له بذلك(١).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم: ٥].

يقول العلامة محمد حامد الفقي في تفسيره أنه كما أرسل محمد ﷺ بلسان

(١) الهدي النبوي - العدد ٥٣ - رمضان ١٣٥٩ - ص٦، ٧ .

عربي مبين ليخرج الناس من الظلمات إلى النور أرسل موسى عليه السلام إلى قومه بالآيات البينات المعجزات ومنها: العصا واليد والآيات العلمية التشريعية في التوراة آمرًا له ومهيئًا له بهذه الآيات ليخرج قومه الذين أرسل إليهم من المصريين والإسرائيليين من ظلمات الجهل والشرك والذل والعبودية لفرعون إلى نور العلم والهدى والإيمان وتقدير نعم الله وشكرها والانتفاع بها في تزكية أنفسهم(١).

إقرار الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا - رحمهما الله - بالمعجزات :

أقر الشيخ محمد عبده بالمعجزات للأنبياء السابقين ، وكذلك الشيخ رشيد رضا، وكذلك الشيخ حامد الفقي حذا حذوهما، ففي تفسير المنار في تفسير قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٠]. قال الشيخ رشيد رضا نقلًا عن شيخه الشيخ محمد عبده:

قال الأستاذ الإمام: فلق البحر كان من معجزات موسى، وقد قلنا في رسالة التوحيد: أن الخوارق الجائزة عقلًا أي التي ليس فيها اجتماع النقيضين ولا ارتفاعهما لا مانع من وقوعها بقدرة الله تعالى على يد نبي من الأنبياء ، ويجب أن يؤمن بها على ظاهرها، ولا يمنعنا هذا الإيمان من الاهتداء بسنن الله تعالى في الخلق واعتقاد أنها لا تتبدل ولا تتحول، كما قال الله في كتابه الذي ختم به الوحي، على لسان نبيه الذي ختم به النبيين، فانتهى بذلك زمن المعجزات، ودخل الإنسان بدين الإسلام في سن الرشد، فلم تعد مدهشات الخوارق هي الجاذبة له إلى الإيمان وتقويم ما يعرض للفطرة (النوعية) بل أرشده تعالى بالوحي الأخير (القرآن) إلى استعمال عقله في تحصيل الإيمان بالله وبالوحي، ثم جعل له كل إرشادات الوحي

---

(١) تفسير القرآن الحكيم (سورة إبراهيم)، العلامة محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى، مركز التراث والبحث العلمي، ص٢٤ .

مبينة معللة مدللة حتى في مقام الأدب (كما أوضحنا ذلك في رسالة التوحيد)(١).

ثم قال السيد رشيد رضا نقلًا عن شيخه أيضًا: قال وزعم الذين لا يحبون المعجزات من المتهورين أن عبور بني إسرائيل البحر كان في إبان الجزر، فإن في البحر الأحمر رقارق وإذا كان الجزر شديدًا يتيسر للإنسان أن يعبر ماشيًا، ولما اتبعهم فرعون بجنوده ورآهم قد عبروا البحر تأثرهم وكان المد تفيض ثوائبه (وهي المياه التي تجيء عقيب الجزر)، فلما نجا بنو إسرائيل كان المد قد طغى وعلا حتى أغرق المصريين، تحقق إنعام الله على بني إسرائيل يتم بهذا التوفيق لهم والخذلان لعدوهم، ولا ينافي الامتنان به عليهم كونه ليس آية لموسى عليه السلام، فإن نعم الله بغير طريق المعجزات أعم وأكثر – كذا قالوا، قال شيخنا: ولكن يدل على كونه آية له وصف كل فرق منه بالطود العظيم، وإذا تيسر تأويل كل آيات القصة من القرآن فإنه يتعسر تأويل قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]، وهو الموافق لما في التوراة(٢).

ثم تكلم الشيخ رشيد رضا عن وصف كلام هؤلاء الذين يؤولون المعجزات، ثم قال: هذا ما انتهى إليه تأويل المؤولين ولم يبسطه الأستاذ الإمام في الدرس، وإنما قرر أن فرق البحر كان معجزة لموسى عليه السلام، وحكى عن المتهورين من الذين لا يحبون المعجزات خلافه، وهو أنهم يزعمون أن عبور البحر كان في وقت الجزر، وإنما بسطنا تأويلهم لئلا يتوهموا أننا لم نقل به لأننا لم نهتد لتوجيهه مثلهم(٣).

---

(١) تفسير المنار – للشيخ رشيد رضا – ط. دار الكتب العلمية – بيروت – ج١ – ص٢٥٩.

(٢) المرجع السابق – ص٢٥٩-٢٦٠.

(٣) المرجع السابق ص٢٦٠.

معجزات النبي ﷺ عند الفقي :

وفي تفسير الآية : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧].

أقر الشيخ حامد – رحمه الله – بمعجزات النبي ﷺ كلها وأعظمها القرآن الكريم، فقال :

أما آيات خاتم المرسلين محمد ﷺ ومعجزاته التي أيده الله تعالى بها، ودفع بها باطل قريش، وكل كافر به إلى أن تقوم الساعة، فلا يكاد يحصيها العد، حتى شاهدوه واقعًا تحت أبصارهم من إجابة الشجر لدعائه ﷺ، وتكثير الطعام في يده، ونبع الماء من بين أصابعه، ونزول الملائكة لتأييده ونصره، وأمثال ذلك مما امتلأت به صحف التاريخ والسير والحديث، ويتناقله الكافة عن الكافة طبقة بعد طبقة وجيلًا بعد جيل إلى يوم الناس هذا، نقلًا يقطع ألسنة الخراصين الذين هم في غمرة ساهون... وأعظم تلك الآيات وأجلها، وأنصعها بياضًا، وأقواها حجة ونورًا وأصدقها لسانًا، تلك الآية الباقية على وجه الدهر، التي لا يزيدها كر الأيام ومر الليالي إلا صفاء وسطوعًا، ولا تزيدها حوادث الدهر، إلا قوة وصدقًا، تلك هي آية القرآن الكريم[١].

* * *

(١) تفسير القرآن الحكيم – سورة الرعد – ط. مركز التراث والبحث العلمي – جماعة أنصار السنة – ص٥٨-٥٩.

المبحث التاسع

المحكم والمتشابه

كنت أتعجب كثيرًا من صنيع هؤلاء العلماء الأجلاء الذين ألفوا لنا الكتب القيمة في علوم القرآن وفي كثير من التفاسير إذ يجعلون الآيات التي يذكر فيها صفات الله تعالى وخاصة الصفات الذاتية منها كالكلام واليد والعين والوجه واللسان والاستواء على العرش وغير ذلك، من الآيات المتشابهة المقصودة في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

فكيف يصف الله تبارك وتعالى نفسه في آيات متشابهة؟ وكيف تكون آيات الصفات متشابهات والسلف الصالح لم يختلفوا في فهمها مطلقًا، أعني الرسول ﷺ وأصحابه الكرام رضوان الله تعالى عليهم جميعًا؟

ولقد رجعت إلى كتب علوم القرآن مثل كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي فوجدت أنه جعل آيات الصفات من المتشابهات.

فيقول تحت عنوان: النوع الثالث والأربعون في المحكم والمتشابه: (فصل) من المتشابه آيات الصفات ولابن اللبان فيها تصنيف مفرد نحو الرحمن على العرش استوى، كل شيء هالك إلا وجهه، ويبقى وجه ربك، ولتصنع على عيني، يد الله فوق أيديهم، والسماوات مطويات بيمينه، وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى ولا

نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها[١].

والذي أوقعه في ذلك هو هذا الاعتقاد الذي يصفه بأنه اعتقاد جمهور أهل السنة والسلف وأهل الحديث بأن الحق هو تفويض المعنى مع تنزيه الله تعالى عن حقيقتها بينما الصحيح والاعتقاد الحق هو معرفة المعنى وتفويض الكيفية ووصف الله تعالى بظاهر هذه الألفاظ مع نفي المماثلة والمشابهة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وكذلك فعل الزركشي (ت ٧٩٤) في كتاب البرهان في علوم القرآن حيث كان النوع السابع والثلاثون في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات[٢].

وكذلك أيضًا فعل الزرقاني في مناهل العرفان في علوم القرآن حيث قال في المبحث الخامس عشر في محكم القرآن ومتشابهة تحت عنوان متشابه الصفات:

عرفنا أن المتشابهات تجمع ألوانًا مختلفة ونزيدك هنا أن من بينها لونين كثر الكلام فيهما (أولهما) فواتح السور نحو: الم، ق، طس، وما أشبهها، وقد أفضنا القول فيها بالمبحث السابع من الجزء الأول من هذا الكتاب. (ثانيهما) الآيات المشكلة الواردة في شأن الله تعالى، وتسمى آيات الصفات، أو متشابهة الصفات. ولابن اللبان فيها تصنيف مفرد، سماه (رد المتشابهات إلى الآيات المحكمات) مثل قوله سبحانه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وما أشبهه، وإنما أفرد هذا النوع بالذكر والتأليف لأنه كثر فيه القيل والقال وكان فتنة ارتكس فيها كثير من القدامى والمحدثين[٣].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن - للسيوطي - ط. مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - الطبعة الثالثة ١٩٥١م - جـ٢ - ص٦ .

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي - ط. دار الكتب العلمية جـ٢ ص٤٨.

(٣) مناهل الفرقان في علوم القرآن - محمد عبد العظيم الزرقاني - ط. دار إحياء الكتب =

وكرر نفس الاعتقاد الذي قال به السيوطي في كتاب الإتقان ويرد عليه بنفس الرد.

١ - وفي تفسير ابن كثير (ت ٧٧٤هـ).

وقيل في المتشابهات: المنسوخة والمقدم والمؤخر والأمثال فيه والأقسام وما يؤمن به ولا يعمل به، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقيل هي الحروف المقطعة في أوائل السور قاله مقاتل بن حيان... وأحسن ما قيل فيه هو الذي قدمنا وهو الذي نص عليه محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله حيث قال ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧] فهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه. قال: والمتشابهات في الصدق ليس لهن تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام ألا يصرفن إلى الباطل ولا يحرفن عن الحق[١].

وهكذا نرى أنه لم يأت بمثال آيات الصفات كمثال من أمثلة المتشابه.

٢- وفي تفسير الطبري (ت ٣١٠هـ) فسر هذه الآية فيما يزيد عن أربعين صفحة لم يأت فيها ضرب المثل بآيات الصفات كآيات متشابهات وأقواله تقريبًا ملخصة في تفسير ابن كثير[٢].

٣- وتفسير البغوي (الفراء) (ت ٥١٦هـ) لم يضرب مثلًا بآيات الصفات عند تفسير المتشابهات من هذه الآية[٣].

= العربية - بيروت - فيصل عيسى البابي الحلبي - ج٢ ص٢٨٦ .

(١) تفسير ابن كثير - ط. دار الفكر - بيروت - جـ١ - ص٣٤٦ .

(٢) تفسير الطبري - بتحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر - ط. دار المعارف بمصر ج٦ - ص١٦٩ - ص٢١١هـ.

(٣) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل - ط جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت ص١١٣- ١١٥ .

واستكمالًا لهذا البحث رجعت إلى التفاسير الآتية:

٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي طبعة إحياء التراث الإسلامي بالكويت.

٥- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للشيخ أبو بكر جابر الجزائري، ط. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي - من مطبوعات المدرسة السلفية - الإسكندرية - مصر.

٧- في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب - ط. دار الشروق - بيروت - لبنان.

٨- زبدة التفسير مختصر فتح القدير للشوكاني - لمحمد سليمان عبد الله الأشقر - ط. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت.

٩- تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي - ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان (ت ٨٦٤هـ، ت٩١١هـ).

١٠- أحكام القرآن للجصاص - (ت ٣٧٠هـ) - ط. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

١١- مختصر تفسير ابن كثير - للشيخ محمد علي الصابوني - ط. دار القرآن الكريم - بيروت - لبنان.

١٢- المختصر في تفسير القرآن - د. عدنان زرزور - ط. مؤسسة الرسالة - بيروت.

وهذه التفاسير لم يذكر فيها التمثيل بآيات الصفات للآيات المتشابهات ثم رجعت أيضًا إلى التفاسير الآتية.

١٣- تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت ٦٧١هـ)، دار الشام للتراث.

١٤- صفوة البيان لمعاني القرآن - للشيخ حسنين محمد مخلوف - (ت ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) ط. مطبعة المدني - القاهرة.

١٥- الأساس في التفسير - للشيخ سعيد حوى ت (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) - ط. دار السلام - القاهرة.

١٦- التفسير الوجيز ومعجم معاني القرآن العزيز - د. وهبه الزحيلي - ط. دار الفكر - دمشق - سوريا.

١٧- تفسير الكشاف للزمخشري - ط. دار المعرفة - بيروت - لبنان.

١٨- تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار - محمد رشيد رضا - ط. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

وهذه التفاسير ذكرت التمثيل بآيات الصفات للمتشابه.

أما هذه التفاسير التالية فلم يرد فيها ذكر للموضوع.

١٩- التفسير القيم - لابن القيم - ط. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٢٠- أحكام القرآن - للشافعي - جمع البيهقي - ط. دار الفكر - بيروت - لبنان.

٢١- أحكام القرآن لأبي بكر ابن العربي - ط. دار المعرفة - بيروت - لبنان.

٢٢- نيل المرام من تفسير آيات الأحكام - السيد محمد صديق حسن - ط. مطبعة المدني - جدة.

الرد على أن آيات الصفات في القرآن من المتشابه وليست من المحكم والاستدلال بالآية (آل عمران ٧) على نفي العلم بالمعنى.

يقول ابن تيمية في الرسالة التدمرية ص٥:

وأما الإثبات المفصل فإنه ذكر من أسمائه وصفاته وما أنزله في محكم آياته كقوله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]... الآية بكمالها وقوله في

سورة الإخلاص ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ السورة.

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٣، ٤].

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١](١).

فانظر كيف جعل شيخ الإسلام آيات الصفات من المحكمات ونحن إذا فكرنا قليلًا في هذا الأمر سنجد أن الله تبارك وتعالى لا يمكن أن يصف نفسه في آيات القرآن ثم يجعلها من المتشابه فهو يريد أن يعرفنا بصفاته فكيف يتأتى ذلك بآيات متشابهات يمكن أن يحدث فيها خلاف، فإنه لا يتوصل إلى هذا الغرض إلا بالآيات المحكمات التي لا يحدث فيها أي خلاف معتبر.

ويقول ابن تيمية رحمه الله في رسالة الإكليل في المتشابه والتأويل: ولهذا قال طائفة من المفسرين المتقدمين: أن المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ(٢).

ثم يقول إننا مطالبون بالتدبر لجميع آيات القرآن محكمة ومتشابهة، ولا يشذ عن هذه القاعدة أي آية في كتاب الله عز وجل.

ولم يقل في المتشابه لا يعلم تفسيره ومعناه إلا الله، وإنما قال: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ وهذا هو فصل الخطاب بين المتنازعين في هذا الموضع، فإن الله أخبر أنه لا يعلم تأويله إلا هو. والوقف هنا على ما دل عليه أدلة كثيرة وعليه أصحاب رسول الله ﷺ وجمهور التابعين وجماهير الأمة.

---

(١) الرسالة التدمرية - لشيخ الإسلام ابن تيمية - ط. المطبعة السلفية - ص٥ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية - ط مكتبة ابن تيمية - ج١٣ - ص٢٢٢ .

ولكن لم ينف علمهم بمعناه وتفسيره بل قال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص: ٢٩] وهذا يعم الآيات المحكمات والآيات المتشابهات وما لا يعقل له معنى لا يتدبر: وقال ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ [النساء: ٨٢، محمد: ٢٤] ولم يستثن شيئًا منه نهى عن تدبره والله ورسوله إنما ذم من اتبع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فأما من تدبر المحكم والمتشابه كما أمره الله وطلب فهمه ومعرفة معناه فلم يذمه الله، بل أمر به ومدح عليه(١).

وينفي ابن تيمية أن يكون الضمير في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ عائدًا على المتشابه فقط فيقول: وقوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ إما أن يكون الضمير عائدًا على الكتاب، أو على المتشابه فإن كان عائدًا إلى الكتاب... فقد بينا أن ذلك التأويل لا يعلمه وقتًا وقدرًا ونوعًا وحقيقة إلا الله.

وإن كان الضمير عائدًا إلى ما تشابه، كما يقول كثير من الناس فلأن المخبر به من الوعد والوعيد متشابه بخلاف الأمر والنهي(٢).

ثم يوضح هذا الكلام فيقول: ويبين ذلك أن الله يقول عن الكفار: ﴿ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴾ [الإسراء: ٤٥، ٤٦]، فقد أخبر - ذمًا للمشركين - أنه إذا قرئ عليهم القرآن حجب بين أبصارهم وبين الرسول بحجاب مستور، وجعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرًا. فلو كان أهل العلم والإيمان على قلوبهم أكنة أن يفقهوا بعضه لشاركوهم في ذلك، وقوله: ﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾ يعود إلى القرآن كله، فعلم أن الله

---

(١) المصدر السابق ج١٣ - ص٢٧٥ .

(٢) المصدر السابق ص٢٨٠، ٢٨١ .

يحب أن يفقه؛ ولهذا قال الحسن البصري: ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم في ماذا أنزلت وماذا عنى بها، وما استثنى من ذلك لا متشابهًا ولا غيره.

وقال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس من أوله إلى آخره... أقف عند كل آية وأسأل عنها. فهذا ابن عباس حبر الأمة وهو أحد من كان يقول: لا يعلم تأويله إلا الله، يجيب مجاهدًا عن كل آية في القرآن.

وهذا هو الذي حمل مجاهدًا ومن وافقه كابن قتيبة على أن جعلوا الوقف عند قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾، فجعلوا الراسخين يعلمون التأويل. لأن مجاهدًا تعلم من ابن عباس تفسير القرآن كله، وبيان معانيه فظن أن هذا هو التأويل المنفي عن غير الله[1].

وأما جعل آيات الصفات من المتشابه فيرد على ذلك ويقول: وأما إدخال أسماء الله وصفاته أو بعض ذلك في المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله. أو اعتقاد أن ذلك هو المتشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله، كما يقول كل واحد من القولين طوائف من أصحابنا وغيرهم، فإنهم وإن أصابوا في كثير مما يقولونه ونجوا من بدع وقع فيها غيرهم فالكلام على هذا من وجهين:

الأول: من قال إن هذا من المتشابه وأنه لا يفهم معناه، فنقول: أما الدليل على بطلان ذلك فإنني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ونفى أن يعلم أحد معناه وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا إن الله ينزل كلامًا لا يفهم أحد معناه وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة، قالوا في أحاديث الصفات: تمر كما جاءت، ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها

---

(١) المصدر السابق ج١٣ - ص٢٨٣-٢٨٤ .

التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه...

فتأويل هؤلاء المتأخرين من الأئمة تحريف باطل وكذلك نص أحمد في كتاب (الرد على الزنادقة والجهمية) أنهم تمسكوا بمتشابه القرآن. وتكلم أحمد على ذلك المتشابه وبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية وجرى في ذلك على سنن الأئمة قبله. فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون معنى هذا المتشابه وأن لا يسكت عن بيانه وتفسيره بل يبين ويفسر باتفاق الأئمة من غير تحريف له عن مواضعه، أو إلحاد في أسماء الله وآياته(١).

ثم يرد ابن تيمية على الذين يفهمون القول المأثور (الاستواء معلوم) أن ورود هذا اللفظ في القرآن معلوم ويبين أن هذا الفهم ضعيف فيقول:

فإن قيل: معنى قوله الاستواء معلوم أن ورود هذا اللفظ في القرآن معلوم كما قاله بعض أصحابنا الذين يجعلون معرفة معانيها من التأويل الذي استأثر الله بعلمه.

قيل: هذا ضعيف: فإن هذا من باب تحصيل الحاصل فإن السائل قد علم أن هذا موجود في القرآن وقد تلا الآية. وأيضًا فلم يقل: ذكر الاستواء في القرآن، ولا إخبار الله بالاستواء؛ وإنما قال: الاستواء معلوم. فأخبر عن الاسم المفرد أنه معلوم، لم يخبر عن الجملة.

وأيضًا فإنه قال: (والكيف مجهول) ولو أراد ذلك لقال معنى الاستواء مجهول، أو تفسير الاستواء مجهول، أو بيان الاستواء غير معلوم، فلم ينف إلا العلم بكيفية الاستواء، لا العلم بنفس الاستواء. وهذا شأن جميع ما وصف الله به نفسه، لو قال في قوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] كيف يسمع وكيف

---

(١) المصدر السابق - ص٢٩٤ - ٢٩٥ .

يرى؟ لقلنا: السمع والرؤيا معلوم والكيف مجهول، ولو قال: كيف كلم الله موسى تكليمًا؟ لقلنا: التكليم معلوم والكيف غير معلوم.

وأيضًا فإن من قال هذا من أصحابنا وغيرهم من أهل السنة: يقرون بأن الله فوق العرش حقيقة وأن ذاته فوق ذات العرش، لا ينكرون معنى الاستواء ولا يرون هذا من المتشابه الذي لا يعلم معناه بالكلية.

ثم السلف متفقون على تفسيره بما هو مذهب أهل السنة.

قال بعضهم: ارتفع على العرش، علا على العرش. وقال بعضهم عبارات أخرى، وهذه ثابتة عن السلف، قد ذكر البخاري في صحيحه بعضها في آخر كتاب (الرد على الجهمية). وأما التأويلات المحرفة مثل استولى وغير ذلك فهي من التأويلات المبتدعة لما ظهرت الجهمية[1].

ثم يبين هذا الإمام الجليل - شيخ الإسلام ابن تيمية - أن اتباع المتشابه ليس في الصفات، ولم يقل رسول الله ﷺ ذلك فيقول:

وأيضًا قد ثبت أن اتباع المتشابه ليس في خصوص الصفات؛ بل في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال لعائشة: «يا عائشة إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذريهم» وهذا عام. وقصة صبيغ بن عسل مع عمر بن الخطاب من أشهر القضايا فإنه بلغه أنه يسأل عن متشابه القرآن حتى رآه عمر فسأل عمر عن ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ [الذاريات: ١] فقال: ما اسمك؟ قال: عبد الله صبيغ، فقال: وأنا عبد الله عمر، وضربه الضرب الشديد. وكان ابن عباس إذا ألح عليه رجل فسأله من هذا الجنس يقول ما أحوجك أن يصنع بك كما صنع عمر بصبيغ.

---

(١) المصدر السابق - ج١٣ - ص٣٠٩- ٣١٠ .

وهذا لأنهم رأوا أن غرض السائل ابتغاء الفتنة لا الاسترشاد والاستفهام، كما قال النبي ﷺ: «إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه» وكما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران: ٧] فعاقبوهم على هذا القصد الفاسد، كالذي يعارض بين آيات القرآن، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك وقال: «لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض»[١]. فإن ذلك يوقع الشك في قلوبهم. ومع ابتغاء الفتنة ابتغاء تأويله الذي لا يعلمه إلا الله، فكان مقصودهم مذمومًا ومطلوبهم متعذرًا مثل أغلوطات المسائل التي نهى رسول الله ﷺ عنها[٢].

وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، تحقيق محمد حامد الفقي- ص٤٠٧، قال في شرح المتن: من جحد شيئًا من الأسماء والصفات، وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [١٣: ٣٠] وفي صحيح البخاري قال علي: (حدثوا الناس بما يعرفونه، أتريدون أن يكذب الله ورسوله) وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلًا انتفض - لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات - استنكارًا لذلك - فقال: ما فَرَق هؤلاء؟ يجدون فهمه عند محكمه ويهلكون عند متشابهه). انتهى.

قال الشارح: قلت وليس في هذه الآثار ونحوها ما يشعر بأن أسماء الله تعالى وصفاته من المتشابه، وما قال النفاة من أنها من المتشابه دعوى بلا برهان.

---

(١) الحديث رواه ابن ماجه في مقدمة السنن برقم ٨٥، وقال المحقق: في الزوائد: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وهو في مجمع الزوائد للهيثمي في كتاب العلم، باب ما جاء في المراء، قال: ورجاله ثقات أثبات (ج١ ص١٥٦).

(٢) المصدر السابق - ج١٣ - ص٣١١ .

قال: وأخرج ابن جرير من طريق ابن مالك عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود وثابت من الصحابة رضي الله عنهم (المحكمات: أنها نسخت التي يعمل بهن، والمتشابهات المنسوخات).

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان: (إنما قال: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لأنه ليس من أهل دين لا يرضى بهن ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ يعني: فيما بلغنا «الم» و«المص»، و«المر»[1].

* * *

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ - ط: مطبعة السنة المحمدية - القاهرة - تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي - ص٤٠٧.

المبحث العاشر :

الجنة التي سكنها آدم عليه السلام

وفي مسألة الجنة التي أسكنها الله آدم وزوجته نقل الشيخ حامد الفقي أولًا قول القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥].

قال القرطبي: قال لآدم اسكن، أي لازم الإقامة، واتخذها سكنًا وهو محل السكون، قال: وفيه تنبيه على الخروج؛ لأن السكنى لا تكون ملكًا(١) .

ثم قال الشيخ حامد بعد أن تكلم عن خلق حواء من ضلع آدم: وقد أكثر العلماء القول في الجنة التي أسكنها الله آدم وزوجته، والذي أعتقده أنها جنة الخلد التي أعدت للمتقين، ذلك لأن الله تعالى قال: (الجنة) معرفة بلام العهد أي الجنة المعروفة في لسان القرآن والمعروفة للملائكة وآدم، التي حرم منها إبليس وأبعد عنها مذمومًا مدحورًا عليه اللعنة ومن تبعه.

وقد وصفها الله سبحانه في سورة طه قال: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [طه: ١١٧- ١١٩].

وأي بستان في الدنيا مهما كثرت فواكهه وغزر ماؤه وعذب شرابه فإنه لا بد أن يحس ساكنه مرة بالجوع والعطش، وتبلى ثيابه ويجد من حرارة الشمس، فلا تكون هذه الصفات إلا لجنة الخلد التي أعدت للمتقين.

وقد جاءت السنة الثابتة ما يزيد ذلك عندي قوة وثبوتًا؛ إذ جاء في صحيح البخاري في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ عن أبي هريرة عن

---

(١) مجلة الهدي النبوي –العدد ٣١– شوال سنة ١٣٥٨ ص ٢.

النبي ﷺ قال: «حاج موسى آدم فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك فأشقيتهم...» وفي لفظ: «وأسكنك جنته»، وهذا الحديث قد رواه مسلم وغيره.

وقال ابن عبد البر: هذا الحديث ثابت بالاتفاق؛ رواه عن أبي هريرة جماعة من التابعين، وروي عن النبي ﷺ من وجوه أخرى من رواية الأئمة الثقات الأثبات. اهـ. وانظر طرقه في فتح الباري (جـ١١ ص ٤٠٧) في أبواب القدر.

ومثل هذه الاطلاقات بهذه الألفاظ إنما تعرف في لسان القرآن والسنة على ما هو متعارف فيهما المشتهر فيه استعمال اللفظ لما يعرف من معناه كذلك بطريق البداهة من غير احتياج إلى قرينة.

وقد أطال الإمام العلامة المحقق ابن القيم في ذلك في كتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح وذكر قول كل فرقة وساق حججها، وما ردت به على الأخرى، واختار أنها جنة في الدنيا وليست جنة المأوى، وأما في كتاب «مفتاح دار السعادة» فإنه جرى على أنها جنة المأوى.

ونلخص لك من «مفتاح دار السعادة» طرفًا قد ينفعك الله به إن شاء الله تعالى؛ لأنه كلام نفيس كل النفاسة[١].

وبذلك فقد خالف الشيخ حامد الفقي شيخه الشيخ رشيد أيضًا في الجنة التي أسكنها الله آدم فقد أيد الشيخ رشيد رأي الشيخ محمد عبده بأنها جنة في الدنيا[٢].

وقد نقل الشيخ حامد عن الإمام ابن القيم نقلًا طويلًا في فوائد إهباط الله لآدم من الجنة إلى الأرض ثم عودته إلى الجنة بعد ذلك، ومن هذه الفوائد التي

---

(١) مجلة الهدي النبوي -العدد ٣١- شوال سنة ١٣٥٨ - الجزء السابع- من السنة الثالثة- ص ٣، ٤.

(٢) انظر تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا- ط. دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان جـ١ ص ٢٢٨، ٢٢٩.

ذكرها ابن القيم في كتاب «مفتاح دار السعادة»:

١ - أراد الله أن يذيقه وولده من نصب الدنيا ليعرفوا قدر الجنة عندما يدخلون إليها في الدار الآخرة.

٢ - أراد الله أمرهم ونهيهم واختبارهم وليست الجنة دار تكليف.

٣- أراد الله أن يتخذ منهم أنبياء ورسلًا وأولياء وشهداء.

٤- ليظهر فيهم آثار أسمائه الحسنى مثل الغفور الرحيم العفو الحليم الخافض الرافع، المعز المذل.

٥- وليظهر الإيمان بالغيب الذي هو الإيمان النافع.

٦- وليميز الله الخبيث من الطيب ولا يكون ذلك إلا في الدنيا.

٧- وليظهر تحقيق قوله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

٨- وليظهر ما خفي على الملائكة من شأن عداوة إبليس ومحاربته له.

٩- ولينال آدم وذريته والصالحين من خلقه محبة الله لهم.

١٠- ولينال من اصطفاه منهم درجة العبودية.

١١- وليري أحبابه فعله بأعدائه.

١٢- ولتظهر الأسباب التي يحمد عليها.

١٣- وليظهر مقتضى أمره وشرعه الذي بعث به أنبياءه.

١٤- وليظهر استحقاق آدم وذريته لتوريثه جنة الخلد وتفضيله لها على العاجلة.

ويقول ابن القيم:

وحي على جنـــات عدن فإنها ... منازلك الأولى وفيها المخيم

ولكننـــا سبي العدو فهل تـــرى ... نعود إلى أوطـانـنا ونسـلم[1]

---

[1] مجلة الهدي النبوي -العدد ٣١ - شوال سنة ١٣٥٨ ص ٤ - ٧.



المبحث الحادي عشر

خروج آدم من الجنة:

وهذا السؤال الذي يتبادر إلى أذهان كثير من الناس؛ لماذا جعل الله آدم أولًا في الجنة ثم أخرجه منها إلى الأرض؟ ولماذا تعرض آدم لاختبار الأكل من الشجرة التي نهاه ربه عن الأكل منها فعصاه؟

فيجيب الشيخ حامد فيقول:

أهبطه إلى الأرض حسًا ليرفعه بالنبوة والعلم حقيقة ومعنى، فكان آدم بعد الأكل من الشجرة خيرًا منه قبل الأكل منها، وما بلغ هذه الدرجة الرفيعة إلا بالتوبة النصوح والندم الصادق؛ الذي به عرف نفسه ظالمة، وعرف ربه صاحب الفضل والمنة، وأنه لا مفزع له إلا إليه، ولا مهرب له إلا لربه الغفور الرحيم.

وأنه إن لم يتداركه بمغفرته وهدايته فلن يجد له من دونه مولى ولا نصيرًا، ولن يكون إلا من الخاسرين.

نزل آدم إلى الأرض ميدان الحرب بينه وبين عدوه، فاقتضت حكمة العليم الحكيم أن يمده وبنيه بسلاح يستدفعون به كيد ذلك العدو، ويردون به هجماته عليهم وطعناته المتوالية على قلوبهم، فاجتبى آدم وهداه، وألقى عليه من العلم سلاحًا لا يفل ودرعًا لا ينفذ منه سهام العدو(١).

ثم ينقل كلامًا لابن القيم في كتابه «مفتاح دار السعادة» عن حكم الله تعالى في تقديره المعصية على العبد:

فمنها: أنه سبحانه يحب التوابين، حتى إن محبته لهم أن يفرح بتوبة أحدهم أعظم من فرح الواحد براحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض الدوية المهلكة

---

(١) مجلة الهدي النبوي –العدد ٣٢– شوال سنة ١٣٥٨ – الجزء الثامن من السنة الثالثة– ص ٥.

إذا فقدها وأيس منها.

ومنها أنه سبحانه يحب أن يتفضل عليهم ويريهم مواقع بره وكرمه وأنه يحسن إلى من أساء ويعفو عمن ظلم ويغفر لمن أذنب ويتوب على من تاب إليه.

ومنها: أنه سبحانه له الأسماء الحسنى، ولكل اسم من أسمائه أثر من الآثار في الخلق والأمر، فلو لم يكن من عباده من يخطئ ويذنب ليتوب عليه ويغفر له ويعفو عنه لم يظهر أسماءه الغفور والعفو والتواب والحليم وما جرى مجراها.

ومنها: أنه سبحانه يعرف عباده عزه في قضائه وقدره ونفوذ مشيئته وجريان حكمته، وأنه لا محيص للعبد عما قضاه عليه.

ومنها: أنه يعرف حاجته إلى حفظه له ومعونته وصيانته فإن لم يحفظه مولاه الحق ويصونه ويعينه فهو هالك ولا بد.

ومنها: أنه سبحانه يستجلب من عبده بذلك ما هو من أعظم أسباب السعادة له من استعاذته واستعانته به من شر نفسه وكيد عدوه، ومن أنواع التضرع والدعاء والابتهال والإنابة والفاقة والمحبة والرجاء والخوف وأنواع من كمالات العبد تبلغ المائة.

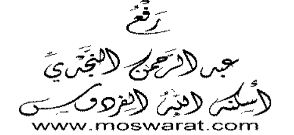
ومنها: أنه سبحانه يستخرج بذلك من عبده تمام عبوديته، فإن تمام العبودية هو بتكميل مقام الذل والانقياد...

ونكتة هذا الوجه: أن العبد متى شهد صلاحه واستقامته شمخ بأنفه، وتعاظمت نفسه، وظن أنه وأنه عظيم، فإذا ابتلي بالذنب تصاغرت إليه نفسه، وذل وخضع وتيقن أنه وأنه عبد ذليل.

ثم ذكر ابن القيم وجوهًا كثيرة أخرى. وقد اختصرنا الوجوه السابقة بتصرف اقتصادًا في القول(١).

---

(١) المصدر السابق – ص ٥، ٨ بتصرف.



المبحث الثاني عشر

خلق حواء

وقد خالف الشيخ حامد أستاذه الشيخ رشيد فى مسألة خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام فبينما يؤيد الشيخ رشيد رأى أستاذه الشيخ محمد عبده فى أن حواء لم تخلق من ضلع آدم (١) نرى الشيخ حامد يقول فى تفسير [الآية ٣٥: من سورة البقرة] وهو قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

أقول: إن الله سبحانه وتعالى لما طرد إبليس من الجنة و أقصاه عنها مذمومًا مدحورا، وأوجب عليه اللعنة وعلى من اتبع خطواته إلى يوم الدين؛ قال لآدم بعد ذلك، نكاية بإبليس، وإيذانا بتنفيذ عقوبة لعنة وطرده ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ﴾ حواء (الجنة) وهذا يدل على أن زوجه كانت موجودة قد سبق خلقها لآدم قبل ذلك، وفى القرآن الكريم أخبر أنه خلقها من نفس زوجها آدم قال ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾[النساء: ١] وقال فى سورة الأعراف ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩] وفى صحيح البخاري ومسلم فى الوصية بالنساء عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «استوصوا بالنساء خيرا، فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء فى الضلع أعلاه، لن تستقيم لك على طريقة واحدة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها».

---

(١) راجع تفسير المنار- للشيخ محمد رشيد رضا- ط- دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان - جـ ١- ص٢٣١.

ففى القرآن والسنة الثابتة: أن المرأة خلقت من نفس زوجها، ليكون ذلك أقوى في طلب الرجل للمرآة، وشدة حاجته إليها، لأنها جزؤه المتمم له، الذى لاغنى له عنه، ولابد له منه؛ وليكون أيضًا أدعى إلى الألفة والمودة بينهما وسكون كل واحد منهما إلى صاحبه، ورحمته به، وحدبه عليه، إذا هما اجتمعا بعقدة النكاح وارتبطا بوثاق الزوجية(١).

***

---

(١) مجلة الهدى النبوى- العدد٣١ - شوال سنة ١٣٥٨-من تفسير الفاتحة / ومائة آية من سورة البقرة ص٢، ٣.



المبحث الثالث عشر :

الشفاعة :

وعقد – رحمه الله – بحثًا في الشفاعة في تفسير الآية ٤٨ من سورة البقرة فبدأ أولًا بالمعنى اللغوي لكلمة الشفاعة فقال: هي مصدر من قول الرجل: شفع لي فلان إلى فلان شفاعة، وهو طلبه وضمه إليه في قضاء حاجته، والشفاعة الانضمام إلى آخر ناصرًا له وسائلًا عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى رتبة إلى من هو أدنى.

ثم أتى بالآيات التي ورد فيها ذكر الشفاعة، ثم قال: فبالتأمل في هذه الآيات يتبين أن الله قد أثبت شفاعتين ونفى شفاعتين، فأثبت شفاعة الإنسان لأخيه في الدنيا عند حاكم أو أمير في إيصال حق أو دفع ضرر.. ويدل لهذا المعنى ما روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان رسوله ما يشاء».

وأثبت كذلك شفاعة في الآخرة للملائكة كما في آية الأنبياء، ولخيار عباده من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين كما في بقية الآيات، لكن شرطها بإذنه، وأن يكون المشفوع له ممن رضي الله عنهم، كما في آية الكرسي في البقرة وآية يونس وآية مريم وطه والأنبياء، وهذه شفاعة عامة، ثم تكلم عن الشفاعة الخاصة للنبي ﷺ ، وأتى بحديثين متفق عليهما حديث أبي هريرة وحديث أنس رضي الله عنهما... وبين أن هذه الشفاعة لا تغير من قضاء الله شيئًا وإنما هي تشريف وتكريم للشفيع ﷺ ورفع لمقامه.

ثم يتكلم عن الشفاعة المنفية فيقول: أما الشفاعتان المنفيتان في القرآن الكريم فهما:

أولًا: ما ادعاه – ويدعيه الآن المشركون لأوليائهم من الشفاعة عند الله في قضاء الحاجات وشفاء المرضى ونحو ذلك ويدعونهم في الشدائد والكروب ويستغيثون بهم لأجل ذلك ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨].

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣].

ويدل عليها الآيات من سورة يونس وسورة سبأ ويس والزمر وأمثالها .

ثانيًا: الشفاعة التي يدعيها المشركون لأوليائهم يوم القيامة لمجرد توهم أنهم صالحون، وتخيل أنهم مقربون، وأنهم ملكوا هذه الشفاعة بما دفعوا من ثمن في نظر أولئك الوثنيين، وكانت هذه ولا تزال عقيدة اليهود والنصارى، في الأحبار والرهبان والكهان والقسيسين ، وهي عقيدة عوام أهل الطرق المتصوفين الذين تسمع منهم وتقرأ في كتبهم: أن أشياخهم ضمنوا لمريديهم وأتباعهم أن يدخلوا الجنة ويغلقوا دونهم النار مهما كان منهم من عمل.. وكذبوا أشنع الكذب، فلن تغني عنهم شفاعتهم شيئًا، ولن تنفعهم شفاعة الشافعين، وما لهم من حميم ولا شفيع يطاع، وصدق الله ، ومن أصدق من الله قيلا؟ ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وصدق رسول الله ﷺ: «يا فاطمة بنت محمد، اعملي فلن أغني عنك من الله شيئًا»(١)،(٢).

(١) مجلة الهدي النبوي – عدد ٤٣ – سنة ١٣٥٩ – ص١٤٠٦ باختصار.

(٢) الحديث في صحيح البخاري، كتاب الوصايا بلفظ : «يا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئًا». ورواه الترمذي والنسائي كذلك.



المبحث الرابع عشر :

وصف حال أهل الكتاب (اليهود):

في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٣] يصف الشيخ صلاة اليهود وأنها تزيدهم من الله بعدًا ولا تقربهم من الله تعالى كما هو المطلوب ، وينقل ذلك من كتبهم فيقول:

فاليهود يزعمون أنهم يصلون ، ولكنهم في الحقيقة يجددون محاربة الله ومعاداته، إذ يقولون في صلاتهم ما نصه: لم تقول الأمم : أين إلههم؟ انتبه يا رب استيقظ من رقدتك. ويقولون في العشر الأول من الشهر الأول من كل سنة :

يا إلهنا وإله آبائنا املك على جميع أهل الأرض، ليقول كل ذي نسمة: الله إله إسرائيل قد ملك، ومملكته في الكل متسلطة، ويقولون في هذه الصلاة أيضًا: وسيكون لله الملك، وفي ذلك اليوم يكون الله واحدًا واسمه واحدًا.

فهم في صلاتهم ينسبون إلى الله النوم والغفلة والخمول، وأنه لا يظهر ملكه سبحانه على جميع الأرض ويتحققه الخلق إلا إذا صارت الدولة لليهود، أما ما دامت اليهود مضروبًا عليهم الذلة والمسكنة – ولن تزال كذلك إن شاء الله – فإن الله سبحانه وتعالى عن قولهم الفاجر خامل الذكر عن الأمم ، مطعون في ملكه ، مشكوك في قدرته.

فهذه الصلاة المعوجة الفاجرة في صورتها ومعناها لا تزيد صاحبها إلا كفرًا بالله وملائكته وكتبه ورسله(١).

وكذلك علاقتهم بالمال ، فقد قال الله تعالى لهم : ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ ، فما

---

(١) مجلة الهدي النبوي – عدد ٣٩ – أول صفر سنة ١٣٥٩ – الجزء الثالث من السنة الرابعة – ص٣.

هي علاقتهم بالمال، وبالزكاة.

يقول الشيخ حامد : ثم دعاهم تعالى إلى إيتاء الزكاة ، أي إلى تزكية نفوسهم، وتطهير قلوبهم من عبادة المال، فإن اليهود أشد الناس تآليهًا للمال، وأحرص الناس على عبادة الدرهم والدينار، ولقد دعتهم عبادة المال إلى أن يقولوا : إن الله فقير ونحن أغنياء ، وإلى أن يقولوا : يد الله مغلولة . غُلت أيديهم ولعنوا بما قالوا .

وأن الذي يجترئ على بهذا القول الشنيع، البالغ في الكفر أشده؛ إرضاءً لشهوة المال، وخضوعًا لسلطانه، ليس ببعيد عليه ولا غريب منه أن يكفر بمحمد ﷺ وبما أنزل معه، بل وبكل نبي مرسل من قبله؛ لأن كل الأنبياء متفقة كلمتهم على التحذير من عبادة المال وتأليهه.

لأجل هذا دعاهم الله تعالى إلى التحرر من هذه الجريمة وتزكية النفس من هذا القذر، فإنهم إن استطاعوا ذلك سهل عليهم كل السهولة أن يؤمنوا بالله وبرسوله(١).

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

ينقل كلامًا عن السموأل بن يحيى(٢)– الذي كان من أكابر أحبار اليهود

---

(١) المصدر السابق – ص٤.

(٢) السموأل بن يحيى – ت ٥٧٠هـ – ١١٧٥م، مات بأذربيجان ، مهذب رياضي عالم بالطب والحكمة – أصله من المغرب – سكن بغداد مدة، ثم انتقل إلى فارس – كان يهوديًا فأسلم ، له كتب في الهندسة والحساب والرياضيات والطب، وله كتاب مطبوع اسمه بذل المجهول في إفحام اليهود. الأعلام للزركلي.

وعلمائهم ثم من الله عليه بالإسلام – في كتابه بذل المجهود في إفحام اليهود – أن فقهاء اليهود الذين يسمون بالحاخاميم أن الحكماء ألفوا لهم كتابين هما المشنا وهو الكتاب الأصغر والتلمود وهو الكتاب الأكبر[1]، ألفه هؤلاء الحاخاميم جيل بعد جيل حتى أوقف اليهود هذا التتابع عندما خافوا من التناقض بين هذه الأجيال، وحرموا فيهما على اليهود مؤاكلة الأجانب ومناكحتهم والأكل من ذبائحهم، وكانت التوراة قد حرمت هذه الأشياء على اليهود إذا كانت من الوثنيين فجعلها هؤلاء الحاخاميم محرمة إذا كانت من غير اليهود على الإطلاق ، وكان هذا من تشديدهم على أنفسهم ، والسبب الثاني في تشديدهم على أنفسهم أنهم مفرقون في البلاد وكلما يأتي على قوم في بلد رجل من بلاد غريبة أوهمهم أنه من الفقهاء بتشدده في أمور دينية مثل العمل في يوم السبت فيتشدد ويسب الذين يعملون أي عمل فيه بشدة وينسبه إلى قلة الدين حتى يشتهر بينهم بالتدين رغبة فيما عندهم من المال. اهـ. بتصرف.

وهكذا كانوا كما قال ابن القيم في كتاب الفوائد : علماء السوء جلسوا على

---

(١) التلمود: يتألف من المشناه والجمارة: وقد احتاجت محتويات التوراة إلى تفسير يوضحها ويتمها، فكان تفسيرها هو المشناة، ثم احتاجت المشناة أيضًا إلى ما يفسرها فكان تفسيرها هو الجمارة، وقد تطلق كلمة التلمود أو التلموذ على الجمارة وحدها، أو على المشناة والجمارة معًا، فالتوراة إذن أساس المشناة، والمشناة أساس الجمارة، والعلاقة بين هذه الثلاث هي – كما نقول في مصطلحات العرب في التأليف – علاقة المتن بشرحه ثم حاشيته . وكلمة التلمود عبرانية، تعني التعليم أو التعلم، ومثلها في لغتنا العربية: التلميذ والتلميذة، فالتلمذة علاقة بين معلم ومتعلم، واستعمال هذه الكلمة وما يشاركها في الجذر أروج بالذال في لغتنا من استعمالها بالدال المهملة، ولكن الدال في الجذر أشد أصالة. (من كتاب كنوز التلمود ترجمة محمد خليفة التونسي- ط. مكتبة دار التراث – القاهرة – ص١١.

باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم : لا تسمعوا منهم فلو كان ما دعوا إليه حقًّا كانوا أول المستجيبين له . فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع طرق. اهـ[1].

* * *

(١) مجلة الهدي النبوي – العدد ٤٠ – ١٥ صفر ١٣٥٩ – ص٥-٩ بتصرف.

المبحث الخامس عشر :

تشخيص داء الأمة الإسلامية ووصف دوائها :

ولأن العلماء ورثة الأنبياء في نشر العلم بين الأمة والدعوة إلى الإصلاح، كان الشيخ حامد الفقي رحمه الله تعالى يستنبط من آيات القرآن من العبر والعظات ما يعينه على تشخيص داء الأمة إبان الفترة التي كان يعيشها، ثم الدواء لهذا الداء، ومثال لذلك ما ذكره في تفسير الآيات ٤٩، ٥٠ من سورة البقرة: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

ثم استعرض الآيات التي وردت عن قصص بني إسرائيل في سور القرآن، مثل سورة الأعراف، وإبراهيم، ويونس، وطه، والشعراء، والقصص، والصافات، وغافر، والدخان، والذاريات، والتي تحمل نفس معنى الآيتين السابقتين ثم خرج منها بالفوائد الآتية، والتي نستفيد منها أيضًا في واقعنا المعاصر، والواقع الذي كان موجودًا حينئذ:

١- كان تسليط فرعون على بني إسرائيل لتركهم شريعة يعقوب ويوسف عليهما السلام.

٢- وكذلك بسبب تفكك بني إسرائيل واهتمام كل واحد منهم بنفسه فقط.

٣- وبسبب انتشار خلق الجبن بين بني إسرائيل وفقدانهم الشجاعة والشهامة، وانتشار حب الدنيا وكراهية الموت بينهم.

٤- أن الظلم مهما كثرت أعوانه، وعظمت قوته، وتضخم سلطانه، وتوهم الناس لكثرة ما يعتمد عليه من أسباب بقائه وامتداد لهيبه واستشراء فساده، فهو لا

بد إلى اضمحلال ودمار وانهيار.

٥- أن الحق مهما قل ناصروه وكثر أعداؤه وخاذلوه، وتوفرت عليه معاول التشويه والتنفير، وتضافرت عليه جهود شياطين من الإنس والجن، فلن تنطفئ شعلته؛ ولن تخمد جذوته.

٦- أن التربية المنزلية عليها أكبر المعول في قوة الأمة وضعفها، ولها أكبر الأثر في عزتها وذلتها؛ فإن كانت البيئة التي ينشأ فيها الطفل منحلة الأخلاق، مريضة النفوس بالجبن والذلة اصطبغ الإنسان بها وشب عليها وشاب، ولذلك أبعد الله موسى عليه السلام - الذي صنعه على عينه - عن بيئة بني إسرائيل الذليلة المريضة المهينة ورباه في حجر فرعون لينشأ قوي القلب شجاعًا ثابت الجنان لما يصطبغ به مما حوله من عظمة فرعون وبيت فرعون ، ثم لئلا تكون تلك العظمة هي الأغلب عليه، فيكون مستكبراً طاغيًا، حرم عليه المراضع فلا يقبل إلا ثدي أمه ليرضع منها العطف على بني إسرائيل، والحدب على أمته وشعبه؛ ولتشهده على ما ينالهم من فرعون، فيعمل على إنقاذهم من ظلمه وينجيهم من بطشه، وقد كان ذلك(١).

***

وقد كان الشيخ حامد الفقي رحمه الله يبكي على حال المجتمعات الإسلامية، ويحزن لذلك أشد الحزن حتى أخرجه هذا الحزن عن وصف هذه المجتمعات بالإسلامية والتصريح بأنهم لا يستحقون ذلك، وكان أولى له أن يصفهم بالجهل، وهذا واقعهم فنجده يقول في وصفهم في تفسير الآية السادسة من

---

(١) مجلة الهدي النبوي - العدد ٤٤ - ٤٥ ربيع الثاني ١٣٥٩ - الجزء الثامن من السنة الرابعة - ص١٢٠٨ باختصار وتصرف.

سورة البقرة:

أما بعد، فقد خدع الشيطان بخدعة كثيرًا ممن يتسمون بالأسماء الإسلامية اليوم، وغرهم عن حقيقة دينهم بتلك الصور الظاهرة، فزعموا وزعم لهم شياطينهم: أن مجرد تلك الأسماء مع التلفظ بالشهادتين كاف في التحقق بحقيقة الإسلام مهما عبد العابدون من موتى؛ وخضعوا لهم من دون الله؛ وقربوا لهم من الحرث والأنعام مما رزقهم الله، وعكفوا عند قبورهم وعرضوا عندها حوائجهم ومسائلهم، وطلبوا منهم تفريج الكروب وإغاثة اللهفات، وشفاء المرضى ورد الغائب وأمثال ذلك، وسموها بأسماء ما أنزل إليه بها من سلطان ومهما ضيعوا من صلاة وزكاة وصوم وحج، وأتوا من فواحش وانتهكوا من حرمات واعتدوا من حدود، وأحلوا ما حرم الله من ربا وزنا؛ وحكموا بغير ما أنزل الله، واعتقدوا أن ذلك هو اللائق بزمنهم، والواجب في إصلاح أمتهم، زعموا وزعم لهم شياطينهم أنهم مع كل هذا مسلمون ناجون بمجرد التلفظ بالشهادتين، وزعم أولئك المخدوعون أن من سمى أكثر أهل مصر اليوم أو غيرها غير مسلمين يكون ظالمًا ومعتديًا؛ وصاحوا أنتم تكفرون المسلمين، تهويشًا وتضليلًا؛ وما يخدعنا ذلك التهويش الفارغ. ونقول مقالة أستاذنا السيد رشيد رحمه الله (متى دخل هؤلاء الإسلام حتى نخرجهم منه؟)(١).

وعند تفسيره لآيات المنافقين في أول سورة البقرة يذكر تأثير هذا الصنف من الناس في المجتمع الإسلامي منذ بدايته ويمر على جميع المراحل من بعد موت رسول الله ﷺ مباشرة، وعن هذه الأضرحة والموالد المنتشرة في بلاد المسلمين

---

(١) مجلة الهدي النبوي - العدد ١٥ - جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ - السنة الثانية - ص١٠، ١١ .

ومنها بلادنا يقول:

هذا العدو الخبيث الشرير هو الذي جاء إلى مصر من بلاد البربر في المغرب الأقصى من نسل الخبيث اللعين عبيد الله القداح اليهودي طريد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. جاء ذلك العدو باسم الفاطميين - وفاطمة عليها السلام وأبوها ﷺ وبنوها رضي الله عنهم برآء من تلك الطغمة المجرمة اللعينة - طغمة الفاطميين أحلهم الله ما هم له أهل في دار النكال - ففعلوا بمصر وبلاد الشرق الأفاعيل، وبنوا من الأوثان؛ ونصبوا من الطواغيت باسم الحسين - والحسين والله منهم ومن عملهم بريء - وباسم غير الحسين - ما كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يهدمه حين بعثه النبي ﷺ إلى اليمن - فهدم أولئك العبيديون وأولياؤهم ما بنى رسول الله وآل بيته من التوحيد وإخلاص الدعاء والعبادة كلها لله وحده، وبنوا ما هدم من الأنصاب والقباب والطواغيت، وعبادة الموتى، ودعائهم والنذر لهم من دون الله، والأعياد الشركية للموتى باسم الموالد، وصرفوا القلوب عن الله وعن دين الله وكتاب الله إلى تلك الطواغيت والعقائد الزائفة، وأرغموا الناس على لعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ وقالوا على الله غير الحق؛ وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل، ولقى الإسلام، وشرائع السلام، وعقائد الإسلام، وعلماء الإسلام من شرهم وأذاهم قديمًا وحديثًا، ما لا يعلم آخرته ونهايته إلا الله وحده والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله(١).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١، ١٢]، قال كلامًا

---

(١) مجلة الهدي النبوي - العدد ١٦ - رجب سنة ١٣٥٧ - السنة الثانية - ص٧ .

منذ سبعين سنة، إذا تدبرناه نجد أنه ما زال ينطبق على واقع المجتمعات الإسلامية اليوم، فيقول مثلًا:

لبسوا للناس جلود الضأن تظاهرًا بالتواضع، ألسنتهم حلوة وقلوبهم مثل قلوب الذئاب، يمالئون الأمراء؛ ويداهنون الكبراء، حين فشا فيهم هذا الخلق، وكثر فيها هذا الصنف - لا كثرهم الله - عم الناس الفساد، وأصيبت الأمم الإسلامية بالانتكاس والارتكاس في شئونها كلها، وأصبح أمرها فرطًا؛ وأصبح الجميع - إلا من شاء الله - مرائين مداهنين، منافقين، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، ويظهرون غير ما يبطنون، ويسرون خلاف ما يعلنون، وأحاط بالقلوب سور من الجبن والذلة حتى أصبحوا يتملقون عدوهم الذي ينهل من دمائهم، ويداهنون الوحش المفترس الذي يمزق أوصالهم، وينهش لحومهم ويتسابقون إلى مرضاته وهواه بكل ما يستطيعون. ويزعمون مع هذا أنهم مصلحون وأنهم يعملون على إنقاذ الأمم الإسلامية من براثن الوحش، وتخليصها من مخالب العدو بهذه السياسة التي يسمونها حكيمة، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾ [البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٦]، هذه صفات كثير ممن يدعون الإصلاح، ويضعون أنفسهم في مكان الزعامة من الأمة، والأمر لله. ولا حول ولا قوة إلا بالله(١).

ويلفت النظر أيضًا إلى تأثرنا حتى الآن ببعض البدع التي أحدثتها بعض

---

(١) مجلة الهدي النبوي - العدد ١٨ - رمضان سنة ١٣٥٧ - السنة الثانية - ص٤، ٥ .

الفرق الإسلامية المنحرفة مثل البرامكة المجوس مثلًا فيقول عنهم في تفسير آيات المنافقين أيضًا من أول سورة البقرة: هذا العدو هو الذي استولى على الدولة الإسلامية باسم البرامكة المجوس، فأحدث كثيرًا من البدع المجوسية لتعظيم النار، وبقي منها إلى الآن إيقاد شمعتين كبيرتين كل ليلة على باب الكعبة أمام المصلين، وإيقاد المصابيح والنيران الكثيرة في أيام المواسم والأعياد، وذلك من تعظيم النار، ومن آثار أولئك المجوس الذي حين تبين للخليفة هارون الرشيد بعض أمرهم نكل بهم أشد التنكيل(١).

ويرى الشيخ حامد أنه لابد لمن يفسر القرآن بأن يطبق الشرح على الوقائع الحادثة فيقول:

وما أرى تفسير القرآن إلا بهذا الأسلوب الذي يشرح مقاصد القرآن شرحًا تطبيقيًا على الأحوال الحاضرة والوقائع الحادثة، فإنه هدى للناس في كل وقت، ونور لهم في كل طريق ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩](٢).

* * *

(١) المصدر السابق – ص٦ .

(٢) المصدر السابق – ص٨ .



الفصل الرابع :

مجهودات الشيخ في تحقيق تفاسير القرآن الكريم:

بالإضافة إلى تفسير القرآن الذي تركه لنا الشيخ الفقي فقد قام الشيخ رحمه الله بتحقيق العديد من التفاسير بعضها لتفسير القرآن كاملًا وبعضها لبعض سور القرآن الكريم، ومن أمثلة ذلك:

١- جامع البيان في تفسير القرآن - لمحمد بن عبد الرحمن الإيجي الشافعي وقيل: عبد الله معين الدين الحسيني الصفوي الإيجي الشيرازي الشافعي، والمشهور بتفسير الصفوي، (٨٣٢ - ٩٠٥هـ) ومعه حاشية محمد بن عبد الله الغزنوي المتوفى سنة ١٢٩٦هـ.

وهذا تفسير كامل للقرآن كله وقد كتب على غلافه:

وقف على تصحيحه محمد حامد الفقي من علماء الأزهر الشريف، وراجعه فضيلة الإمام المحدث الشيخ أحمد محمد شاكر وفي هامشه هوامش للمؤلف ورمز لها بـ(منه) ولكبير من علماء الهند على النسخة التي طبعت بالهند (يعني محمد بن عبد الله الغزنوي) ورمز لها بـ(د) وللمصحح (يعني الشيخ حامد الفقي) ورمز لها بـ(م) وهو موجود في دار الكتب المصرية تحت رقم ت - ٣٥١٨٨ والموجود منه الجزء الثالث فقط، وهو مطبوع بمطبعة حجازي بالقاهرة عام ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م طبع على نسخة فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد شاكر وكيل الأزهر سابقًا وعلى نسخة من دار الكتب وعلى النسخة الهندية على نفقة محمود توفيق الكتبي بميدان الأزهر الشريف وشارع السكة الجديدة بمصر ويقع التفسير في ثلاثة مجلدات.

وقد طبع حديثًا بتحقيق د. عبد الحميد هنداوي المدرس بكلية دار العلوم -

جامعة القاهرة عام ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م في أربعة مجلدات منشورات دار الكتب العلمية - بيروت.

وقال المحقق في مقدمته:

هذا الكتاب في التفسير قل أن تجد مثله، فهو قصد ووسط بين المختصرات والمطولات، يوضح العبارة بأيسر إشارة والشيخ الغزنوي محشيه رحمه الله كان سنيًّا سلفيًّا واضح المذهب مقتديًا بالإمامين ابن تيمية وابن القيم رحمهم الله تعالى جميعًا وأشار إلى طبعة أحمد شاكر والفقي التي نتكلم عنها(١).

٢- التفسير القيم - لابن القيم - جمع محمد أويس الندوي طبع دار الكتب العلمية - بيروت - وهو ما كتبه الشيخ ابن القيم في التفسير جمعه محمد أويس الندوي من علماء الهند وحققه الشيخ محمد حامد الفقي.

٣- تفسير سورة الكافرون والمعوذتين - لابن القيم - حققه الشيخ محمد حامد الفقي، ط. مكتبة السنة المحمدية – القاهرة.

٤- تفسير سورة الإخلاص – لابن تيمية – تحقيق محمد حامد الفقي – ط. مكتبة السنة المحمدية – القاهرة.

٥- التبيان في أقسام القرآن - لابن القيم - تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي، ط. المكتبة التجارية – القاهرة.

***

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن - للصفوي - تحقيق د. عبد الحميد هنداوي ط. دار الكتب العلمية - بيروت ص٨.

تفاسير لسور متفرقة في الخطب والدروس:

بالإضافة إلى جهود الشيخ حامد الفقي - رحمه الله تعالى - في تفسير القرآن الكريم على صفحات مجلة الهدي النبوي القديمة كما وضحنا سابقًا، وكذلك تحقيقاته لعدد من التفاسير لعلماء آخرين ومنه كما ذكرنا تحقيق لتفسير القرآن كاملًا مثل جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن عبد الرحمن الإيجي الشافعي وقيل: عبد الله معين الدين الحسيني الصفوي الإيجي الشيرازي الشافعي (٨٣٢ - ٩٠٥هـ) - والمشهور بتفسير الصفوي، ومنه تحقيقه للتفسير القيم لابن القيم وهو ما كتبه الشيخ ابن القيم في التفسير وجمعه محمد أويس الندوي من علماء الهند وغير ذلك.

فبالإضافة إلى ذلك كانت معظم خطب الشيخ ودروسه أيضًا في التفسير، وقد قام خلال هذه الخطب والدروس بتفسير كثير من سور القرآن الكريم مثل: سورة الأعراف، وسورة التوبة، وسورة هود، وسورة مريم، وسورة الكهف، وسورة الحج، وسورة الفرقان، وسورة النمل، وسورة القصص، وسورة السجدة، وسورة الرحمن، وسورة الجمعة، وسورة الطلاق، وسورة الملك، وسورة نوح، وأحيانًا يشرح السورة كلها، وأحيانًا يتكلم عن مواضع هامة يلفت النظر إليها في السورة.

ولقد وصل إلينا كثير من الأسطوانات وعليها دروس الشيخ في التفسير.

وكذلك فعل تلاميذه من بعده فتناولوا التفسير في خطبهم ودروسهم، ووصل إلينا الكثير من هذه الدروس أيضًا من خلال الشرائط والأسطوانات.

* * *




الباب الثالث

أثر الشيخ في تلاميذه من ناحية التفسير









الفصل الأول

تفسير الشيخ عبد الرحمن الوكيل






المبحث الأول :

حياته - اسمه ومولده:

هو عبد الرحمن بن عبد الوهاب الوكيل. ولد في قرية زاوية البقلي - مركز الشهداء بمحافظة المنوفية بمصر سنة ١٣٣٢هـ الموافق الثالث والعشرين من شهر يونيو ١٩١٣م.

نشأته وتعليمه:

نشأ الشيخ عبد الرحمن الوكيل نشأة علمية، فقد كان أهل القرى في ذاك الزمان مهتمين بتعليم أبنائهم القرآن الكريم والعلوم الشرعية، فحفظ القرآن في كُتاب القرية، ثم التحق بالمعهد الديني في طنطا فدرس فيه تسع سنوات حتى حصل على الثانوية الأزهرية. تخرج في كلية أصول الدين بالأزهر حاصلًا على الإجازة العالية بتفوق، ثم حصل على إجازة التدريس.

وظائفه: عمل الشيخ عبد الرحمن الوكيل أول تخرجه مع وزارة المعارف المصرية، فعين مدرسًا للدين بالمدارس الثانوية (التربية والتعليم) انتدب للتدريس بالمملكة العربية السعودية في المعهد العلمي بالرياض عام ١٣٧١ - ١٩٥٢م.

شغل منصب رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية - فرع مصر القديمة، ثم اختير وكيلًا أول للجماعة بمصر.

وفي ٢٣ صفر ١٣٧٩هـ الموافق ٢٧ / ٨ / ١٩٥٩ تم انتخابه نائبًا لرئيس الجماعة الثاني الشيخ عبد الرزاق عفيفي فكان له خير معين.

انتخب رئيسًا عامًا لجماعة أنصار السنة المحمدية في مصر بعد سفر الرئيس الشيخ عبد الرزاق عفيفي إلى المملكة العربية السعودية وذلك في ١٥ محرم ١٣٨٠هـ الموافق ٩ / ٧ / ١٩٦٠، فكان بذلك ثالث رئيس لجماعة أنصار السنة

المحمدية بمصر، واستمر على رأس إدارة الجماعة إلى أن أدمجت في الجمعية الشرعية عام ١٩٦٩م.

بعدها انتدب للتدريس بكلية الشريعة بمكة المكرمة وعمل أستاذًا للعقيدة بقسم الدراسات العليا إلى حين وفاته بمكة المكرمة رحمه الله.

وفاته: قضى الشيخ عبد الرحمن الوكيل حياته الحافلة بالجهاد في سبيل دعوة التوحيد - ولم تكن طويلة - والتي ختمها بالمقام إلى جوار البلد الأمين أستاذًا في كلية الشريعة بمكة المكرمة ومدرسًا بالمسجد الحرام إلى أن توفاه الله في الثالث والعشرين من شهر جمادى الأولى عام ١٣٩٠هـ. الموافق ١٩٧١م ودفن بمقابر المعلاة (الحجون) رحمه الله رحمة واسعة(١).

***

(١) جماعة أنصار السنة المحمدية - نشأتها - أهدافها - منهجها - جهودها - تأليف د. أحمد محمد الطاهر - رسالة دكتوراه مقدمة لقسم العقيدة بجامعة أم القرى عام ١٤٢٢هـ. طبعتها جماعة أنصار السنة المحمدية - المركز العام - القاهرة عام ٢٠٠٦م، ص١٨٤ - ١٩٢ بتصرف.



المبحث الثاني :

مؤلفاته :

لم يترك الشيخ عبد الرحمن الوكيل مؤلفات كثيرة، وقد يكون السبب في ذلك انشغاله بعمله في التدريس، وأعباء الدعوة الدينية التي كان منها رئاسته للمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية لمدة تسع سنوات تقريبًا، ومن هذه المؤلفات:

١- صوفيات (رسالة صغيرة). ٢- مصرع التصوف. للبقاعي (تحقيق).

٣- الصفات الإلهية بين السلف والخلف (رسالة).

٤- دعوة الحق. ٥- هذه هي الصوفية.

٦- زندقة الجيلي. ٧- البهائية.

٨- القاديانية (مخطوط لم يطبع).

٩- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، للإمام المحدث النحوي عبد الرحمن السهيلي (تحقيق).

١٠- أعلام الموقعين عن رب العالمين - لابن قيم الجوزية - (تحقيق).

١١- الحسبة في الإسلام. لابن تيمية (تحقيق).

١٢- ولاية الله والطريق إليها، لإبراهيم إبراهيم هلال (تقديم).

١٣- تفسير القرآن (تكملة سورة الإسراء وسورة الكهف كلها وجزء من سورة مريم) بمجلة الهدي النبوي التي كانت تصدرها أنصار السنة.

١٤- مقالات لم تجمع بمجلة الهدي النبوي التي كانت تصدرها أنصار السنة[١].

---

(١) المصدر السابق ص١٩١ - ١٩٢، ومقدمة كتاب البهائية وكتاب دعوة الحق.



المبحث الثالث :

منهجه في التفسير ونماذج من التفسير:

كان منهج الشيخ عبد الرحمن الوكيل مشابهًا إلى حد كبير لمنهج أستاذه الشيخ محمد حامد الفقي من حيث تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة والتركيز على توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ولكنه كان أكثر اهتمامًا بالتفسير بلغة العرب مع عدم تحميل الألفاظ لمصطلحات فقهية أو أصولية أو فلسفية وعدم الاستطراد في المباحث النحوية أو البلاغية إلا بقدر الحاجة الماسة في الكشف عن إعجاز البلاغة القرآنية، وعدم الإشارة إلى ما يوائم فروض العلم أو نظرياته، فهذه عرضة للتبديل والتغيير وقد عرض هذا المنهج بقلمه في أول تفسيره للآية ١٣ من سورة الإسراء بعد توقف الشيخ حامد الفقي عند الآية ١٢ من سورة الإسراء، فقال:

ومنهجي في التفسير يقوم على أساس تتبع معاني الألفاظ كما وردت في لغة العرب دون أن نحمل اللفظ مصطلحًا فقهيًا أو أصوليًا، أو كلاميًا أو فلسفيًا مما تواضع رواد هذه الفنون عليه، حتى لا نجرد اللفظ من معناه الحق الأصيل، ونستهدف الهدى والرأي الفطير فيما نكتب، ولن نستطرد في مباحث نحوية أو بلاغية إلا بقدر ما نحتاج إليه حاجة ماسة في الكشف عن إعجاز البلاغة القرآنية، ولن نشير إلى ما يوائم فروض العلم أو نظرياته، فهذه عرضة للتبديل والتغيير والقرآن العظيم أسمى وأجل من أن نغير آياته بالأفكار البشرية التي يعرض لها الخطأ والصواب والحق والباطل، ثم بعد شرح معاني الألفاظ نذكر معنى الآية كلها مستعينين بالله سبحانه ولا نبغي بما نكتب إلا الإسهام في الكشف عن دلائل الهداية القرآنية، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي، ولكنه الخطأ الذي

لا يعمد إليه الفكر أو القلم أو الهوى ونسأل الله أن يغفره إن عثر بنا أو عثرنا به[1].

أما نماذج التفسير فنكتفي بما نقلناه هنا وما نقلناه سابقًا في المباحث السابقة مثل مبحث السحر وغير ذلك حتى لا نطيل فيما ليس من موضوعنا الأساسي.

* * *

---

(١) تفسير سورة الإسراء - للشيخ عبد الرحمن الوكيل - ط. مركز التراث والبحث العلمي - المركز العام لجماعة أنصار السنة ص١٠٨ .




الفصل الثاني

تفسير الأستاذ الدكتور السيد رزق الطويل




المبحث الأول :

حياته :

كان الدكتور السيد رزق الطويل من تلاميذ الشيخ محمد حامد الفقي ومن الذين تأثروا به وتعلموا منه الكثير، وقد أكمل التفسير بعد توقف الشيخ عبد الرحمن الوكيل عندما أصدرت الحكومة المصرية آنذاك قرارًا بدمج جماعة أنصار السنة المحمدية بالجمعية الشرعية للعاملين بالكتاب والسنة المحمدية وتوقفت مجلة الهدي النبوي عن الصدور وتوقفت مقالات الشيخ عبد الرحمن الوكيل في التفسير عند الآية ٥٥ من سورة مريم كما ذكرنا سابقًا.

وابتدأ الدكتور السيد رزق الطويل بعد هذه الآية حتى وصل إلى سورة الصافات، وكان ذلك على صفحات مجلة الهدي النبوي بعد إعادة إصدارها عن طريق جماعة دعوة الحق الإسلامية التي أسسها الدكتور السيد رزق الطويل.

وقد كتب عنه أخوه ورئيس جماعة دعوة الحق الإسلامية بعده الدكتور عبد القادر رزق الطويل بمجلة الهدي النبوي العدد الذي صدر بعد وفاته مباشرة فقال:

كان ميلاده ونشأته في قرية نكلا مركز إمبابة مديرية الجيزة، حيث ولد في اليوم السادس عشر من شهر نوفمبر سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة وألف، من أبوين على صلة بالله رب العالمين، وكان الوالد - يرحمه الله - ممن حفظوا القرآن الكريم وتلقى جانبًا من الدراسة في الأزهر، ثم انقطع عن الدراسة بمشورة أحد أقرباء والده الذي كان يعمل تاجرًا. وكانت للجد تجارة واسعة تمتد من الصعيد إلى الدلتا - بحجة أن الابن الأكبر يستطيع أن يعاونه في التجارة، ويسد مكانه ولو في مركز تجارته بالمنصورة، وقد كان، ولهذا فقد نذر والدنا يرحمه الله، وقطع على نفسه عهدًا بأن يدفع بولدين من أبنائه للدراسة بالأزهر حسبة لله، وكان هذا من

نصيب شقيقي الدكتور سيد وأنا... وبتأثير ما ذكرت حفظ فقيدنا القرآن الكريم بمكتب الشيخ رضوان عبد الرحمن - مأذون القرية - كما تلقى مبادئ القراءة والكتابة، والإملاء، والخط، والمعلومات بمكتب نكلا العام - المدرسة الإلزامية، ونال جائزة حفاظ القرآن الكريم التي رصدها مجلس مديرية الجيزة لصغار الحفاظ عام ١٩٤٤م، والتحق بالأزهر الشريف (معهد القاهرة الديني) عام ١٩٤٦ وحصل على الابتدائية منه عام ١٩٥٠، ثم الثانوية عام ١٩٥٥، ثم العالمية التربوية عام ١٩٥٩ من كلية اللغة العربية، وكان مثالًا للجد في التحصيل والتفوق في مراحل دراسته كلها.

وحين استؤنفت الدراسات العليا بالأزهر عند التطوير بعد توقفها فترة التحق بدراسات قسم اللغويات فحصل على الماجستير عام ١٩٦٧ ثم الدكتوراه عام ١٩٧٤ بمرتبة الشرف الأولى في موضوع (الخلاف بين البصريين والكوفيين وأثره في تطور الدراسات النحوية حتى نهاية القرن السادس الهجري).

وعند تخرجه من كلية اللغة العربية سنة تسع وخمسين وتسعمائة وألف عمل بالتدريس متعاقدًا مع وزارة المعارف السعودية، ثم جاء إلى مصر بعد عامين ليلتحق بالعمل في وزارة التربية والتعليم وظل يتقلب في مراحلها حتى حصل على درجة الدكتوراه فعين مدرسًا للغويات في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة سنة ست وسبعين وتسعمائة وألف، وظل يعمل بها حتى حصل على درجة أستاذ مساعد فأستاذًا في قسم اللغويات متكئًا في ترقيته على أبحاث غاية في الجدة والطرافة وحداثة المعالجة.

وفي سنة سبع وثمانين وتسعمائة وألف، عين وكيلًا لكلية الدراسات الإسلامية ثم عميدًا لها لفترتين متتاليتين، ثم استمر أستاذًا في الكلية حتى أحيل للمعاش فعين

أستاذًا متفرغًا للدراسات العليا.

وأثناء مشواره العملي كانت له رحلات إلى البلاد العربية فأعير أثناء عمله في وزارة التعليم إلى ليبيا، ثم إلى المملكة العربية السعودية أثناء عمله بالجامعة فعمل أستاذًا مشاركًا للغويات في جامعة أم القرى بمكة المكرمة في الفترة من ٨٢ - ١٩٨٦م.

أما مشوار الدعوة فقد بدأ من مرحلة الشباب المبكر، إذ اعتلى منابر القرية منذ كان طالبًا في نهاية المرحلة الإعدادية، وكان للاتصال بفضيلة الشيخ محمد حامد الفقي مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية أثر في تعميق التوجه للدعوة في نفوسنا. فاستمر فقيدنا يخطب ويكتب في مجلة الهدي النبوي التي كانت تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية حتى توقفت عن الظهور عام ١٩٦٧م بسبب قرار غير سديد انعكس على العمل الإسلامي وقتها بالمحدودية وأدمجت أنصار السنة في الجمعية الشرعية وتوقفت الهدي النبوي، ولم ينفرج العمل الإسلامي إلا حين صدر قرار الرئيس السادات برفع اليد عن العمل الإسلامي، ولم تعد مجلة الهدي النبوي للصدور إلا حين تولى إصدارها جماعة دعوة الحق.

ولما كانت الدعوة الإسلامية نسيج نفسه ومجرى دمه، والموجه لمراكز الإحساس فيه فقد كانت شغله الشاغل سواء وهو يعمل في مصر أو في البلاد العربية فقد كانت له مساحات محجوزة في صفحات الجرائد بكافة ألوانها في مصر وفي البلاد العربية، كما كانت له مساحات على شاشات التلفاز وجهاز الإذاعة المسموعة وكذلك حضر كثيرًا من المؤتمرات العلمية في باكستان واشترك ببحث بعنوان (ضوابط الكتابة في الإعجاز العلمي للقرآن)، كما اشترك في مؤتمر في ماليزيا وقدم فيه بحثًا بعنوان (لغة الإمام الشافعي).

ومع رياسته لجماعة دعوة الحق الإسلامية كان عضوًا في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في مصر (لجنة السنة والسيرة)، كما كان عضوًا في مؤتمر السكان التابع لجامعة الأزهر.

وله تراث علمي من المقالات والبحوث والكتب المنشورة في اللغة والسيرة والدراسات القرآنية، تعد كتبه بالعشرات، ومقالاته بالمئات[1].

وفاته: توفى - رحمه الله - فجر يوم السبت ٧ من ربيع الآخر ١٤١٩هـ - الموافق ١ من أغسطس ١٩٩٨م، ودفن ببلدته نكلا - جيزة[2].

* * *

---

(١) مجلة الهدي النبوي - السنة ٦٤ - العدد ٥ - جمادى أول ١٤١٩هـ - ص٥ - ٧ بتصرف.

(٢) المصدر السابق ص٢٧ من مقال للأستاذ سعد صادق محمد مدير تحرير مجلة الهدي النبوي.

المبحث الثاني:

مؤلفاته:

١- الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج.

٢- لكي تستعيد أمتنا ذاكرتها.

٣- العقيدة في الإسلام منهج حياة.

٤- الحياة.. سمة الحضارة الغربية.

٥- مشرق الرسالة الخاتمة والسابقون إليها.

٦- اللسان العربي والإسلام معًا في معركة المواجهة.

٧- الإسلام دعوة الحق.

٨- بنو إسرائيل في القرآن.

٩- من قضايا اللسان العربي.

١٠- قواعد البحث العلمي وتحقيق التراث.

١١- أساليب الاستغراق والشمول في اللسان العربي.

١٢- اختلاف النحويين - دراسة وتحليل وتقديم.

١٣- أبنية الأفعال في اللسان العربي.

١٤- اللسان العربي يتحدى.

١٥- في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق.

١٦- القرآن الكريم واللغة العربية.

١٧- القرآن الكريم والتفكير.

١٨- القرآن الكريم وأهل البيت.

١٩- النحو الوسيط.

٢٠- ضوابط الكتابة في الإعجاز العلمي للقرآن.

٢١- لغة الإمام الشافعي.

٢٢- الخلاف بين البصريين والكوفيين وأثره في تطور الدراسات النحوية حتى نهاية القرن السادس الهجري (رسالة الدكتوراه).

٢٣- تفسيره للقرآن الكريم على صفحات مجلة الهدي النبوي إصدار جماعة دعوة الحق الإسلامية من الآية ٥٦ سورة مريم حتى سورة الصافات، من ضمن سلسلة إكمال تفسير المنار بعد الشيخ محمد حامد الفقي والشيخ عبد الرحمن الوكيل[١].

* * *

(١) المصدر السابق ص٢٠ - وغلاف كتاب الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج، للدكتور السيد رزق الطويل، طبعة رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة - ورسالة من الأستاذ سعد صادق محمد مدير تحرير مجلة الهدي النبوي إصدار جماعة دعوة الحق الإسلامية.



المبحث الثالث :

منهجه في التفسير ونماذج من التفسير:

كان منهج الدكتور السيد رزق الطويل في التفسير هو نفس منهج شيخه الشيخ محمد حامد الفقي من تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة وبأقوال وأعمال ومواقف الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان ثم التفسير اللغوي واستخراج ما في الآيات من بلاغة وعلوم لغوية ونحوية - فقد كان خريجًا من كلية اللغة العربية بالأزهر - وكذلك الربط بين الآيات القرآنية وبين واقع المجتمعات الإسلامية السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وذكر الإعجاز اللغوي والعلمي للقرآن الكريم غير أنه كان أجرأ من شيخه قليلًا في ذكر آرائه التي اختلف فيها مع جماعة أنصار السنة المحمدية وكان ذلك من الأسباب التي دفعته لتأسيس جماعة أخرى على غرار جماعة أنصار السنة المحمدية وهي جماعة دعوة الحق الإسلامية التي أصبح لها أيضًا فروعًا كثيرة في المحافظات المختلفة بمصر.

وكان من ضمن هذه القضايا قضية سحر الرسول ﷺ كما بينا قبل ذلك وتأويل أحاديث البخاري ومسلم الصريحة في هذا الموضوع، وغير ذلك من الموضوعات مثل علامات الساعة الكبرى وظهور المهدي ونزول المسيح عيسى بن مريم قبل يوم القيامة ليحكم بالإسلام ويهلك الله على يديه الدجال.

وقد ذكرنا قبل ذلك أمثلة من تفسيراته في قضية سحر الرسول ﷺ وفيما ذكرنا من النماذج التفسيرية كفاية. وكان هذا الخلاف أيضًا من أسباب استقلال الجماعة الجديدة - جماعة دعوة الحق الإسلامية - بمجلة الهدي النبوي الجديدة بعد أن اتخذت جماعة أنصار السنة اسمًا جديدًا لمجلتهم وهو (التوحيد)، واستمر الدكتور السيد رزق الطويل في تفسير القرآن من حيث توقف الشيخ عبدالرحمن الوكيل كما ذكرنا - رحم الله الجميع.





الفصل الثالث

تفسير الأستاذ الدكتور عبد القادر رزق الطويل





المبحث الأول : حياته :

- الأستاذ عبد القادر رزق عبد الوهاب الطويل، وهو الأخ الأكبر للأستاذ الدكتور السيد رزق الطويل، رحمه الله، يكبره بعام.

- من مواليد نكلا مركز إمبابة، محافظة الجيزة، سنة ١٩٣١(١).

- حفظ القرآن في كُتاب الشيخ رضوان عبد الرحمن مأذون القرية.

- تعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والعلوم بمكتب نكلا العام الذي كان يتبع مجلس المديرية وقتها.

- حصل على جائزة صغار الحفاظ من مجلس مديرية الجيزة، ومنح مكافأة مالية.

- التحق بالأزهر الشريف، وحصل على الابتدائية الأزهرية سنة ١٩٥٠، ثم الثانوية الأزهرية سنة ١٩٥٥م من معهد القاهرة الديني.

- التحق بكلية اللغة العربية، ونال منها شهادة (العالية) مع علوم التربية سنة ١٩٥٩ بتقدير عام جيد جدًا.

- تقدم لقسم التخصص التربوي وحصل على العالمية مع إجازة التدريس سنة ١٩٦٠ بتقدير عام جيد جدًا.

- عمل في حقل الدعوة الإسلامية في وظيفة إمام وخطيب ومدرس في وزارة الأوقاف المصرية لمدة عامين.

- انتقل للعمل في التدريس بوزارة التربية والتعليم، فعمل في جميع مراحل التعليم الإعدادي والثانوي ودور المعلمين العامة وفي أقسامها الخاصة.

---

(١) هذا هو التاريخ الحقيقي لميلاده، أخبرني به في لقاء خاص في بيته.

- ترقى في وظائفها من مدرس إلى مدرس أول، إلى وظيفة وكيل ثانوي، إلى وظيفة موجه للغة العربية في إدارة مصر الجديدة، آخر مكان عمل فيه بوزارة التعليم.

- بعث إلى ليبيا معارًا للتدريس بمعاهد إعداد المعلمين الخاصة، سنة ١٩٧٦ ولمدة أربع سنوات.

- حصل على درجة الماجستير في الأدب والنقد من كلية اللغة العربية بتقدير جيد جدًا.

- ثم حصل على درجة الدكتوراه في الأدب والنقد من نفس الكلية، بمرتبة الشرف الأولى عن الرسالة التي قدمها بعنوان «المقالة في أدب العقاد» سنة ١٩٨٤م[١].

- عُين مدرسًا للأدب والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، جامعة الأزهر الشريف.

- له نشاطات دينية واجتماعية مارسها من خلال عضويته في جماعة أنصار السنة المحمدية، ثم جماعة دعوة الحق، منذ كان طالبًا، وقبل عمله في الأوقاف، وبعد أن انتهت خدمته الرسمية بها، وما زال يزاول نشاطه الديني خطابة وكتابة في مجلة الهدي النبوي وغيرها من الصحف العربية[٢].

---

(١) كان موضوع الرسالة أولًا: «الحوار في القرآن الكريم»، ثم طلب بعض شيوخ الأزهر استبداله بموضوع «أسلوب الجدال في القرآن الكريم»، ثم تبين أن الموضوع الأخير ليس من موضوعات كلية اللغة العربية، ولكنه من موضوعات كلية أصول الدين، وفرارًا من الخلاف اقترح الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجة رحمه الله موضوع : «المقالة في أدب العقاد»، وكان هو المشرف عليه.

(من حديث خاص مع الدكتور عبد القادر الطويل في بيته).

(٢) ملحق بكتاب دراسات في البيان القرآني من الوجهة الأدبية، د. عبد القادر رزق الطويل، ط. دار البيان، مدينة نصر، القاهرة، ص١٩٩، ٢٠٠.

المبحث الثاني :

مؤلفاته :

١- المقالة في أدب العقاد - إصدار الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة.

٢- المقالة النزالية في أدب العقاد، بحث ألقاه في المؤتمر المئوي للعقاد الذي نظمته كلية الآداب بقنا ونشر ضمن بحوث المؤتمر.

٣- ابن عبد ربه وكتابه العقد الفريد، دراسة وتحقيق وتحليل لبعض النصوص، نشر في حولية كلية الدراسات الإسلامية بسوهاج، العدد السابع ١٩٩٢م .

٤- الأمثال في السنة النبوية، دراسة أدبية، نشر في مجلة كلية الدراسات الإسلامية بسوهاج، العدد الثامن ١٩٩٣م .

٥- فن كتابة المقال العربي من خلال تجربتي الشخصية، دار محسن للطباعة بسوهاج ١٩٩٣م .

٦- قراءة جديدة في مصادر الأدب القديمة، دار محسن للطباعة بسوهاج ١٩٩٣م.

٧- دراسات في البيان القرآني من الوجهة الأدبية، إصدار دار البيان، بالقاهرة، ٩٣/ ١٩٩٤م.

٨- أربعة أيام حول البيت الحرام، سلسلة مقالات في أدب الرحلات، نشرت في مجلة الهدي النبوي بالقاهرة.

٩- في ظلال السنة النبوية، دراسة تحليلية لطائفة من الأحاديث، نشرت في مجلة الهدي النبوي بالقاهرة.

١٠- قضية الصراع البياني من أجل الدعوة تشمل موقف الشعر من معركة الدعوة، ودور حسان رضي الله عنه، سلسلة مقالات نشرت في مجلة الهدي النبوي، بالقاهرة.

١١- هذا بخلاف العشرات من البحوث والمقالات التي نُشرت في المجلات المصرية والعربية[1].

١٢- تفسير القرآن الكريم على صفحات مجلة الهدي النبوي من بعد توقف الدكتور السيد رزق الطويل، رحمه الله تعالى، في سورة الصافات حتى وصل الآن إلى سورة الحجرات.

مؤلفات مخطوطة:

١- الشيخ محمد الأسمر، شاعر الأزهر، حياته وشعره.

٢- فن المقال بين العقاد وأعلام عصره.

٣- الحياة الاجتماعية والسياسية في أدب العقاد، دراسة من خلال شعره ومقالاته.

٤- قضية الطبع والصنعة في الشعر بين القدامى والمحدثين، عرض تاريخي للقضية يوضح دور النقد العربي القديم منها.

٥- المدائح النبوية: عرض للنشأة والتطور حتى شوقي.

أعمال تحت الإنجاز:

١- دراسات في البيان النبوي، من الوجهة الأدبية.

٢- أسلوب الحوار القرآني: قيمه الفنية، وآثاره الأدبية.

٣- تفسير الجزء العشرون من القرآن الكريم، دراسة تحليلية[2].

* * *

---

(١) المصدر السابق، ص٢٠١.

(٢) المصدر السابق، ص٢٠٢.



المبحث الثالث:

منهجه في التفسير – ونماذج من التفسير :

استمر الدكتور عبد القادر رزق الطويل في منهجه لتفسير القرآن على نفس منهج أخيه الدكتور السيد رزق الطويل، ومنهاج من سبقوه، وهو المنهج السلفي في التفسير من تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة والتابعين، ثم التفسير اللغوي مع اختلاف بسيط في التفسير اللغوي يفرضه اختلاف الدراسات اللغوية بين الأخوين حيث كان الدكتور السيد رزق الطويل متخصصًا في اللغويات والنحو، بينما الدكتور عبد القادر رزق الطويل متخصص في الأدب والنقد(١).

أما الحديث عن العقيدة والتوحيد فقد احتل مساحة كبيرة أيضًا من التفسير، ولا عجب فقد خلف الدكتور عبد القادر الطويل أخاه رحمه الله في رئاسة جماعة دعوة الحق الإسلامية التي تدعو إلى العقيدة السلفية والتوحيد الخالص الصحيح.

أما المنحى الإصلاحي الاجتماعي في التفسير فقد ظهر أيضًا واضحًا، فالدكتور عبد القادر أستاذ في كلية اللغة العربية يخاطب الشباب ويربيهم، وعندما أصبح أستاذًا غير متفرغ تخصص في تدريس مادة قاعة البحث بالدراسات العليا(٢).

وهي المادة التي تغرس في الطلاب حب البحث العلمي وتنمي لديهم ملكات هذا البحث، وتربط ذلك بالقرآن الكريم الذي كان الدكتور عبد القادر في شبابه ومازال في شيخوخته يربط كل أعماله به .

---

(١) من حديث خاص مع الدكتور عبد القادر الطويل في بيته.

(٢) من حديث خاص مع الدكتور عبد القادر الطويل في بيته.

كذلك يظهر في تفسيره الاهتمام بالقصة الموضوعية للتفسير كما كان يفعل أخوه الدكتور السيد رزق الطويل، رحمه الله، فيضع عنوانًا واحدًا لمجموعة الآيات التي يفسرها وهو عنوان الموضوع الواحد التي تدور حوله الآيات.

نماذج من التفسير :

النموذج الذي اخترناه من تفسير الدكتور عبد القادر الطويل هو أول ما بدأ في تفسيره بعد موت أخيه الدكتور السيد رزق الطويل من سورة الصافات الآيات من ١٤٩ إلى ١٦٦ وهي قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾.

فجعل للتفسير عنوانًا وهو قسمة جائرة ومزاعم باطلة، ثم بدأ بتفسير لغوي للكلمات التي تحتاج إليه، ثم تكلم عن السياق فقال: يجري السياق في سورة الصافات – كما علمنا – على ثلاثة محاور تلتقي كلها على هدف إثبات الوحدانية لله رب المشارق والمغارب، وأن العاقبة للمؤمنين بالله المنزه عما يصفه به الضالون.

فالمحور الأول الذي تبنته السورة هو تأكيد الوحدانية لله رب المشارق، مزين السماء بالكواكب، مقسمًا على ذلك بطوائف من الملائكة، ومعرجًا على قضية الشياطين واستراقهم السمع، ثم يناقشهم في قضية إنكارهم للبعث فيسألهم أيهما أقوى وأشد: خلقهم أم خلق السماوات والأرض والكواكب... إلخ؟ لتسفيه ما يقولون، والتأكيد على الوحدانية والقدرة لله رب العالمين.

ثم يجيء المحور الثاني موجهًا الحديث فيه للرسول عليه السلام ومبينًا أن ضلال قومه ليس بجديد، ﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الصافات: ٧١]، حين

جاءهم المنذرون، فكانت لهم العاقبة السيئة جزاءً لضلالهم، وتستطرد الآيات فتذكر أطرافًا من قصص أولئك المنذرين، مثل: نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وإلياس، ولوط، ويونس، وما كان من أقوامهم، وكيف كانت عاقبتهم، وعاقبة المتقين منهم وصولًا لتثبيت قلب النبي ﷺ، كما سبق.

وإلى هنا نصل إلى المحور الثالث الذي فصلته السورة في ضوء المحورين السابقين (حقيقة الصلة بين الله وعباده، وأخذه المكذبين بهذه الحقيقة) لإمكانية الربط بين بداية السورة ونهايتها، إذ بدأت بقسم عظيم بالملائكة، لتصل الآيات - بعد تفنيد مزاعمهم - إلى الحديث عن أساطيرهم الضالة والتي اخترعتها أفهامهم السقيمة، طالبًا من الرسول - عليه السلام - أن يناقشهم فيما اخترعوه من أباطيل بأسلوب هادئ، وحوار هادف، ملزمهم بالدليل والبرهان، ومقيمًا عليهم الحجة بالعجز والخذلان، مختتمًا هذا المشهد ببراءة الملائكة من إفك الضالين؛ لأنهم يعرفون مقاماتهم، وأنهم مقصورون على العبادة والطاعة لله رب العالمين[1].

وهكذا نرى أنه عرض تفسير السورة عرضًا إجماليًّا أولًا مراعيًا وحدة الموضوع في السورة، ثم بدأ بعد ذلك في تفسير الآيات التي يفسرها تفسيرًا تفصيليًّا.

وكان هذا هو أسلوبه في التفسير دائمًا يتكلم أولًا في السياق ليربط الآيات التي يفسرها بما قبلها وما بعدها، ثم يتكلم بعد ذلك في التفسير بالتفصيل لهذه الآيات بعد مقدمة معجمية لغوية يذكر فيها المعاني اللغوية للكلمات التي تحتاج إلى بيان لمعناها اللغوي.

---

(١) مجلة الهدي النبوي - السنة ٦٤ - العدد ٦ جمادى الآخرة ١٤١٩هـ ص٢٦، ٢٧.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الحمد لله على فضله وتوفيقه وإحسانه ومنه وكرمه وإنعامه، فقد أعانني الله تعالى على إتمام هذا البحث المتواضع عن جهود الشيخ محمد حامد الفقي – رحمه الله – في تفسير القرآن العظيم، بالرغم من كثرة الشواغل والصوارف وضيق الوقت، وأسأل الله الكريم أن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة، وأن يغفر لي خطأي وتقصيري، فما أصبت فمن الله تعالى، وما أخطأت فمن نفسي وجهلي.

وكانت أهم النتائج التي توصلت إليها :

١ – يعتبر تفسير الشيخ حامد الفقي وتلاميذه استكمالًا لتفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا، والذي بدأه الشيخ محمد عبده رحم الله الجميع.

٢– بدأ الشيخ محمد عبده التفسير من أول الفاتحة حتى وصل إلى الآية ١٢٦ من سورة النساء، ثم تابع الشيخ محمد رشيد رضا التفسير حتى وصل إلى الآية ١٠١ من سورة يوسف، ثم أكمل الشيخ بهجت البيطار تفسير سورة يوسف وطبعت في كتاب مستقل يحمل اسم الشيخ رشيد رضا.

٣– بدأ الشيخ محمد حامد الفقي التفسير من أول الفاتحة حتى وصل إلى الآية ١٠٠ من سورة البقرة، ثم اقترح عليه أعوانه وزملاؤه أن يكمل التفسير من حيث انتهى الشيخ رشيد رضا منعًا من تكرار المجهود بدون داعٍ فالمنهج واحد تقريبًا.

٤– ابتدأ الشيخ حامد الفقي في تفسير سورة الرعد واستمر حتى الآية رقم (١٢) من سورة الإسراء، ثم تابع الشيخ عبد الرحمن الوكيل تلميذ الشيخ حامد

الفقي التفسير حتى وصل إلى الآية (٥٦) من سورة مريم.

٥- تابع الأستاذ الدكتور السيد رزق الطويل تلميذ الشيخ محمد حامد الفقي التفسير بعد ذلك حتى وصل إلى سورة الصافات، ثم تابع التفسير بعده الأستاذ الدكتور عبد القادر رزق الطويل تلميذ الشيخ محمد حامد الفقي حتى وصل الآن إلى سورة الحجرات.

٦- تفسير الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا كان في أعداد مجلة المنار أولًا ثم طبع في تفسير مستقل يحمل اسم تفسير المنار، وتفسير الشيخ محمد حامد الفقي وتلميذه الشيخ عبد الرحمن الوكيل كان في أعداد مجلة الهدي النبوي القديمة التي كانت تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية، وتفسير الأستاذ الدكتور السيد رزق الطويل وأخيه الأستاذ الدكتور عبد القادر رزق الطويل تلميذي الشيخ الفقي كان في أعداد مجلة الهدي النبوي الجديدة التي تصدرها جماعة دعوة الحق الإسلامية، حيث أصبح اسم مجلة جماعة أنصار السنة المحمدية «التوحيد» ، ولم يجمع هذا التفسير كاستكمال لتفسير المنار حتى الآن.

٧- يعتبر تفسير المنار أصل التفاسير السلفية في العصر الحديث، وكذلك الذين تابعوا تفسير المنار يعبرون عن نفس الاتجاه مع بعض التصويبات التي لا بد منها.

٨- كل العلماء الذين قاموا باستكمال تفسير المنار نالوا الدرجات العلمية العالية، بالإضافة إلى انخراطهم في المجتمع الذي عاشوا فيه مما يجعل لتفسيرهم أهمية كبرى من الناحية العلمية، وكذلك من الناحية الواقعية والظروف المحيطة بهم، فقد عايشوا – وهم العلماء – واقعهم معايشة تامة، فالشيخ حامد

الفقي كان رئيسًا لجماعة أنصار السنة المحمدية، وهو المؤسس لها - وهي من الجمعيات الكبرى في مصر - وقد اتخذت منهج السلف الصالح والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان محققًا للعشرات من كتب التراث، والشيخ عبد الرحمن الوكيل كان الرئيس العام لجماعة أنصار السنة أيضًا بعد الشيخ حامد الفقي، وكان يعمل بالتدريس، والأستاذ الدكتور السيد رزق الطويل كان رئيسًا لجماعة دعوة الحق الإسلامية، وهي جمعية سلفية أيضًا تدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ولها فروع كأختها أنصار السنة في العديد من محافظات مصر، وكان عميدًا لكلية الدراسات العربية والإسلامية بالأزهر، والأستاذ الدكتور عبد القادر رزق الطويل رئيس جماعة دعوة الحق الإسلامية بعد أخيه الأستاذ الدكتور السيد رزق الطويل وهو الأستاذ بجامعة الأزهر.

هذا بالإضافة إلى عشرات المؤلفات لكل منهم أثروا بها المكتبة الإسلامية علاوة على تحقيق كتب التراث وتفسير القرآن الكريم، وكذلك كان لهم تأثيرهم في العالم الإسلامي من خلال الزيارات والمؤتمرات والمحاكاة والاقتباس.

التوصيات:

١- جمع تفسير الشيخ حامد الفقي وتلاميذه وطبعه استكمالًا لتفسير المنار مع بعض التصويبات والتصحيحات التي لابد منها .

٢- تعتبر مجلة الهدي النبوي القديمة والتي كانت تصدرها جماعة أنصار السنة هي حلقة الوصل بين مجلة المنار التي كان يصدرها الشيخ رشيد رضا وبين مجلة التوحيد التي تصدرها جماعة أنصار السنة حاليًا، ومجلة الهدي النبوي

الجديدة التي تصدرها جماعة دعوة الحق حاليًا، وهي ثروة علمية تعبر عن هذه المرحلة منذ توقف مجلة المنار حتى بداية ظهور مجلة التوحيد والهدي النبوي الجديدة، فلو تم جمعها وطبعها كما حدث مع مجلة المنار فيكون في ذلك خير كثير وفوائد علمية كبيرة .

* * *



فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

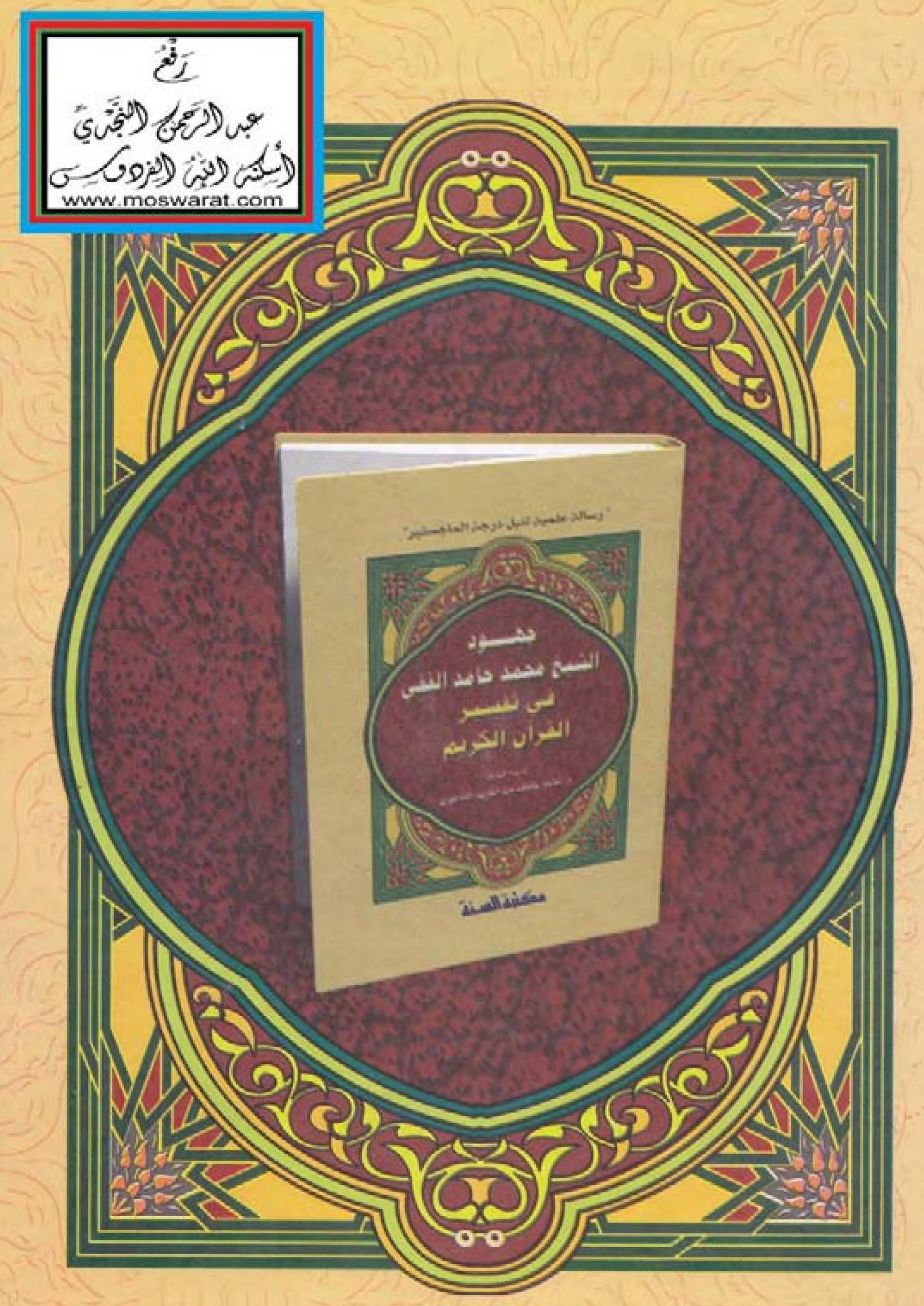
الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


"رسالة علمية لنيل درجة الماجستير"
جهود
الشيخ محمد حامد الفقي
في تفسير
القرآن الكريم
مكتبة السنة

مكتبة السنة